من روائع تراث الكنيسة



آبائيات

كنيسة القديس أنبا مقار
البرموس - إسقلاية - جيزة

من روائع تراث الكنيسة

آبائيات

كنيسة القديس أنبا مقار
أتريس إمبابة جيزة

حقوق النشر والترجمة
محفوظة للمؤلف
رقم بريدى ١٢٩٧٥
ت : ٤٦٠٠٨٢ (٠١٨)

الطبعة الأولى
أبريل ١٩٩٦



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧

تـقـديـم

عرفت القس كرنيليوس المقارى منذ الخمسينيات. فقد تزاملنا فى طريق التكريس البتولى منذ ١٩٦٠ وعشنا سنوات طويلة فى بيت واحد ثم مضى فى طريق الرهبنة منذ ١٩٧١ فلم أره لمدة حوالى ٢٥ سنة، ثم فوجئت به يتصل بى ومعه حوالى عشرين كتابا ومقالا من كتابات الآباء من القرون الأولى، وبعض دراسات لاهوتية وكنسية قام بتعريبها عن اللغتين الإنجليزية والفرنسية فتذكرت شغفه بالحياة الكنسية وأقوال الآباء منذ أن كان شاباً صغيراً وخادما بكنيسة مار مينا بشبرا ثم مكرساً ببيت التكريس بحلوان ولمست فى جهد الأب الراهب كرنيليوس أنه صورة من صور تحقيق أحد أهداف بيت التكريس لخدمة الكرازة التى تحددت منذ نشأه البيت ألا وهو «ترجمة ونشر كتابات آباء الكنيسة فى القرون الأولى لأجل بنيان حياة المؤمنين على أساس تعاليم الآباء الصحيحة».

وقد ألح علىّ الأب كرنيليوس أن أكتب مقدمة لهذه الكتب والمقالات التى ينشرها الآن فى ٣ كتب. وأظن أن كتابة أى أب من الآباء أو المعلمين القدماء الصادقين فى إيمانهم ومحبتهم للمسيح وللحق ليست فى حاجة لمن يقدمها للقراء، ولكنى أكتب هذه الكلمات لأحيى روح الكفاح والإخلاص وبذل الجهد الكثير عند الأب كرنيليوس، التى أثمرت هذه الكتب الثلاث :

١ – الكتاب الأول : يحوى بعض كتابات «لآباء ما قبل نيقية».

٢ – الكتاب الثانى : يحوى بعض كتابات لآباء القرن الرابع المعروف بالعصر الذهبى للآبا ء.

٣- والكتاب الثالث : يحوى بعض كتابات للاهوتيين أرثوذكس من القرن العشرين مثل الأستاذ فلاديمير لوسكى والأب ألكسندر شميمان، وبعض مقلات للأب كرنيليوس نفسه.

أدعو الإله المحب الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس أن يعمل بقوة روحه فى هذه الكتب لأجل خلاص وبنيان وتكميل نفوس أبناء وبنات المعمودية لمجد الثالوث القدوس الذى له كل التسبيح والسجود والمجد والشكر والإكرام الآن وإلى الأبد آمين.

دكتور / نصحى عبد الشهيد

(بيت التكريس - مركز الآباء)

لا يفوتنى أن أذكر أن هذا الكتاب قدم لنيافة الحبر الجليل الأنبا إغريوريوس أسقف البحث العلمى والثقافة القبطية والدراسات العليا اللاهوتية وذلك فى شهر أكتوبر سنة ٩٩٤، وسمعت من السكرتارية أنه قد كتب مقدمة له، ولكن حالت ظروفه الصحية عن وصولها إلىّ فى حينها وحتى الآن. نطلب له من الله تمام الشفاء والصحة والعافية أطال الله فى حياته ذخراً للكنيسة.

المترجـــم

مقدمـــة المترجـــم

«هوذا أيام تأتى يقـول السيـد الرب أرسل جوعاً فى الأرض لا جوعاً للخبـز ولاعطشاً للماء بل لاستماع كلمات الرب».

(عاموس ٨ : ١)

«ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله».

(مت ٤ : ٤)

نحس جمـيـعـاً بجـوع شـديد فى هذه الأيام الأخيـرة إلى كلمـة الله سـواء للأكل العقلى أو الإفخارستى.

وأرواحنا تريد أن تشبع ولا تستطيع الانتظار..

إن جوع النفس هو أيضاً مثل جوع الجسد.

إنه أيضاً مميت ..

وإن كنا نعير قليلاً من الإنتباه فقط لأولئك الذين يموتون من جوع الجسد، فإن الذين يموتون من جوع النفس لا يعيـرون منا أدنى إنتبـاه، وعبـر العـصـور الأولى نما قليلاً قليلاً الإتجاه للرجوع إلى سلطة بعض من المؤلفين المعينين فى تعليم العقيدة ممن عرفوا بتعبير محدد على أنهم آباء الكنيسة تبعاً للمعايير التالية:

نقاوة التعلييم

قداسة الحياة

التوافق مع الكنيسة

الأصالة والقدمية

ونجد فى نصوص الآباء أصداء لحياة الكنيسة الأولى :
التقليد المسيحى مكتوباً،
شهادة لانتشار الإيمان والحياة المسيحية،
برهاناً للوحدة الأساسية للكنيسة عبر تقلبات العصور،
مجموعة من المؤلفات المختارة عبر الزمن لا غنى عنها لفهم مشكلات عصرنا الحاضر،

والأمانة للآباء هنا تقتضى منا ليس فقط التغذى دوماً على كتاباتهم، بل أن نكون أيضاً مثلهم معاصرين للمشاكل الحيوية للكنيسة والعالم.

فالآباء هم معلمونا فى تفسير الكتب المقدسة. والعودة إلى التقليد القديم، إلى تقليد الكنيسة الواحدة بعد، هو أحد الطرق التى تؤدى إلى الوحدة ونستطيع أن نؤكد أن النهضة الآبائية إنما لا غنى عنها من أجل الأبحاث المسكونية التى نرجو الاستزاده منها، كما أن نهضة الكنيسة عامة لن تكون إلا عن طريق الرجوع إلى كتابات الآباء.

وهذه الترجمات، بعض مما أعطانى الله خلال سنى خلوتى بالدير أقدمها لمجد الله ونفع الكنيسة، وهو الذى «جعلنى مثمراً فى أرض مذلتى» (تك ٤١ :٥٢).

وأقدم الشكر الجزيل للدكتور نصحى عبد الشهيد الذى تفضل بكتابة كلمته كمقدمة.

المترجـــم

عيد القيامة المجيد
أبريل ١٩٩٦

المحتـــــويات

تقـــديم

مقدمـــة المترجم

الكتاب الأول : ١ – ليلة الفصح المجيدة. ١٣

٢ – الحياة الروحية لآباء القرون الأولى. ١٩

٣ – صلوات المسيحيين الأول. ٢٥

٤ – تأملات فى سفر يشوع. ٥١

الكتاب الثانى : ١ – التوبة. ٨٠

٢ – الصبر. ٩١

٣ – تطويب لشهداء مصر. ١٠٩

٤ – المبادئ الإلهية. ١١٥

٥ – إلى دونات. ١٢٢

٦ – فضيلة الصبر. ١٢٧

٧ – غضب الله. ١٤٣

٨ – فرح التجلى. ١٥١

٩ – العفة. ١٧٣

١٠ – من رسائل كبريانوس. ١٨٣

الكتاب الثالث : ١ – السيادة والملوكية. ١٩٢

٢ – أذكر يارب. ٢٠٠

٣ – معنى خضوع الإبن. ٢١٠

٤ – كلية الطهر. ٢١٨

ملحـــــق : ١ – مولودين ثانية. ٢٣٤

٢ – تسربلوا بالتواضع. ٢٥٢

٣ – الاثنا عشر سبطاً ورسولاً. ٢٦١

٤ – الإدمان على الصلاة. ٢٨٤



آبائيـــات

كتاب أول : كتابات لآباء من القرون الثلاثة الأولى

كتاب ثان : كتابات لآباء من القرن الرابع

كتاب ثالث : كتابات لآباء محدثين

ملحق : مقالات للمترجم



الكتاب الأول

كتابات لآباء من القرون الثلاثة الأولى

١ – ليلة الفصح المجيدة — حزقيوس الأورشليمى

٢ – الحياة الروحية لآباء القرون الأولى — ج باردى

٣ – صلوات المسيحيين الأول — أ . ج . هامان

٤ – تأملات فى سفر يشوع — أوريجانوس

يوم الفصح المقدس

عيـد القيـــامـة المجيـــد

المسيح قام ☥ بالحقيقة قام

شمس البر تنير هذه الليلة المقدسة :

إن السماء تلمع حينما تضيئها مجموعات النجوم، والكون يكون أكثر لمعاناً حينما يطلع كوكب الصبح، ولكن لمعان النجوم الحاضر فى هذه الليلة يزهو بأقل مما نتألق الآن بنصرة إلهنا ومخلصنا. فهو قد قال حقاً : «تقووا، إنى قد غلبت العالم» (يو ١٦ : ٣٣). وبغد نصرة الله هذه على العدو غير المنظور، حقاً ويقيناً، فإننا نحن أيضاً سنحقق الغلبة على الشياطين، ولنلبث إذاً بقرب الصليب الخلاصى حتى ما نقتبل الباكورات المبكرة جداً من عطايا يسوع.

فلنحتفل بهذه الليلة المقدسة بأنوار مقدسة، ولنطلق النغمات الإلهية مرنمين تسبيحة سماوية، فإن ربنا شمس البر (ملا ٣ : ٢٠) قد أضاء أيضاً هذا اليوم الحاضر فى دائرة كل المعمورة، لقد ارتفع على الصليب وخلّص المؤمنين.

منارة الصليب :

فليت لا يرفض أحد أن يؤمن برموز الصليب، بل لنكرم خشبة الصليب الطوباوية والمثلثة الطوبى. ليتنا لا نرفض الإيمان برموز هذا الصليب الذى فتح لنا أبواب السماء «ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة» (مت ٥ : ١٥)، وأعنى بالمكيال «الناموس»، وأعنى بالمنارة «الكلمة» : الذى كان حاضراً تحت الناموس، فخفى

عن غير المؤمنين كما تحت مكيال، وحينما جاء على صليب ووضع على المنارة، حينئذٍ أضاء كل دائرة المعمورة.

الصليب نبع الخلاص :

أنظر روما ياعزيزى، وهى تزهو برموز الصليب وهى مزدانة ببهاء وسط ساحة « الفوريم Forum»، أنظر بولس الذى يكتب رسائل خالدة والذى يعبر عن نفسه بالقول إنه لم يخجل من الصليب : الذى هو «لليهود عثرة ولليونانيين جهالة» (١ كو ١ : ٢٣ ، ٢٤)، لقد رفعه كشعار للحكمة، وإذ استعبد نفسه لخشبة الصليب، أقام كنائس المسكونة. لقد منعت عصا موسى ضربات المصريين عن نفسه فقط، ولكن العصا من أجل انتسابها لخشبة الصليب، فهى تضع حداً لخطايا البشر؛ لقد ألقى فروعون هناك فى أعماق البحر، إذ كان يتعقب إسرائيل؛ أما هنا فغرق بيد الشيطان بينما أنقذ الساجدون للمخلص، هناك جرّ آدم علينا الموت لأنه مدَّ يديه، بينما أن سيدنا ببسط يديه خلص الجميع.

فلنقتد باللص الصالح :

ولكن يا أيتها الخشبة الأعظم جداً من السماء التي تتجاوز القبة السموية، يا أيتها الخشبة المثلثة البركة التى تنقل نفوسنا إلى السماء، يا أيتها الخشبة التى جلبت الخلاص للعالم وطردت جيش إبليس، يا أيتها الخشبة التى شقت اللص بسهم فى الفردوس وجعلته يشارك جوقة المسيح، الحق الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣). فلنقتد بالإستعدادات الطيبة التى لهذا القاتل، وبالأولى لنقل هذا الإنسان الملهم بالروح، إن كنا نحكم بذلك من أجل اعتراف الإيمان الذى نطق به.

وبعد عمل إيمانى واحد، إحتل الفردوس وطاف فى السموات «الحق الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس». فلنبق نحن أيضاً بقرب صليب المخلص قائلين عين هذه الكلمات:«أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك»، حتى ما نشارك نحن أيضاً فى الفردوس وننعم بملكوت السموات.

نصرة المسيح القائم :

جمعنا الحاضر هذا عيد نصرة يا إخوتى، نصرة ملك الكون ابن الله، بالحقيقة اليوم هُزم الشيطان بواسطة المصلوب وإمتاز جنسنا فرحاً بواسطة المُقام. هذه هى حقاً صيحة هذا اليوم، من أجل قيامتى: «بينما أنا أسير، رأيت منظراً جديداً، قبراً مفتوحاً، وإنساناً قائماً، وعظاماً مبتهجة» (مز ٢٣ : ٧)، ونفوساً فرحة، وأناساً متغربين (تك ٢ : ٧)، وسموات منشقة، وقوات تصيح : «إرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم ....» إلخ. اليوم رأيت ملك السماء، ملتحفاً بالنور، صاعداً فوق البرق والضياء، فوق الشمس وينابيع المياه، فوق السحب، متمنطقاً بروح القوة وبالحياة الأبدية. كان هذا أولاً فى الواقع مختفياً فى بطن امرأة، ثم فى بطن الأرض، وهو بهذا العمل يقدس هنا أولئك الذين يولدون، وهناك يرد الحياة بقيامته لأولئك الذين يموتون، لأن هاهم الذين هربوا من العذاب وألم الولادة والتنهد (إش ٣٥ : ٢). حقاً من عرف فكر الرب، أو من صار له مشيراً (رو ١١ : ٣٤) إلا الكلمة الذى صار جسداً، ومن سُمر على الصليب (كو ٢ : ١٤)، ومن أقيم من الأموات (أع ١٠ : ٤١)، ومن رُفع إلى السموات (إش ٨ : ١٨، عب ٢ : ١٣).

البشرية شريكة فى صعود المسيح إلى أبيه :

هذا اليوم رسالة فرح : فحقاً فى هذا اليوم قام الرب، ولقد أقام معه قطيع آدم، لأنه وُلِد من أجل الإنسان وقام مع طبيعة الإنسان. اليوم بهذا المقام فتح الفردوس، ورد آدم إلى الحياة، وتعزت حواء، وسُمعت الدعوة، وأُعدّ الملكوت، وأُنقذ الإنسان، وسُجد للمسيح : وبعد ماوطأ الموت بأقدامه، وسَبى الهاوية، صعد إلى السموات، منتصراً كملك، مجيداً كرئيس، منيعاً كقائد عربة، وقال لأبيه : «هأنذا والأولاد الذين أعطيتنى.. إلخ» (مز ١٠٩ : ١، أع ٢ : ٣٤)، وسمع من أبيه هذه الإجابة: «إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك تحت موطىء قدميك» (مز ٩ : ١، أع ٢ : ٣٤)، له المجد والسلطان الآن وفى جميع أجيال دهر الدهور آمين.

وأيضاً ليوم الفصح المقدس

بوق القيـامة :

بوق مقدس ملوكى جمع هذا المجال الروحى، هذا البوق الذى شكله بيت لحم وأضرمه صهيون، والذى كان الصليب فيه المطرقة، والقيامة السندان، هذا البوق لا أستطيع أن أعبر عن جماله، ولا أصف نوره، أو أعلن الفرح الذى أتى إليه بالصليب، أو أن أشرح الملوكية التى آلت إليه بالقيامة، فبأى يد ألمس هذا البوق؟

موت المسيح يؤكد بشريته، والقيامة لاهوته:

بأية عبارات أحيّى قبراً يلد الحياة، وتابوتاً يعلو على الفساد، ومضجعاً زيجياً حفظ العريس النائم فيه ثلاثة أيام (مت ٢٧ : ٨)، وخدراً عرسياً شهد عروساً مستيقظة ولم تُمَس بعد زواجها، إنه موت يعلن عنه القبر المحروس جيداً (مت ٢٧ : ٦٢).

وإله تعلن عنه الأرض التى تزلزلت (مت ٢٨ : ٢)، فحقاً يعلن الجسد عن موت، أما الأعجوبة فعن إله. يعلن القبر عن موت، أما القيامة فعن إله، تعلن دموع النسوة عن موت (يو ٢٠ : ٣) أما كلمات الملائكة (مت ٢٨ : ٥) فعن إله.

إنه كميت أدى له يوسف (مت ٢٧ : ٥٧) واجبات الدفن، ولكن هذا الذى كان موضوعاً للدفن كإنسان وذاك كإله، جرد الموت. إنه أيضاً كميت حفظه العسكر تحت حراسة قوية، وكإله رآه بوابو الجحيم بذهول : «هل إنكشفت لك أبواب الموت، أو عاينت أبواب ظل الموت» (أى ٣٨ : ٧).

إله متأنس :

حقاً سوف تقول إنه هو بعينه، هذا وذاك وليسا (إثنين)، ليس واحد وآخر، ولا واحد فى آخر، ولا واحد بواسطة آخر، لأن الكلمة صار جسداً (يو ١٤ : ١)، إذ هو واحد، جمع خواصه هذه وخواصه تلك فى واحد معاً، كما أراده، بصورة لا يُعبَّر عنها : فالجسد أسلمه لخدمة الأوجاع، ومن اللاهوت أجرى الآيات والعجائب، لكن كما لم

يستحسن أن يكون الكلمة خلواً من جسد، كذلك كان من الضرورى أن ترتبط الآلام بالعجائب، ففى الواقع إن هذا الذى نزل إلى الجحيم كميت وذلك كإله، حرر الأموات، حيث أن هنا تخدم ملائكة عند القبر، وهناك تستعلن للنسوة بثياب بيض، كما لموكب عريس، وفى موضع آخر قالوا لهن : «أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب، ليس هو ههنا لكنه قام كما قال» (مر ١٦ : ٦)، إن موضعه الآن فى السماء فوجهوا حنوطكن إلى هناك.

لقد قام، وليس نحن الذين أقمناه، إنه من أجلكن قد دحرجنا الحجر. إنه قبل أن ننزل كان القبر فارغاً، لقد قام كما قال.

هوشع وإشعياء نبيا القيامة :

إنه من غير الممكن حتى لنبى أن يفسر ما قاله ملاك : فهوشع يتكلم عن وقت القيامة وإشعياء علم بها ولكنه لم يعرف كيفيتها.

وها هى فعلاً عبارات نبوة هوشع : «هلم نرجع إلى الرب (إلهنا) لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا، يحيينا بعد يومين، فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه». (هوشع ٦ : ١، ٢) (*).

واسمع أيضاً ما تغنى به إشعياء من أقوال نبوته : «خجل لبنان وتلف، صار شارون كالبادية، نثر باشان وكرمل. الآن أقوم يقول الرب، الآن أتمجد، الآن أرتفع، الآن ترون، الآن تخجلون» (إش ٣٣ : ٩، ١٠) (*). إنه لليهود حقاً قد وجه هذا الحديث : «الآن

---

* ربما تصور هوشع مراسيم التوبة التى استعار منها هذا النداء، وإذ كان الشعب فى رعدة من إنذارات العقاب وهجران يهوه لهم، إبتدأ يحثه على الرجوع إليه. وقد تكرر هذا الرجوع كثيراً دون توبة حقيقية داخلية. وقد وردت كلمة أفترس فى اليونانية من فعل Διαπαραζεω أى لعب أو مزق. والتعبير بعد يومين وفى اليوم الثالث يقيمنا، إشارة واضحة للقيامة التى حدثت فى اليوم الثالث وهذه النبوة هى التى عناها بولس حينما ذكر حسب الكتب (١ كو ١٥ : ١٤).

* صار شارون كالبادية، وشارون هو السهل الممتد من يافا جنوباً الى جبل الكرمل شمالاً، وهو خصيب

أقوم»، حينما أقيم آدم ثانية، هذا الذى كان قد رذل من أجل تعدية، الآن أتمجد حينما قد أظهرت للأمم عدم انحصارى فى الأمم، الآن أرتفع وأصعد باكوراتكم إلى السموات. ورافعاً حتى إلى عرش الشاروبيم صورة العبد الذى منكم، الآن ترون كيف أن الرموز تنتهى والحق يزهو، الآن تخجلون أنتم الذين تتوقحون وأنتم مخذولون من أعمالكم.

مجداً لله الآب والإبن والروح القدس

الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.



يكثر به شجر البلوط، كما يشتهر بنرجس شارون فى سفر النشيد (٢ : ١) كرمز للمسيح. ولكن إشعياء يذكر هنا أنه قد صار كالبادية أى ذبل وإختفى زهره، وقد يشير بذلك إلى موت المسيح. ووردت الكلمة «نثر» فى اليونانية بمعنى مكشوفة ومعراة لأن نفس الأمر حدث لهذين الجبلين (باشان وكرمل)، إذ تخفقت عنهما كلمات النبى وصارا عقيمين وإنقطعت أثمارهما. وهذا الجزء الأخير من الآية : الآن ترون، الآن تخجلون» لايوجد فى طبعة بيروت ولكنه مذكور فى مخطوطات العهد القديم مثل نسخة الإسكندرية السبعينية، وقد ورد ذكرهما أيضا في شرح حزقيوس لسفر إشعياء، وهذا دليل يؤكد أصالة عظة حزقيوس.

الحياة الروحية لآباء القرون الثلاثة الأولى (*)

عاء المسيحيين منذ القرن الأول للميلاد :

كان الدعاء أو الهتاف الذى يتردد كثيراً عبر صلوات الإفخارستيا مطلعه :

«لتأت نعمتك، وليمض هذا العالم..»، وكذا «أوصنا (خلصنا) يا ابن داود...» وكذا «ماراناثا تعال أيها الرب».

وجميع الذين كانوا يتقبلون الإفخارستيا كانوا يجاوبون : آمين، هذه العبارات وغيرها كانت هتافات مفعمة بمشاعر النصرة والحماس وأساليب الشكر وتتميز بوضوح بالاتجاه الأخوى، فقد كان المؤمنون يترجون إكتمال الكنيسة فى ملكوت الله، فالطلبة : «لتأت نعمتك وليمض هذا العالم» ذاعت كثيراً، لأن هذا العالم قد وضع فى الشرير، وهو منغمس فى الظلمات، وسوف تأتى ساعة دينونته، وجميع المسيحيين ينتظرون بفارغ الصبر زمان النعمة والخلاص : فإن هيئة الأمور الزائلة ستختفى وسوف تبقى فقط الحقائق الأبدية.

وكإستجابة لهذه الطلبة تأتى الكلمات ماراناثا، ويوردها معلمنا القديس بولس الرسول كما هى بلفظها الآرامى فى نهاية رسالته الأولى إلى الكورنثيين، إنها تذكار رائع لتلك الأيام الأولى حينما بدأت الكنيسة المسيحية تنمو وتمتد، ولم يكن لها بعد رعايا خارج أورشليم وفلسطين، لقد صلّوا هذا الدعاء الحار للرب بتلقائية سهلة، «تعال ياسيدنا وربنا»

ويترجم القديس يوحنا الرسول هذه الصيغة عينها إلى اليونانية فى نهاية رؤياه : «أمين تعال أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢ : ٢٠) ومهما كانت اللغة المستعملة فإنها تعبر بقوة عن أقصى تطلّع لجميع المسيحيين.

---

* La Vie Spirituelle des trois Premiers Siecles G. Bardy.

إننا لا نعتقد بعد فى زماننا الحاضر كما كان يعتقد معظم إخوتنا فى العصر الرسولى، وكما استمر الاعتقاد قوياً عبر عصور تالية، إن نهاية العالم قريبة وإن ظهور الرب عتيد أن يحدث سريعاً، لقد اعتدنا أن نمعن النظر بإفراط فى تفاهات هذا العالم وربما نرتضى بأن نعيش فيها، وهكذا نظل أناساً شهوانيين، إننا نعلم أنه ليست لنا هنا على الأرض مدينة باقية وأننا شركاء فى المواطنة مع القديسين وأن مدينتنا الحقيقية هى فى السماء، وأفضل صلاة لنا هى تلك التى تنطلق فيها من شفاهنا الصلاة العظيمة : «تعال أيها الرب يسوع». إننا نرددها قبل أن نتقدم للمائدة المقدسة لنتقبل سر الشركة المقدسة فى جسد الرب وسوف نرددها إن شاء الله فى لحظة إنتقالنا من هذا العالم بشوق زائد، ونحن نبتهج إذ نصادف هذه الطلبة فى الكتب القديمة كتعبير عن إيمان ومحبة هما نفس إيماننا ومحبتنا للمسيح.

وعلينا أيضاً أن نردد كثيراً الدعاء «أوصنا يا ابن داود .. » كصدى لهتاف الدخول المنتصر إلى أورشليم، وقد ورد فى الدسقولية بصيغة «أوصنا لإله داود»، وجدير بالذكر أنه كان يتردد فى الليتورجية إلى عهد قريب قبل تسبحة الشاروبيم، بهذه الصيغة «أوصنا فى الأعالى مبارك الذى أتى ويأتى بإسم الرب أوصنا فى الأعالى، هلليلويا» (١)

ونحن نحس بأن وراء هذه الصلوات التى احتفظت لنا بها الدسقولية من الكنيسة الأولى بنبرة إيمان عميق جداً وحب نابض للرب يسوع، وإن كان لقب «ابن الله» يمكن أن يكون هو «عبد الله» الذى أعطاه له إشعياء النبى فى سفره قديماً، فنحن نذهل كثيراً من قدمه، وعلى كل حال فنحن نلاحظ كيف أن الكاتب يحل اسم المسيح فوق جميع الكائنات المخلوقة، وإن إنتظار مجيئه إنما هو أقصى رجاؤه. فكيف إذن لا نردد كثيراً هذا الدعاء الحار معه للسيد : «ماراثانا . آمين تعال أيها الرب يسوع».

---

(١) وللأسف الشديد لم يعد يسمع بعد هذا الهتاف الشجى بل إن بعض طبعات الخولاجى الحديثة قد حذفته منها، أنظر كتاب القدسات الثلاثة للقس كيرلس كيرلس ص ١٣٩ بالحاشية.

عن آباء النصف الأول من القرن الثانى :

كان **بابياس** الذى من هيراقلية يسر بأن يجمع بأمانة ذكريات أولئك الذين عرفوا الآباء الرسوليين فهو يقول : «لم تكن مسرتى أن أوجد بقرب الفصحاء البليغين فى الكلام، كما يفعل الكثيرون، بل بالقرب من أولئك الذين يعلمون الحق، ولم أكن أحب أولئك الذين ينقلون وصايا غريبة بل أولئك الذين ينقلون الوصايا التى فرضها الرب من أجل إيماننا والتى ولدت من الحق نفسه، إذن فإن كنت قد قابلت هنا أو هناك أولئك الذين كانوا فى صحبة القدماء، فإنى كنت أبحث عن معرفة آراء الأقدمين، ماذا كان يقول إندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو بعض غيرهم من تلاميذ الرب، وماذا كان يقول أريستون ويوحنا الشيخ تلميذ الرب، لقد كنت أعتقد أنه لا يوجد فى الكتب ما انتفع به مثلما أسمعه من الأمور التى تأتى إلى عن طريق الكلام الشفاهى (الحى) المتوارث[1].

وينقل **سيرابيون** الأسقف المصرى، الذى من القرن الرابع صلاة تكاد تكون مطابقة تماماً لما ورد بالدسقولية فيقول عن وحدة الكنيسة :

«وكما أن هذا الخبز كان مبعثراً من قبل على الجبال وقد جمع من أجل أن يصبح واحداً هكذا إجمع كنيستك المقدسة من كل جنس ومن كل بلد ومن كل مدينة ومن كل قرية ومن كل بيت واجعل منها كنيسة واحدة حية جامعة»[2].

ويتناول القديس أوغسطينوس نفس هذا التشبيه فى إحدى عظاته الموجهة إلى المعتمدين الجدد فى يوم الفصح فيقول :

«فى هذا الخبز ترون مثالاً بأى طريقة يجب عليكم أن تحبوا الوحدة. فهذا الخبز، هل إنه قد صنع من حبة واحدة؟ ألم يصنع على العكس من حبوب قمح عديدة؟ ولكن قبل أن صنعنا منها الخبز فهى قد فصلت أولاً وحدها وعجنت معاً بواسطة الماء...

---

(1) Papias, cité Par Eusébe, Histoire Eeclésiastique III, 39,3 - 4.
(2) Anaphore de Serapion, dans:Priéres des Premiérs Chrétiens n 191.

فصيروا أنتم أيضاً خبزاً الذى هو جسد المسيح، هكذا نعبّر عن الوحدة... »[٣].

ورسائل **أغناطيوس** فريدة حقاً فى الأدب المسيحى، لأنها رسائل سجين يقتاده عشرة جنود قساة من سوريا إلى روما حيث يكمل استشهاده سنة ١١٠ وقد أبدى الفيلبيون أثناء عبوره بهم رغبتهم فى الحصول على المجموعة الكاملة من رسائله فبعث اليهم بالسبعة رسائل الموجودة لدينا نحن أيضاً حتى اليوم، ومن تلك الرسائل نقتطف عبارات لامعة فهو يكتب إلى بوليكاربوس أسقف أزمير ما يلى :

«**أعكف على الصلاة الدائمة، أطلب أن تنمو فى الفهم**، أحرص على ألا تغفل روحك قط [٤]» والحياة فى المسيح لدى أغناطيوس، وإن كان البعض يجهلون ذلك إنما هى بصورة ما، الهواء الذى نتنفسه، والوسط الذى ننمو فيه ونتقوى به، وبتشبيه قوى يصور لنا أهمية الاتحاد بالمسيح فيقول : «يوجد مثلا نوعان من النقود تلك التى لله وتلك التى للعالم، وكل منها له صورته الخاصة، فغير المؤمنين يحملون صورة هذا العالم، أما المؤمنون الذين تحركهم المحبة فيحملون صورة الله الآب فى شكل يسوع المسيح، وإن كنا غير مستعدين بمعرفة يسوع المسيح أن نركض إلى الموت من أجل الاقتداء بآلامه، فحياته ليست فينا»[٥].

وتتضح فى كل رسائل أغناطيوس العواطف الرقيقة والمحبة الأمينة الملتهبة للمسيح فهو يكتب : «ليس شىء خافياً على الرب، بل حتى أسرارنا ذاتها فى يده، فلنسلك فى جميع أمورنا مفكرين أنه يسكن فينا حتى ما نكون هيكلاً له ويكون هو إلهاً لنا»[٦] وأيضاً.. «إنى أتمنى لجميع الكنائس الاتحاد مع جسد وروح يسوع المسيح حياتنا الأبدية، إتحاد الإيمان والمحبة، التى لا يفضل شئ عليها، الوحدة الأكثر أهمية مع المسيح

---

(3) Augustin Sermo 227 Pullié dans La messe , Paris 1964 no 9
(Coll Jetys P. 221 226).
(4) Ignace Polyc I , 3 . 112.
(5) Ignace , Imagne, V.
(6) Ignace , Ephére XV, 3.

والآب لأننا إذ ندوم فيه سوف ندفع عنا كل مؤامرة لـــرئيس هذا العالم وســـوف نبلغ إلى الله..»(٧)

وتتلخص كل تعاليم رسالة القديس بوليكاربوس إلى فيلبس التى كتبها إليهم حوالى سنة ١١٠م فى هذه السطور القليلة :

«لتكن أعيننا بلا إنقطاع معلقة على رجائنا وعربون تبريرنا أعنى ربنا يسوع المسيح الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة، الذى لم يفعل قط أية خطية ولم يوجد فى فمه أى غش (١ بط ٢ : ٢٤، ٢٢)، ولكن إحتمل كل شئ من أجلنا حتى ما تكون لنا الحياة فيه، فلنجتهد إذن أن نقتدى بصبره، إن كنا نتألم من أجل اسمه فلنعطه المجد، هذا هو المثال الذى قدمه لنا بشخصه وقد آمنا به»(٨).

ليست هناك فى الواقع من آلام الشهداء ماهو أكثر إثارة من تلك التى جازها القديس بوليكاربوس، فالأسقف العجوز كانت له ست وثمانون سنة عند القبض عليه، وعندما سأله الجنود أن ينكر المسيح رد عليهم بإجابته المشهورة : «لقد عشت معه حتى الآن ست وثمانون سنة ولم أر منه شيئـاً رديأً فلماذا أنكره؟! «ونحن نعرف أنه كان يتعهد حياته الروحية بالصلوات الحارة غير المنقطعة تقريباً.. وحتى وهو على حطب الموقدة التى كانت عتيدة أن تلتهم جسده لم يكف بوليكاربوس عن الصلاة، وتنقل إلينا الرسالة إلى سميرنا الكلمات المؤثرة جداً أكثر من غيرها عن هذا الإستشهاد المجيد: «يا الله الضابط الكل أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح المبارك الذى بواسطته قبلنا معرفتك يا إله الملائكة والقوات وكل الخليقة، إله كل جنس الأبرار الذين يعيشون أمامك، أباركك لأنك جعلتنى مستحقاً لهذه الساعة، جعلتنى مستحقاً لأن أشارك فى عداد شهدائك وفى كأس مسيحك من أجل قيامة الحياة الأبدية للنفس والجسد فى عدم فساد الروح القدس»(٩).

---

(7) Ignace ,Imagnes. 1,2.
(8) Polycarpe Epirt. ad. philipp VIII.
(9) Martyre Polyc. XI (Commentaire et étude dans La Priére t. II P 135-141.

وتعرفنا رسالة بوليكاربوس إلى سميرنا أيضاً عن شهداء عذبوا قبله وعن الحالة المعنوية للجماعة المسيحية التى واجهوا بها الاضطهادات، ففيما يبدو أنه كان هناك أحد عشر مسيحياً قبض عليهم قبل بوليكربوس: «لقد تمزقوا من الجلدات حتى ظهرت عروقهم وأنسجتهم الداخلية وإحتملوا بصبر. والذين كانوا يشاهدونهم كانوا يشفقون عليهم ويذرفون الدموع من أجلهم، أماهم فقد أظهروا كل شجاعة نادرة.. وتفادوا بساعة من العذابات العقاب الأبدى[١٠].

(10) Martyre Polycarpe, II 2 - 3 .

مقتطفات من كتاب

«صلوات المسيحيين الأول»(*)

- الشهود الأول
- صلوات الشهداء
- صلوات من أجيال المسيحيين الأول
- صلوات آباء الكنيسة الشرقية
- صلوات للقديس أمبروسيوس

---

* لمؤلفه : أ.ج. هامان (من سلسلة عندما تصلى) د . د . ب

(Extraits du Livre) :
Priéres de Premiérs chrétiens
A. G. Hamman (Collection quand vous Priez) D.D.B.

الشهداء الأول

إكليمندس الرومانى

صلاة من أجل الإعتراف باخطايا (ص ٢٩)

ياربنا

لاتحص كل آثام خدامك وعبيدك،

بل طهرنا بطهارة حقك، وقُدْ خطواتنا فى قداسة القلب،

حتى ما تعمل ما هو حق ولائق فى عينيك وعينى رؤسائنا (المضطهدين)،

نعم أيها السيد الملك إظهر علينا وجهك،

حتى ما نذوق الخيرات فى سلام،

وإرحمنا بيمينك القوية،

وحررنا من كل خطية بذراعك العالية،

وإنقذنا من أولئك الذين يبغضوننا بغير وجه حق،

هب التوفيق والسلام لنا ولجميع سكان الأرض،

كما وهبته لآبائنا، الذين صلوا إليك بإيمان وفى الحق،

خاضعين لك يا ضابط الكل ولقداستك،

أغناطيوس الإنطاكى

رسالة لشعبه عن الصلاة للآب († ١٠٧ تقريبا)

إن كهنتكم يلتفون حول أسقفهم فى تناغم كالقيثارة، لهذا نرتل للمسيح يسوع فى إنسجام معكم وفى إتفاق محبتكم، وقد صرتم جميعكم كجوقة واحدة تفصحون عن الغناء لله فى إتفاق الوحدة، وتصوتون به جميعاً بصوت واحد، بالمسيح يسوع مخاطبين الآب، حتى ما يسمعكم وحتى ما تشهدون بأعمالكم الحسنة كأعضاء ابنه.

إيرينئوس : أسقف ليون

صلاة من أجل توبة الهراطقة († ٢٠٣ تقريباً ص ٣٣)

إننا نصلى كى لا يبقى الهراطقة فى الحفرة التى حفروها بأنفسهم، وحتى لا ينفصلوا عن أمهم، بل يهجروا تلك الهوة ويتجنبوا هذا الفراغ، ويهربوا من أجداد التنين ويولدوا ولادة شرعية إذ يتوبون إلى كنيسة الله، وأن يتصور المسيح فيهم، ويقروا بالإله الواحد ورب جميع الأشياء كالخالق الوحيد والصانع لهذا الكون، هذه هى أمنية محبتنا، نوجهها، إلى الله، فإن محبتنا له أكثر نفعاً مما يعتقدون أنهم يتحابون وإذ هى محبة خالصة فإنها ستكون أكثر فعالية، إن كانوا يستجيبون، إن أمنيتنا لهم كالدواء المر : إذ تنتزع اللحم الميت من الجرح، وتفضح غرورهم، لهذا نحاول بكل قوانا وبلا ملل أن نمد لهم اليد... آمين.

كبريانوس : أسقف قرطاجنه

صلاة توســـلية († ٢٥٨ ص ٣٦)

إن الإتضاع يليق بالأكثر بأولئك الذين تأتى أخطاؤهم من مشاعر غريبة عن الإتضاع. فليتهم يقرعون الباب ولكن لا يكسرونه، ليتهم يقتربون من عتبة الكنيسة ولكن لا يتخطونها، وليتهم يقتربون من باب المعسكر السمائى، ويصعدون إلى المحرس ولكن مسلحين بالإتضاع ومقرين بذلك بأنهم كانوا شاردين.

إكليمندس الاسكندرى

(† قبل ٢١٥)

كن رحوماً يا الله المعتنى بأبنائك الصغار،
أيها الآب مرشد إسرائيل، الآب والابن والروح القدس معاً،
هبنا، إذ نتبع وصاياك، أن نبلغ إلى شبه الصورة التى لك،
وأن نختبر صلاح الله قدر استطاعتنا،
ولا نقع تحت قصاص الدينونة.

أوريجانوس

محبتك جرحتنى († ٢٥٣ ص ٤٦)

كم هو حسن وكم هو مجيد أن نقبل جرح المحبة! فالواحد يقبل جرح المحبة الجسدية، والآخر يجرح من بعض شهوات أرضية، أما أنت فاكشف أعضاءك وقدم نفسك للسهام العجيبة فالله هو الرامى!

إسمع الكتاب الذى يتكلم عن هذا السهم، وإن كنت تريد أن تزداد عجباً أيضاً، إسمع السهم نفسه لأنه يتكلم ويقول : «جعلنى سهماً مبرياً، فى كنانته أخفانى، وقال لى أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد» (إش ٤٩ : ٢، ٣).

إسمع جيداً ما يقوله لك هذا السهم وكيف إختاره الله، كم هو طيب نصيب أولئك الذين يجرحون به، لقد جرح به أولئك الذين كانوا يقولون لبعضهم البعض : «ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا فى الطريق ويفسر لنا الكتب».؟

ميتـــود : أسقف أولمبيـــا (Methode d'olympe)

(† نحو ٣١١)

عاش فى آسيا الصغرى، شخصية غير معروفة كثيراً، كان مناهضاً لأوريجانوس، من بين مؤلفاته : «وليمة العشر عذارى» التى تمجد البتولية، ويختم المؤلف بنشيد حماسى تنشده العذارى لعريسهن الطاهر، ويتكون من نحو ٢٤ فقرة بعبارات قوية قرارها المتكرر هو الآتى *:

«حفظت نفسى طاهرة لك،
ومصباحى مضئ فى يدى،
وأسعى للقائك يا عريسى»

---

* (Je me garde pure pour toi,
et la lumpe allumée á la main,
je marche, mon époux, á ta rencontre).

صلاة إسطفانوس الأخيرة :

– يارب يسوع إقبل روحى..

– يارب لا تقم لهم هذه الخطية!

بوليكابوس : أسقف أزمير († نحو ١٥٦ ص ٥٥)

أباركك لأنك حسبتنى أهلاً لهذا اليوم وهذه الساعة، ولأن أحسب فى عداد شهدائك ولأن أشارك فى كأس مسيحك من أجل قيامة الحياة الأبدية للنفس والجسد، فى عدم فساد الروح القدس.

صلاة كاربوس وبابيلوس وأغاثونيكى : Carpos, Papilos, Ogathoniké

كان كاربوس أسقفاً وبابيلوس شماساً وأغاثونيكى أما لعائلة وإستشهدوا فى برغامس فى آسيا الصغرى، إبان حكم مرقس أوريللوس وهذه الرواية وردت عن شاهد عيان :

– كان كاربوس مقيداً بينما كانت النيران تشتعل أسفله وأطلق صيحة قوية قائلاً : «مبارك أنت أيها الرب يا ابن الله، لأنه رغم خطاياى حسبتنى أهلاً لميراثك».

– وإذ قال هذا رقد : وقالت أغاثونيكى بدورها وهى على المحرقة «يارب يارب، تعال وأعنى، فإنى آتية إليك».

صلاة لوسيان ومركيان :

(شهيدان أعتقلا إبان إضطهاد ديسيوس واستشهدا فى نيقوديمية بإقليم بيثينية، فى آسيا الصغرى نحو سنة٢٥٠م) :

«يارب يسوع المسيح نشكرك كثيراً جداً لأنك قد إنتزعتنا نحن البائسين غير

المستحقين وجعلتنا نشارك فى مجد جميع القديسين، لك التسبيح والمجد، إستلم أنفسنا وأرواحنا بين يديك».

صلاة بيونيوس : من سميرنا

(كان بيونيوس قساً مثقفاً فى أزمير ومات فى زمن متقدم جداً، مع متروديوروس فى ٢٥ فبراير سنة ٢٥٠م).

وقد حول كلاهما وجهه وقلبه نحو الشرق، وأغلق بيونيوس عينيه وطلب إلى الله فى صلاة صامته أن يرقد فى سلام، وتأمل النار، وإرتسم سرور كبير على وجهه وقال :

«آمين! .. ثم يارب إقبل روحى».

صلاة كبريانوس : أسقف قرطاجنة

(أمر الوالى أن يربط كبريانوس على المقصلة، ويقتل بالسيف)، وحينئذ صلى قائلاً..

«الشكر لك يا الله»..!

صلاة روجاتيان ودوناتيان : (من نانت)

(حزن الطوباوى روجاتيان لأنه قد قبض عليه دون أن يكون قد حصل بعد على نعمة المعمودية، ولكنه بإيمانه إعتقد أن قبلات صديقه المسيحى سوف تكون بمثابة معمودية له، ولما علم الطوباوى دوناتيان بذلك صلى هذه الصلاة إلى الله من أجل أخيه).

«يارب يسوع المسيح الذى يستمع إلى الرغبات الطيبة، وتكفيه النية الحسنة حينما يكون التكميل خارجاً عن إرادتنا، لقد وعدتنا بأن نختار نحن بينما تكمل أنت، فليت عبدك روجاتيان يكون له نصيب الإيمان الطاهر بالمعمودية، وإن كنا نموت غداً بالسيف تبعاً لأمر الحاكم، فليت سفك الدم يكون بالنسبة له بمثابة سر مسحته»!.

صلاة إفبولس :

« أشكرك أيها المسيح، إحفظنى لأنى أتألم من أجلك»،

(وامتلأ بالروح القدس ورتل قائلاً) :

«مجدك عظيم يارب فى خدامك الذين تفضلت فدعوتهم لك».

(وصلى من أجل كل من كانوا يتبعونه قائلاً) :

«يارب ساعد عبيدك إلى المنتهى وليمجدوا إسمك إلى جيل الأجيال»

(وأسرع كما لو كان يسير نحو تتويجه ورفع يديه إلى السماء وقال) :

«أشكرك يارب يسوع المسيح لأن قوتك كانت هى تعزيتى ولم تسمح أن تهلك نفسى مع الأشرار، فثبت الآن ما قد فعلته فىّ حتى ما يخزى الشرير المقاوم».

(ونظر إلى الشعب وقال) :

«يا إخوتى المحبوبين إسمعونى وصلوا إلى الله وخافوه من كل قلوبكم، لأنه ذكر أولئك الذين يخافونه قبل أن يتركوا العالم الحاضر، وحينما تركوه أتت الملائكة للقائهم وإقتيادهم إلى المدينة المقدسة أورشليم».

(ولما أكمل هذه الأقوال جثا، ومدّ عنقه، وقطعت رأسه).

صلاة فيلكس من ثيبيوكا : Felix de Thibuca.

(كان فيلكس أسقفاً على ثيبيوكا فى إفريقيا، ومات شهيداً نحو ٣٠٤م، نطق الوالى بالحكم، ليمت فيلكس بالسيف، وقال فيلكس بصوت جهورى) :

«أشكرك يارب الذى تتنازل لتنقذنى».

(ولما وصل إلى مكان العذاب رفع فيلكس الأسقف عينيه إلى السماء وقال بصوت عال) :

«يا الله لك الشكر، لأن لى ست وخمسون سنة فى هذا العالم الحاضر، وقد حفظت بتوليتى، وتبعت الإنجيل وعلمت الإيمان الحق، يارب إله السماء والأرض، يايسوع المسيح، أقدم لك عنقى ذبيحة! أنت الدائم إلى الأبد، لك البهاء والعظمة إلى جيل الأجيال آمين».

صلاة إيرينيئوس (أسقف سبريوم) :

(كان إيربناوى أسقفاً على سرميوم فى يوغسلافيا مات شهيداً إبان حكم دقلديانوس سنة ٣٠٤م).

«أشكرك ياربى يسوع المسيح لأنك أعطيتنى الإحتمال فى التجارب والآلامات المختلفة وحسبتنى أهلاً لأن أشارك فى مجدك الأبدى».

(وإذ رفع يديه نحو السماء صلى قائلاً) :

«يارب يسوع المسيح لقد تنازلت وتألمت من أجل خلاص العالم، فإفتح سمواتك حتى ما تستطيع الملائكة أن تقبل نفس عبدك إيرينيئوس، الذى يحتمل هذه العذابات من أجل إسمك ومن أجل الشعب الذى يزداد فى الكنيسة الجامعة فى سبرميوم، أطلب وأتوسل إلى رحمتك، من أجل أن تتنازل وتقبل الآخرين فى الإيمان».

صلاة شهداء أبيتينا :

(أبيتينا مدينة فى شمال أفريقيا ومات شهداؤنا فيها سنة ٣٠٤م).

(تقدم ثيليكا بفرح إلى الإستشهاد، وبينما كان يتمزق من أمشاط من حديد صاح قائلاً) :

«نشكر الله، أيها المسيح ابن الله، فى اسمك إنقذ عبيدك».

(وسالت دماؤه مع صلواته وطلب الصفح من أجل معذبيه، ووبخ قساوتهم كما وبخ أيضاً قساوة الحاكم قائلاً) :

«أيها الأشقياء إنكم ظالمون وتقاومون الله...

يا الله إرحم، ويارب هبنى الصبر فى اسمك....

إنقذ عبيدك من أسر هذا العالم، أشكرك و لاأستطيع شكرك كفاية».

(وإذ كان دمه يسيل قال له الحاكم) : هذه بداية فقط لما يجب أن تحتمله...

فأجاب : «من أجل مجد الله، أشكر الله إله الممالك، هوذا تلوح المملكة الأبدية، المملكة عديمة الفساد، يارب يسوع المسيح إننا مسيحيون ونخدمك أنت رجاؤنا رجاء المسيحيين، الإله الكلى القداسة، الإله العلى جداً، الإله القادر، نقدم التسابيح باسمك.

«وبعد ثيلكا كان دور السنياتور **داتيفوس** ولم يكن يكف عن أن يردد» :

«ياربى يسوع المسيح، لا تسمح أن أكون خازياً!».

(ولما كان داتينوس على المقصلة لم يكن منتبهاً إلى عذابات جسده بل كان يصلى إلى الرب) :

«يا أيها المسيح أرجوك تعال وأعنى، كن رحوماً وإحفظ نفسى! وليتنى لا أكون قط خازياً! أتوسل إليك أيها المسيح هبنى الصبر»!

(وكان **القس ساتورنيوس** يقاسى عذابات رهيبة حتى تعرت عظامه، وبينما كان المعذبون يشتدون عليه كان يكرر) :

«أرجوك أيها المسيح إستجبنى..

أشكرك ياالله . لتأمر ألا تقطع رأسى،

أرجوك أيها المسيح إرحمنى! يا ابن الله تعال إلى معونتى.

(وكان **إيميربتوس** خلال عذابات مشابهة يكرر نفس الأدعية).

«أيها المسيح أوجه إليك، أنت التسابيح! إنقذنى أيها المسيح فى إسمك، إنما العذابات إلى حين..)، (إنى سعيد أن أتعذب أيها المسيح من أجلك.، إسمح ألا أكون خازياً»!

(وقال **أمبيليوس** هو أيضا) :

«أيها المسيح إليك أوجه تسبيحى! إستجبنى أيها المسيح!

(وقال الشاب **ساتورتيوس**) :

«أتوسل إليك أيها المسيح هبنى الصبر، أنت رجاء حياتى».

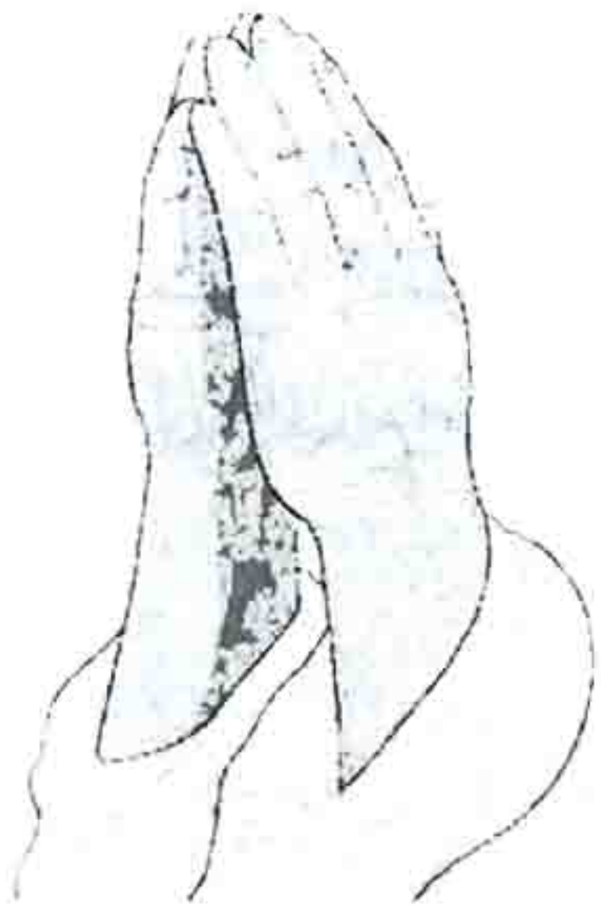
ساويرس : (من ثراس) :

(كان ساويروس قساً فى هيراقلية من ثراس باليونان، ومات نحو سنة ٣٠٤م، وأمكن إستخراج هذه الصلاة من كتاب طقس، قديم جداً، وهى كما هى مكتوبة ولم ينطق بها) :

(لقد جثا على ركبتيه وصلى إلى الرب بهذه العبارات) :

«أنت الميناء الهادئ لجميع أولئك الذين تضربهم الأمواج، أنت تعطى الرجاء لأولئك اليائسين، أنت خلاص المرضى وسند البؤساء ومرشد العميان، أنت تجرى رحمتك على أولئك المهددين بالعقاب، أنت قوة المنهكين ونور فى الظلمات وخالق الأرض وسيد البحر، بقوتك أنت ترتب العناصر والسماء والنجوم، فتكون جميع الأشياء كاملة..

إسمح ألا تحسبنى يارب غير مستحق لهذه الآلام التى تألم بها إخوتى، بل هبنى أن أنال نصيباً فى إكليلهم، وأن أكون متحداً فى المجد مع أولئك الذين كانوا شركائى فى الأسر، ليتنى أحصل على الراحة مع أولئك الذين أعترفت باسمك المجيد معهم».



صلوات بمجهولين :

خواطر إفخارستية من أوائل القرن الثالث

ياجنس (الإخثس) السمكة الإلهى IxΘus

(إخثس كلمة يونانية تعنى سمكة وكانت منذ القديم رمزاً للمسيحية والإيمان بيسوع المسيح لأن حروفها اليونانية الخمسة هى الحروف الأولى من الكلمات الخمسة التالية : «يسوع المسيح ابن الله المخلص»).

- إقبل بقلب ممتلئ تقديراً للحياة غير المائتة بين المائتين إنعش نفسك يا صديقى، بالمياه الحية، بأمواج الحكمة الأبدية التى تهب كنوزاً، إقبل الغذاء اللذيذ كعسل، مخلص القديسين، كل فى جوعك، وإشرب فى عطشك، إمسك بالأخثس (السمكة) فى راحة يدك».

(هنا إشارة إلى طريقة التناول القديمة حيث كان المؤمن يأخذ الخبز المقدس فى راحة يده اليمنى وهى متقاطعة على يده اليسرى وقد عادت الكنيسة فى بعض المناطق الى إتباع هذا التقليد).

- أطعمنا إذن أيها السيد والمخلص بهذه السمكة...

- أطلب إليك بكل شكر نفسى إحفظنى فى سلام (الإخثس) السمكة.

صلوات إفخارستية:

يارب نبشر بموتك، ونرتل أيها المسيح لقيامتك المجيدة، لقد حسبنا أهلاً للوليمة السرية التى لا يعبر عنها، لنشارك بفرح فى المواهب الروحية التى تقدمها لنا، ولنرتل مع الملائكة بنشيد النصرة هلليلويا!.

صلاة أثناء توزيع الأسرار المقدسة :

لنصلى إلى المسيح، جسد المسيح المقدس حمل الله.

الجسد المقدس لذاك الذى أسلم لأجل خلاصنا.

الجسد المقدس لذاك الذى أعطى تلاميذه أسرار نعمة العهد الجديد.

الجسد المقدس الذى به الذبيحة غير الدموية.

الجسد المقدس الذى برر الخاطئة الباكية ويطهرنا بدمه الخاص.

الجسد المقدس الذى قبل قبلة الخائن وأحب العالم حتى ألم الموت.

الجسد المقدس الذى أسلم طواعية لبيلاطس وهيأ كنيسة غير دنسة.

نعم نبارك ونمجد إسمك!

جسدك المقدس المصلوب لأجلنا، نأكله.

دمك الكريم المهرق لأجلنا، نشربه.

ليكن جسدك لخلاصنا ودمك لنتحرر من أخطائنا.

من أجل المر الذى شربته من أجلنا ليبعد عنا مر الشيطان.

من أجل الخل الذى شربته لأجلنا ليت ضعفنا يجد قوة.

من أجل البصاق الذى قبلته لأجلنا ليت ندى صلاحك يغطينا.

من أجل القضيب الذى ضربت به ليتنا نضمن الغلبة إلى المنتهى.

من أجل إكليل الشوك، جعلتنا أهلاً لإكليل غير مضمحل.

من أجل الكتان الذى كفنت به لنلبس قوتك غير المقهورة.

من أجل المقبرة الجديدة وقبرك فيها سنولد من جديد نفساً وجسداً.

من أجل قيامتك التى تدعونا إلى الحياة سنعيش ثانية ونقف عن اليمين أمام عدلك.

تسبحة للقيامة :

اليوم تأملنا ربنا يسوع المسيح على المذبح.

اليوم أطعمنا من الجمرة المشتعلة التى يسبح الشاروبيم أمامها.

اليوم سمعنا الصوت القوى واللطيف يقول لنا :

هذا الجسد يحرق أشواك الخطايا ويضئ نفوس البشر.

هذا الجسد لمسته نازفة الدم فبرئت من دائها.

هذا الجسد أتت إليه الخاطئة بكل قلبها وتحررت من وحل خطاياها.

هذا الجسد لمسه توما وأقر بهذه الصيحة ربى وإلهى.

هذا الجسد عظيم ومرتفع جداً وهو أساس خلاصنا.

ليلة الفصح

أيتها الليلة الأكثر ضياء من النور

أيتها الليلة الأكثر لمعاناً من الشمس

أيتها الليلة الأكثر بياضاً من السحاب

والأكثر بهاء من مصابيحنا

والأكثر حلاوة من الفردوس

أيتها الليلة التى لا تعرف الظلمة قط

إنك تطردين كل غفلة

وتجعلينا نسهر مع الملائكة

أيتها الليلة المرعبة للشياطين

الليلة الفصحية التى ننتظرها طوال العام

الليلة التى يتم فيها عرس الكنيسة

التى يولد فيها المعتمدون الجدد

ويفضح فيها الشيطان الرابض

الليلة التى يدخل فيها الوارث والوارثين إلى الميراث.

صلوات آباء الكنيسة الشرقية

أثناسيوس : († ٣٧٣)

(«تمجيد للبتولية»، مقتطفات من مؤلف ليس لدينا منه سوى قصاصات) :

أيتها البتولية صورة الله غير الفاسدة، شجرة الحياة.

أيتها البتولية الأرجوان وسط كل الأرجوانات، وجه الله غير المائت.

أيتها البتولية تاج المجد، وقضيب الملكوت!

أيتها البتولية نغم السر االعجيب، جميلة هى أكاليل ونصرات حروبك!

أيتها البتولية الممتلئة نوراً بالنسبة لألئك الذين يحبونك.

أيتها البتولية القريبة من الله ولكن المحتقرة من الناس.

أيتها البتولية الشفافية الطوعية والحياة السمائية.

أيتها البتولية هيكل الله وبيت الملك الكبير!

أيتها البتولية فردوس وخيمة الكل!

أيتها البتولية أنت جديرة بخيرات الرب.

أيتها البتولية التى من عائلة وميراث الله غير المائت.

أيتها البتولية لقد إستراح فيك خالق الإنسان المسيح كيما يكمل كل غلبته

أيتها البتولية الشجرة المزدهرة والحلاوة الدائمة.

أيتها البتولية الفردوس ومسكن الضابط الكل!

أيتها البتولية مجد الله وزينة رؤساء الملائكة

حياتك وروحك لهما جمال عظيم مثل الميراث الموعود لك

أيتها البتولية الجفول (النافرة) ، أنت.....

أفـــرآم

(يقول چيروم أن ميزة أفرآم هى أن مؤلفاته كانت تقرأ علناً فى بعض الكنائس بعد قراءة

الأسفار المقدسة وترجمها مبكراً اليونان الذين كانوا يفتقرون الى الشعر المسيحى..)

تسبحة إفخارستية

وبغتة إحتر يسوع بالحب وقام من العشاء، وبدأ يتمم السر، ويكمل البصخة الحقيقية.

فى عشية هذه البصخة المشهورة.

أمر الكنيسة أن تصنع ذكرى الحمل الذى قبل أن يموت لأجلنا، ترك لنا جسده ودمه.

يا لليلة اللامعة. التى إستعلنت فيها الأسرار، وختم العهد القديم وإغتنت فيها كنيسة الأمم، لتكن مباركة تلك الساعة العظيمة التى تقدس فيها العشاء.

صــلاة للمسيح المتألم :

«أرتمى تحت أقدامك يارب كيما أعبدك.

أشكرك يا إله الصلاح.

أدعوك يا إله القداسة.

أحنى أمامك ركبتى.

أمجدك أيها المسيح أنت محب البشر أيها الابن الوحيد.

ورب كل الأشياء الذى بلا خطية وحده.

لقد أسلمت ذاتك من أجلى أنا الخاطئ غير المستحق.

إلى الموت وموت الصليب، حتى ما تخلص النفوس المأسورة فى الشر.

ماذا أرد لك يارب من أجل صلاحك هذا؟!

المجد لك يامحب البشر ! المجد لك أيها الرحيم.

المجد لك ياطويل الأناة! المجد لك يامن تحل الخطاة.

المجد لك يامن أتيت من أجل أن تخلص نفوسنا.

المجد لك يامن لبست جسداً فى حضن العذراء.

المجد لك يامن أوثقوك وجلدوك.

المجد لك يامن سمروك على الصليب.

المجد لك يامن كفنت وقمت.

المجد لك يامن كرزوا باسمك وآمنوا بك.

المجد لك يامن صعدت إلى السماء.

المجد لك يامن أنت جالس عن يمين الآب.

وسوف تأتى بمجد أبيك مع الملائكة القديسين.

لتدين فى تلك الساعة المخوفة والرهيبة.

لتدين جميع النفوس التى إحتقرت آلامك المقدسة.

إن قوات السموات سوف تتزعزع وجميع الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسيرافيم سوف يظهرون فى مخافة ورعدة أمام مجدك.

وسوف تتزعزع أساسات الأرض.

ويرتعد كل ذى نسمة أمام جلالك السامى.

فى تلك الساعة ليت يدك تحمينى تحت جناحيك، حتى ما تخلص نفسى من النار الرهيبة.

ومن صرير الأسنان ومن الظلمات الخارجية.

ومن العبرات الأبدية، ليتنى أستطيع أن أمجدك مرتلاً :

المجد لذاك الذى تنازل ليخلص الخاطئ فى صلاح رحمته.

إغريغوريوس النازيانزى : († ٣٩٠ ص ٢٠٤)

صلاة إبان المرض :

قونى أيها المسيح فإن عبدك قد بطل.

وصوتى الذى كان يسبحك قد صمت، فكيف ترضى بذلك.

شددنى ولا تهمل كاهنك.

أود أن أعود ثانية إلى الصحة وأرتل لك وأطهر شعبك أرجوك يا قوتى لا تتركنى.

فإن كنت فى الضيقة قد نكثت العهد فإنى أود أن أعود إليك.

صلاة النجاة من الشيطان :

خلصنى خلصنى يا إلهى غير المائت من اليد الغريبة : ليتنى لا أكون مجرباً قط بأعمال شريرة وليت فرعون لا يعذبنى، ليتنى لا أسقط فى فخاخ المضاد أيها المسيح، ولا يقودنى إلى بابلون المظلمة التى تطفح بالجروح، إسمح لى أن أسكن فى ديارك وأقف وأرتل فيها بتسابيحك ليت نيران سدوم لا تسقط كالمطر على رأسى، فإحمنى بيدك القوية وإبعد عنى كل الويلات.

إغريغوريوس النيسى : († ٣٩٤)

أنت يارب حقاً، نبع صاف لا ينضب معينه من الصلاخ :

لقد رذلتنا ثم قبلتنا ثانية بكثرة رحمتك، لقد أبغضتنا ثم صالحتنا، لعنت (أرضنا) ثم باركتنا، لقد طردتنا من الفردوس ثم رددتنا إليه.

لقد نزعت عنا سدة أوراق التين من أجل أن تلبسنا (جلد) الخروف الملكى لقد فتحت أبواب السجن من أجل أن تعتق المديونين، نضحت علينا بماء من أجل أن تطهرنا من أدناسنا، لن يخزى آدم فيما بعد حينما تدعوه، ولن يخونه ضميره قط فيما بعد.

ولن يكون فى حاجة فى ما بعد إلى أن يختفى ويختبئ تحت أشجار الجنة، ولن يغلق سيف لهيب النار فيما بعد الطريق إلى الجنة، ولن يعطل فيما بعد أولئك الذين يقتربون منه كيما يدخلوا إليه.

لقد تغير كل شئ من أجلنا نحن الذين كنا وارثين للخطية إلى فرح شديد، وها نحن نرى الفردوس ينفتح حتى إلى السماء، والخليقة كلها – السماء والأرض – التى أنفصمت وحدتهما تترنم بالألفة الجديدة : لقد توافق البشر مع الملائكة، وهاهم يتغنون بمعرفة الله، ونود أن نصيح نحن بنشيد الفرح الذى رنم به صوت ملهم بالروح قديماً بالنبوة قائلاً :

«فرحاً أفرح بالرب لأنه ألبسنى ثياب الخلاص وكسانى رداء البر».

كما يتزين العريس بتاجه والعروس بالفرح فالذى يزين العروس إنما هو بالضرورة المسيح.

الذى كان وسيكون مباركاً.. من الآن وإلى الأبد آمين.

إبيفانيوس : من سلاميين († ٤٠٣)

(كان أصلاً من اليهود، ثم صار راهباً فى مصر، وأخيراً أسقفاً على جزيرة قبرص (سلامين) وكان مقاوماً للبدع، ونقتبس هذه التسبحة من كتاب له «عن البدع»، ولها صبغة كتابية).

نشيد للكنيسة :

تعالى من لبنان أيتها العروس إنك جميلة جداً.
وليس فيك عيب.
ياجنة المهندس الأعظم، مدينة الملك القدوس.
عروس المسيح غير الدنسة العذراء كلية القداسة.
أنت تشعين وتضيئين كالأكاليل.
وأنت موعودة بالإيمان للعريس الفريد.
أنت جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألوية.
الملكات تطوبنك والنساء يمجدنك والعذارى يمتدحن جمالك.
من هذه الطالعة من البرية، لامعة بنور بهى، معطرة باللبان.
من هذه الطالعة من البرية، كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان.
وبكل آذرة التاجر، تفوح بألذ العطور، ومن رآها يقول :
عطورك روائح طيبة، لذلك أحبتك العذارى.
لقد أخذت مكاناً عن يمين الملك، متسربلة بثوب لامع، مزينة بذهب نقى جداً.
حينما نأتى إليك ننسى جميع الخبرات المؤلمة التى للهرطقات، ونستريح عندك من العواصف التى تثير الأمواج.
أيتها الأم المقدسة الكنيسة، إننا نسترد قلوبنا فى تعليمك المقدس وفى الإيمان الوحيد وحق الله.

شنودة من القيروان: (†٤١٤) Synésius de Cyréne :

تسبحة لوالدة الإله :

نعطيك السلام يا مريم والدة الإله، الكنز الثمين للمسكونة كلها، النور الذى لا يطفأ قط، تاج العذارى، قضيب الحق الأكيد.

الهيكل غير المنقض، مسكن ذاك الذى لم يكن له أين يسند رأسه، العذراء والأم.

سيريالونا : (من القرن الرابع)

(غالباً من العراق وكان شماساً وربما أسقفاً، له ستة مدائح معروفة).

قداسة الكنيسة :

يارب لا تنظر إلى أولئك الذين يذنبون إليك، بل إلى أولئك الذين تستريح فيهم، كثيرون هم خدامك على الأرض الذين يعملون من أجل الحق وفى كل مكان تكتشف أديرة حيث يسكنها القوم الكاملون. oú habitent les hommes parfaits

إستمع هوذا الديارات تطن بمزاميرك والحقول بمدائحك.

رابولاس : († ٤٣٦) rabulas d'Edesse

تمجيد الشهداء :

أيها الشهداء المطوبون، أيها العناقيد البشرية فى كرمة الله، إن خمركم طيبة، أنتم أنوار إلهية ومجيدة.

قبلتم بفرح كل العذابات وغلبتم المعذبين الفاسقين.

مجداً للقوة التى آزرتكم فى جهادكم!

ليت الله الذى أتى من أجل خلاصنا يرحمنا.

حينما هيأ القديسون أنفسهم لوليمة العذاب، شربوا الشراب الذى عصره اليهود فى الجلجثة، وهكذا دخلوا إلى أسرار بيت الله.

ونحن أيضاً فلنسبح : التسبيح الذى أسكر الشهداء بدم جنبه!
كم هو عجيب العيد الذى يعده الآب فى السموات لابنه الوحيد!
والذى يدعو إليه الأنبياء والرسل والشهداء،
لقد احتجز الآب لمحبيه، مالم تره عين.
الابن احتجز لمدعويه ما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر، ونحن أيضاً فلنرتل : يامن دعيتم إلى مسكن النور، صلوا وإشفعوا فينا جميعاً.

بالائى : (†٤٦٠) Balai

(كان بالائى غالباً خورى إبسكوبس فى ألب ولم يتبق لنا سوى القليل من إنتاجه الشعرى، وكثير من ترانيمه إحتلت مكانها فى الليتورچية السورية).

صلاة لوالدة الإله :

طوباك أنت يا مريم لأن فيك كملت أسرار ورموز الأنبياء، لقد قدمك موسي فى العليقة المشتعلة وفى السحابة، ويعقوب فى السلم الذى صعد إلى السماء، وداود فى تابوت العهد،
وحزقيال فى الباب المغلق والمختوم.
هوذا أقوالهم الخفية تتحقق بميلادك.
المجد للآب الذى أرسل ابنه الوحيد.
كيما يستعلن بواسطة العذراء.
وليخلصنا من الخطأ وليتمجد تذكاره فى السماء كما على الأرض!

شنوده : (رئيس المتوحدين)

(نشأ فى أتريب بمصر، وقد نظم مثل باخوميوس حياة رهبانية)، والصلاة الواردة هنا مقتبسة من خدمة الظهيرة والمساء).

صلاة إلى الله :

إحفظنى يا الله دائماً فى العمل وفى الكلام وفى فكر القلب.

إحفظنى يا الله فى هذا العالم وفى ذاك العتيد أن يأتى.

لا تريعنى يا الله ولا تقلقنى، فى الساعة التى تفارق فيها النفس جسدى.

لا توبخنى يا الله حينئذ بغضبك ولا تعاقبنى بسخطك.

لا تحجب وجهك يا الله عنى حينما أتراءى أمامك.

ولا تحول وجهك عنى فى اليوم الذى فيه تدين أعمال الناموس الخفية والظاهرة!

لقد تجسد كلمتك يا الله وصلب من أجلى ومات وكفن ومات فى اليوم الثالث، فالصقنى بك لكى لا تسودنى الأرواح الشريرة وتنزعنى من يديك، لا تدعنى أعثر يا الله فى الأفكار ولا تسمح أن يجد المقاوم له فىّ شيئاً.

إجعل يا الله قلبى كالسيف الحاد ضد كل أفكار الخطية، حتى ما أستطيع أن أطردها من قلبى، يا الله يامن كلمت البحر فهدأ وطردت الأوجاع الشريرة من طبيعتى الخاطئة، حتى ما تنطفئ الخطية وتختفى من كل أعضائى.

هبنى يا الله دائماً قلباً نقياً فى الإيمان الأرثوذكسى. إلى جيل الأجيال آمين.

يعقوب السروجى : († ٥٢١)

كان يعقوب أسقفاً على بيتاتيا فى أوديسا وكتب عظات ورسائل، وكتابه شعرى وغنى أيضاً ولقد صنف تراتيل أدخلت فى الليتورجية.

تسبحة للعذراء مريم :

مطوبة هى، لقد قبلت الروح الذى طهرها وجعلها غير دنسة. لقد صارت هيكلاً يسكن فيه الابن الذى من أعلى السموات.

مطوبة هى، لأن بواسطتها أستعيد جنس آدم وإصطحب ثانية أولئك الذين كانوا قد غادروا بيت الآب.

مطوبة هى، لأنها استطاعت دون أن تعرف زرع بشر، أن تتأمل ابنها بلا عائق مثل الأمهات الآخريات.

مطوبة هى، لأن جسدها ظل بلا عيب وتمجد بالثمرة الغضة التى لبتوليتها.

مطوبة هى، لأن بطنها المحدود قد إحتوى عظمة غير المحدود، الذى يملأ السموات دون أن تستطيع أن تحده.

مطوبة هى، التى أعطت الحياة للسلف المشترك الذى ولده آدم، وقد جددت كل الخلائق الساقطة.

مطوبة هى، التى أعطت صدرها (كناية عن الهدوء والإطمئنان) لذلك الذى يهيج أمواج البحر.

مطوبة هى، التى حملت العظيم القوى الذى يحمل العالم بقوة خفية، وقبلته وغمرته بإحضانها الحانية.

مطوبة هى، التى قدمت للمسجونين محرراً، قيّد السجان ورد السلام إلى الأرض.

مطوبة هى، التى لمست شفاها، ذلك الذى أرجعت جمرته السيرافيم المشتعلون.

مطوبة هى، التى استطاعت أن تقيت من لبنها، ذلك الذى أعطى الحياة لكل العالمين.

مطوبة هى، االتى يدين جميع القديسون لابنها بسعادتهم، مبارك هو، قدوس الله، الذى نما من طهارتك.

رومانوس : (لوميلود) † ٥٦٠ Romanos Le Mélode

أشهر شعراء الكنيسة اليونانية، وهو أصلاً من أيميز Emése فى سوريا ألف ألف تسبحة حيث تقترن فيها الخواطر الكتابية مع التعابير الشعبية، ووجد بعض منها مكانه فى الليتورجية البيزنطية.

تسبحة (أكاثيست) لوالدة الإله : L'ymne achathiste á La Mére de Dieu

صنفها غالباً رومانوس وهى التآليف المشهورة فى الكنيسة البيزنطية وتعتبر تسبحة هتاف وهنا مثال لها :

الخطباء الثرثارون يصمتون مثل القيثارات : أمامك يا والدة الإله، إنهم لا يستطيعون أن يشرحوا كيف تظلين عذراء ويمكنك أن تلدين!

وإذ هم منذهلون من هذا السر نكتب نحن بإيمان.

إفرحى يا مسكن الحكمة الإلهية.

إفرحى يا مخزن المعونة الإلهية.

إفرحى يا من تظهرين الحكماء خاوين من الحكمة.

إفرحى يا من تجعلين المنطيقين صامتين.

إفرحى لأن جميع الشعراء ينضب معين فرحهم.

إفرحى لأنك هزأت بحيل الوثنيين.

إفرحى لأنك ملأت بطون الخطاة.

إفرحى لأنك تنتزعين من هوة الجهالة.

إفرحى لأنك تنيرين الكثيرين بمعرفتك.

إفرحى لأنك ملاذ لمن يريد أن يخلص.

إفرحى لأنك ملاذ من يبحرون فى هذه الحياة.

إفرحى أيتها العذراء والأم.

أمبروسيوس : (أسقف ميلان † ٣٩٧

أسقف ميلان وكان مهتماً بتكوين شعبه حسناً وبأن يحضر إليه الليتورجية، وهو أبو الغناء فى الغرب، وكثير من التسابيح التى ألفها ترتل أيضاً اليوم فى الخدمة الليتورجية) :

صلاة من أجل الغفران : ص٢٣٧

دعنى ياربى يسوع أن أغسل قدميك المقدستين، لأنك قد غبرتهما، بينما كنت تسير إلى نفسى، إسمح لى أن أغسل الأدناس التى بها إستهنت بخطواتك، ولكن من أين لى نبع الماء من أجل أن أغسل قدميك؟

فإذ لا أجده لا يبقى لى سوى عيونى كيما أبكى. وإن كنت أبل قدميك بدموعى

فلعلى أتطهر أنا أيضاً.

من أين لى النعمة لأنى أسمعك تقول : «لأن خطاياها الكثيرة قد غفرت لها لأنها أحبت كثيراً» ؟ علىّ أن أقر بأن ديونى كانت كبيرة جداً، وأكثر منها الخطايا التى غفرت لى، لأنى من زحمة المنصات والمسئوليات العامة للحياة أتيت إلى الكهنوت، وأخشى أيضاً أن أكون غير مخلص، فإن خطاياى كانت كثيرة وأحببت قليلاً.

إحم (تعهد) يارب عملك، وإحفظ فىّ النعمة التى وهبتها لى، رغماً عن زوغانى، كنت أعتقد أنى غير جدير بالأسقفية لأنى كنت قبلاً مكرساً للعالم، ولكن بنعمتك، أنا ما أنا عليه، إنى فى الحقيقة الصغير والأخير بين الأساقفة.

وحيث أنك أعطيتنى أن أعمل من أجل كنيستك، فاحم (تعهد) دائماً ثمار عملى، لقد دعوتنى إلى الكهنوت، فى الوقت الذى كنت فيه طفلاً ضائعاً، فلا تسمح أن أهلك الآن وأنا كاهن.

ولكن قبل كل شئ هبنى لأعرف أن أواسى الخطاة من كل عمق قلبى فتلك هى الفضيلة السامية لأنه مكتوب إنك لا تفرح بأبناء يهوذا فى يوم السوء، ولا تتمجد كثيراً حينما يعثرون بالشرور. هبنى أن أشفق على الخاطئ فى كل مرة أرى سقوطه، وليتنى لا أعاقبه بكبرياء بل ليتنى أبكى وأحزن معه، وهبنى حينما أبكى على قريبى أن يكون ذلك أيضاً على نفسى، وإن أتذكر القول : إن ثامار أبر منى.

تسبحة للكنيسة : ص٢٣٨

ليت الله يأتى ليخلق هذه المرأة (الكنيسة)، فإن تلك كانت عوناً لآدم، أما هذه على النقيض فهى عون للمسيح.

ليس قط أن المسيح محتاج إلى معين، ولكننا نحن نسعى ونحن نشتهى أن نبلغ إلى نعمة المسيح عن طريق الكنيسة.

هذه هى الساعة التى فيها تولد المرأة وهذه هى الساعة التى فيها تتكون وتتشكل وتخلق.

إن الكتاب المقدس يستعمل أسلوباً جديداً : «إننا مبنيون على أساس الرسل والأنبياء، والآن يتطور البيت الروحى إلى كهنوت مقدس».

تعال يا الله الرب، أسس المرأة وإبن المدينة ليأت إبنك، إنى أعطيك ثقتى حيث إنك قد قلت: «إنه سيأتى ويبنى مدينتى».

ها هى المرأة الأم الكونية، هوذا المسكن الروحى، هذه هى المدينة التى سوف تدوم إلى الأبد لأنها لن تذوق الموت.

إنها مدينة أورشليم التى نراها اليوم على الأرض، ولكنها سوف ترفع إلى ما فوق إيليا، لأن إيليا كان وحده.

إنها سوف تنقل إلى ما فوق أخنوخ الذى قيل عنه إنه لم ير الموت، فهو رفع حتى ما لايثر الشر قلبه قط.

أما الكنيسة فهى محبوبة من المسيح كعروس مجيدة مقدسة غير دنسة وبلا عيب، إنها ليست بعد شخصية معينة، بل الجسد كله الذى تشمله.

هذا هو رجاء الكنيسة، إنها سوف ترفع بغتة، وتخطف وتنقل إلى السماء.إيليا نقل بواسطة مركبة من نار، والكنيسة أيضاً سوف تنقل، ألا تصدقنى؟! صدق إذن بولس الذى يتكلم المسيح بواسطته :

«لأن (سوف تعطى إشارة) الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب».

صلاة من أجل الموتى :

يا الله والرب إن الإنسان لا يمكن أن يشتهى للآخرين أكثر مما يشتهى لنفسه، وأنا أدعوك أيضاً : لا تفصلنى بعد المنوت عن نعمة أولئك الذين أحببتهم هكذا جداً على الأرض.

يارب أرجوك إسمح أن هناك حيث أكون أنا يكون الآخرون معى حتى ما أستطيع أن أفرح هناك بحضورهم الذى حرمت منه هكذا مبكراً على الأرض.

أتوسل إليك يا الله العلى أسرع، وإقبل هؤلاء الأبناء المحبوبين فى حضن الحياة عوضاً عن حياتهم الأرضية القصيرة هنا، هبهم أن يقتنوا النعيم الأبدى.

إن الكاهن يشارك الخطر مع كل واحد ويختبر آلام جميع أولئك الذين يقتربون منه كخطاة.. إنه يتألم مع كل أحد ويفرح حينما يرى بعضاً قد تحرروا من الخطية.

اليوم ينكسر قلبى : إنه يصعب العثور على إنسان من أصل هذا الرجل (يعنى الإمبراطور ثيئوذوسيوس) يارب، يارب، إننا نرجوك، ليس لنا ملجأ سواك، ونتوسل إليك أن تجعله يحيا أيضاً فى أبنائه.

يارب لقد قلت إنك كنت أباً للصغار جداً.

فأعنى بأولئك الذين لا يلقون رجاءهم إلا عليك.

هب عبدك ثيئوذوسيوس الراحة الكاملة التى تذخرها لقديسك، ليت روحه تعود إلى السماء من حيث أتت، فليس للموت بعد سلطة عليها.

إنه يعرف أن الموت لا يخرب الكيان البشرى بل الخطية فقط، فمن مات فقد مات فى الخطية. هذا ليس له مكان بعد.

وأما هذا المتوفى فسيقوم إلى حياة كاملة.



تأملات فى سفر يشوع
للعلامة أوريجانوس *

سر يشوع بن نون :

لقد تسمى على اسم ربنا يسوع المسيح الذى «أعطاه الله اسماً فوق كل اسم» (فى ٢ : ٩)، ورغم إنه كان هناك أبرار كثيرون فى العهد القديم لكن لم يستحق ولا واحد منهم أن يطلق عليه هذا الاسم سوى يشوع بن نون.

وأول مرة يقابلنا فيها هذا الاسم هى فى سفر الخروج (ص١٧ : ٨ – ٩)، حيث نقرأ أن موسى يوكل إليه أمر اختيار رجال أقوياء كيما يخرج ويحارب عماليق، وهكذا نكتشف فى الحال السر الذى يرمز إليه اسمه لأن يشوع كان جديراً حقاً بأن يقود جيشاً، وهو انتصر فعلاً على عماليق، لذا كان رفع يدى موسى على مثال الصليب على تلة رفيديم رمزاً لنصرته عليهم لأنه سمر الرئاسات والقوات على صليبه ظافراً بهم فى نفسه (كو ٢ : ١٤).

عبور الأردن :

وعلى العكس مما حدث عند عبور البحر الأحمر، كان عبور الأردن بلا إضطراب ولا هروب ولا فوضى ناجمة عن إنزعاج، بل كان الكهنة يسيرون إلى أمام حاملين على أعناقهم تابوت عهد الله ودخلوا الأردن، ليس متخفين فى صمت بل وسط دقات طبول مدوية تثير جواً روحياً مهيباً، وليس كما حدث عند عبور البحر الأحمر حينما وقف الماء كسور على الجانبين عن يمين وعن يسار بل إن ماء الأردن وقف من ناحية واحدة فقط وجرى من الأخرى إلى البحر، لأن الذى «نقض حائط السياج المتوسط وجعل الإثنين واحداً» (أف ٢ : ١٤) جعل المياه أيضاً تقف نداً واحداً، (يش ٣ : ١٦).

---

* عن مجموعة المصادر المسيحية كتاب رقم ٧١ Sources Chrétiennes 71.

دخـول أرض كنعـان :

وأوصى يشوع الشعب بالإستعداد للدخول إلى كنعان، والإستعداد هنا هو الأعمال الصالحة التى ستصاحبنا كزاد أمين للطريق القادم أمامنا. ولنلاحظ إذن بتدقيق من أين يأمر يشوع الشعب بأن يأخذوا طعامهم؟ أولئك الذين لم يكن لهم قمح إذ كانوا يأكلون المن النازل من السماء، لأنه بمجرد أن عبروا الأردن كفَّ المن عن النزول، لهذا فإن كل من لا يعد مؤونته لن يستطيع أن يصاحب يشوع فى الدخول إلى أرض الميعاد. ولننظر أية غلة إبتدأوا يجمعونها فى أرض الموعد لأنهم لما دخلوا «أكلوا من غلة الأرض فى الغد الفصح فطيراً وفريكاً» (يش ٥ : ١١). وهكذا نحن أيضاً إذ نتبع يسوع بقلب مستقيم ونترك طرق هذا العالم الحاضر فإننا نجد غلة النصرة أمامنا وإذ نرفض ضمير الشر والخبث نتزود بفطير الإخلاص والحق.

راحـاب رمز لنفسنا :

إن نفس كل واحـد منا كانت مثل راحـاب الزانية حينما عاشت فى شهوات الجسد، ولكن ها هى الآن تستقبل طلائع يشوع الذين أرسلهم أمام وجهها ليعدوا لها الطريق (مر ١ : ٢). وإذا ما قبلناهم نحن أيضاً فلا نبقهم فى أماكن سفلية بل على السطح لأنهم أتوا من فوق لأننا قبلنا الرب يسوع من السماء.

أما عن عيدان الكتان التى خبأتهم فى وسطها فهى لا تخلوا أيضاً من معنى، فالكتان هو الذى تصنع منه ملابس الكهنة ويشير إلى أنها قد وُضعت على أولئك المدعوين للعمل الكهنوتى.

وسرعان ما صارت راحاب فى عداوة مع ملك أريحا الذى كان يريد القبض على الجاسوسين ولكنه لم يستطع لأنهما قد صعدوا إلى الجبال، لذا تردد نفوسنا نحن أيضاً مع راحاب : «رفعت عينى إلى الجبال» (مز ١٢٢ : ١).

وكلمة راحاب فى العبرية تعنى «إتساع»، فمن هى تلك إلا الكنيسة التى أعتبرت بين

الخطاة والتى تقبلهم كخارجين من زناهم، وحينما قالت راحاب للجاسوسين: «أنا أعلم أن إلهكم يعطيكم هذه الأرض» (يش ٢ : ٩)، أثبتت حينئذ أنها ممتلئة بالروح القدس وتشهد للماضى وتؤمن بالحاضر وتتنبأ للمستقبل، فها هى المسماة راحاب الحقيقية تنمو وتمتد إلى أن يبلغ صوتها إلى أقاصى الأرض.

ولننظر كيف أن راحاب أعطت نصيحة حكيمة للجاسوسين، وحبل القرمز الذى ربطته فى الكوة رمز للدم الذى ليس بغيره الخلاص، فمن يريد أن يخلص فليأت إلى منزل هذه التى كانت سابقاً زانية حيث يجد دم يسوع المسيح المخلص، لأنه خارجاً عن الكنيسة لا يوجد خلاص.

وقد كان هذا الرمز معلقاً فى النافذة لأن النافذة تضئ المنزل، وليس فقط إننا نستقبل منها النور الكامل بل أيضاً كل ما يبهر عيوننا وأنظارنا.

اليوم الممتد :

ولما قام ملوك الأموريين على يشوع قال له الرب : «لاتخفهم لأنى بيدك قد أسلمتهم.. فأزعجهم الرب أمام إسرائيل، وضربهم ضربة عظيمة فى جبعون... حينئذ كلم يشوع الرب وقال : «يا شمس دومى على جبعون ويا قمر على وادى إيّلون، فدامت الشمس ووقف القمر حتى إنتقم الشعب من أعدائهم (ص١٠ : ٨ - ١٥).

إن شمس البر الرب يسوع معنا نحن أيضاً ولا يكف عن مصاحبتنا ولا يتركنا قط، ليس فقط إلى يوم مضاعف بل إنه معنا «كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر» حتى نظفر بكل أعدائهم.

وعد الأرض :

والوعد الذى أعطاه يشوع لجنوده كل موضع تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم» (يش ١ : ٣)، له معنى آخر بالنسبة لنا، إنه يعنى النصرة على جنس الشياطين وقوات الأعداء، فإنى إذا إستطعت أن أغلب لوسيفوروس وأسحقه تحت أقدامى فسأستحق أن

آخذ مكانه فى السموات، وكل رذيلة من الرذائل لها ملاك من جنسها يثيرها فينا وإن لم نغلبها ونبيدها من أرضنا التى قدست يوماً بالمعمودية فلن ننال كل الميراث المعد لنا.

الحروب الروحية :

إنه فى أيام يشوع فقط وليس موسى قيل إن «الأرض إستراحت من الحرب.. ويقيناً إن أرضنا أيضاً المليئة بالحروب والمصارعات لن تستريح إلا بكلام الرب يسوع، لذا يوصينا النبى بالهذيذ بكلمة الله نهاراً وليلاً (مز ١ : ٢)، هذا الصوت الذى يشبه قرع الطبول التى توقظنا دائماً للحرب. فإنه أية منفعة أن نقلع عن خطايانا إلى حين ثم نعود إليها ثانية؟ وأية منفعة أن نغتسل ثم نعود فى الوحلة؟

لقد خرجنا من أرض مصر وعبرنا البحر الأحمر، وهوذا يشوع يردنا ثانية إلى موسى من أجل ختانة ثانية فى المكان المعروف بتل القلف ولكن ما يجب علينا نختتن منه ليس عبادة الأوثان بل الطمع عامة، حينئذ قال يشوع للشعب «اليوم قد نزعت عنكم عار مصر» (يش ٩ : ٥). وهو ينزع منا نحن أيضاً فى الواقع حينما نقطع منا الغضب والكبرياء والحسد والدنس والشح والظلم وكل الأوجاع حينئذ فقط سنزرع فى أرض الميعاد.

الأرض الحقيقية :

وربما يسأل واحد كيف إن ربنا يسوع المسيح ابن الله كان هو أيضاً خادماً لموسى؟

فنحن نجيبه من قول الرسول : لأنه لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس (غل ٤ : ٤)، فهكذا صار المسيح خادماً للناموس.

وقد أمر الله الشعب أن يعبروا إلى الأرض، ليس تلك التى أعطاها لهم بل إلى تلك «التى أعطيها أنا لكم».

وقد أعطاها لهم بعد موت موسى بواسطة يشوع، إنها يقيناً تلك التى عناها الرب بقوله: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت ٥ : ٥).

وماهى هذه المواضع التى تدوسها؟

لقد نزل تابوت عهد الله وفيه لوحى الشريعة فعلاً إلى قاع الأردن، واستقر على الأرض فى الأعماق السفلية، والإنسان لا يستطيع أن يرقى قط طالما أنه يسير على حرفية الشريعة، ولكن إن إستطعنا أن نرقى من الحرف إلى الروح وإن نتبع المعنى التاريخى إلى فهم أسمى حينئذ نكون قد صعدنا إلى الأماكن العالية التى يعطيها لنا الرب ميراثاً.

وإن أنت أدركت المثاليات من الكتب المقدسة وفهمت أن بها رموزاً للأمور السماوية حينئذ ستقبل هذه المواضع كميراث كقول مخلصنا الرب «هناك حيث أكون أنا يكون خادمى أيضاً» (يو ١٢ : ٢٦).

شعب الأبكار :

لقد قسم موسى الأرض للسبطين ونصف، أما يشوع فهو الذى قسم الأرض للأسباط الباقية، ولنتجه الآن بعيون قلوبنا نحو الرب الذى «يرفع البرقع عند قراءة العهد القديم» (٢ كو ٣ : ١٤)، ويعطى عبيده أن يتأملوا مجده بوجه مكشوف حتى نكتشف أن هذه جميعها إنما كتبت لأجل تعليمنا... فلنحاول إذن أن نرقى من الحرف إلى الروح ومن الرمز إلى الحقيقة ونبحث عن معنى السبطين ونصف الذين قبلا من موسى ميراثهم فى الأرض.

ليس صدفة أبداً أن من قبلوا ميراثهم على يد موسى النبى كانوا جميعاً أبكاراً. فرأوبين فى الواقع هو بكر لئية وجاد هو بكر زلفة ومنسى هو بكر أسنات المصرية، فأظن بالأولى أن هذا كان تخطيطاً مسبقاً لصورة الشعبين، فالواحد سيظهر أولاً فى ترتيب الطبيعة والثانى سيقبل بالإيمان والنعمة بركة الميراث.

وأولئك الذين قبلوا الميراث بواسطة موسى أى الذين أرضوا الله بالناموس لم يكن لهم حق الراحة إلا بشرط أن يعاونوا إخوتهم فى الحرب ولم يبق منهم فى أرضهم سوى النساء والأولاد فقط.

ونحن إذا جاهدنا اليوم أيضاً فى حروب هذه الحياة وخاصة ضد القوات المعادية لنا فإنه

يأتى لمعونتنا أولئك الذين تبرروا قبل المسيح تحت الناموس، فانظر مثلاً إلى ما يقوينى به إشعيا إذ يضئ روحى بقراءة أعماله، وإنظر إلى إرميا الذى يسرع لنجدتى كجندى خفيف مسلح للحرب وبسهام سفره يرعب الأعداء المفزعين ويبدد ظلمات القاتلين. وإنظر إلى دانيال الذى يحذرنا مقدماً من ضلالات ضد المسيح القادم إذ يبصرنا مسبقاً بالحضور الإلهى للملك المسيح، وإنظر إلى حزقيال وغيره من الأنبياء وكذا هوشع الذى يقود فريق الأنبياء الصغار الذين يتقدمون على الضفة الأخرى من الأردن، وكذلك أهلك الخمس ملوك الذين علقهم على خشبة وجميع الملوك الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل«واحد وثلاثون» (يش ١٢ : ٢٤)، أولئك الذين شغلوا الأرض المقدسة بالنجاسة وأوقفوا الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً على الشرور المريرة.

عبور الاردن :

لقد احتجز الأردن مياهه رهبة وإحتراماً لتابوت العهد حتى عبر خدام الله. وأنت أيضاً أيها المسيحى يامن عبرت مجرى الأردن بسر المعمودية، لك وعد كلمة الله بخيرات أكثر وأسمى، إنه يعدك طريقاً وعبوراً حتى عبر الهواء كقول الرسول : «ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء» (١ تس ٤ : ١٧)، فالبار إذن لا يخشى شيئاً قط بل كل الخلائق فى خدمته كما هو مكتوب «إذا إجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك إذا مشيت فى النار فلا تُلدغ واللهيب لا يحرقك» (ا ش ٣٢ : ٢).

لقد سمعنا عند الأردن فقط قول الرب ليشوع : «اليوم أبتدئ أرفعك أمام وجه شعبى» (يش ٣ : ٧) وهكذا يسوع أيضاً من بعد المعمودية إبتدأ يرتفع ويكون مرتفعاً أمام وجه شعبه، لأنه إن كان الذين يعتمدون للمسيح يعتمدون لموته – وموت المسيح لم يكتمل إلا بعد إرتفاع الصليب – فكل مؤمن لا يرتفع إلا منذ لحظة السر العمادى، فإن وجد اليوم مثل أولئك الكهنة الذين قادوا الشعب فى عبورهم الأردن فإن المياه تنشق أمامهم بل وعناصر الطبيعة كلها تبدى لهم خوفاً بإحترام.

المياه تقف نداً واحـداً :

وليس بدون معنى روحى أيضاً ما حدث إن جزءاً من المياه ينحدر إلى البحر والآخر يقف نداً واحداً كالحائط، لأنه إذا كان أولئك المعتمدين يحفظون حلاوة النعمة السماوية التى قبلوها، ولا يرجع واحد منهم إلى مرارة الخطية لما كتب لنا بالتأكيد إن جزءاً من المياه جرى وإنطرح فى هوة البحر المالح. وواضح أن هذا هو الفرق بين أصناف المعتمدين الفرق الذى نقرر بأسف وجوده دائماً - فإنه يوجد من يقبلون المعمودية المقدسة ويستسلمون ثانية لاهتمامات وجذب الشهوات، ويشربون من جديد من الكأس المالحة التى للخطية أيضاً المخلصون الذين يقفون «نداً واحداً»، لأنه لا يوجد فعلاً الذى نزل من السماء وإيمان واحد ومعمودية واحدة وروح واحد الذى شملنا جميعاً فى المعمودية.

أما عن دور الكهنة فى هذا العبور فكان هو إنارة الشعب وتبصيرهم بالحية النحاسية المعلقة أمامهم والتى كانت رمزاً للصليب كل من إلتجأ إليه نجا من سم الشيطان. لقد كانوا يسيرون قريبين جداً من التابوت بل كانوا يحملونه على أكتافهم على العكس من الشعب الذى كان على مسافة «ألفى ذراع»، فمغبوطون هم أولئك الكهنة واللاويون وليتنا نتذكر المكتوب «إن الذين يقتربون منى يقتربون من النار»[1].

بالحقيقة الذين إذ يقتربون من النار تضيذهم دون أن تحرقهم.

اليوم العاشـــر :

وليس عبثاً ماذكر أن ذلك العبور كان فى اليوم العاشر من الشهر وهو نفس اليوم الذى سبق فى مصر توقع حدوث سر الخروج فكان فيه الخروج من أرض مصر والدخول إلى أرض الموعد وبالحق إنه يعنى اليوم الذى نهرب نحن فيه من أخطاء العالم وندخل أرض المواعيد إن حياتنا الحاضر كلها يرمز لها بيوم واحد لذا جدير بنا ألا نؤجل أن نكمل

---

(١) لم يرد هذا الاقتباس فى أى سفر من الكتاب المقدس وربما إنه قرأ هذه العبارة فى كتاب ما وإنها منسوبة للمخلص، وإكتشفت أيضاً بهذه الصيغة تماماً فى مخطوطات نجع حمادى (Log. 82, Pi 95, 17 - 19).

«اليوم» أعمالنا الصالحة كيما ندخل إلى نعيم الكمال.

العبور سريعاً :

قال بولس الرسول إن جميع الذين عبروا البحر الأحمر إعتمدوا لموسى فى السحابة، ويمكننا أن نؤكد بالمثل أن جميع الذين عبروا الأردن إعتمدوا ليشوع فى الأردن باعتباره رمزاً للمعمودية، وليس عبثاً أن يقول الوحى الإلهى إن الشعب عبر النهر سريعاً، لأننا نحن الذين ننال معمودية الخلاص ونقبل أسرار كلمة الله لا يجب أن نسلك بعد برخاوة أو جمود لنسرع ونسبق حتى نعبر الكل أى نتمم كل الوصايا، وبعد أن نعبر علينا أيضاً بالحذر من تفريط الإهمال حتى لا تزل أقدامنا لأن داود يقول : «أما أنا فكادت تزل قدماى لولا قليل لزلقت خطواتى» (مز ٧٣ : ٢).

لذا لا يجب أن تقل غيرتنا للإحتفاظ بالفضائل عن غيرتنا لإقتنائها.

الإستعداد الروحى :

أما عن الأربعين ألفاً المتجردين للحرب والذين عبروا أمام الرب إلى عربات أريحا فهم أولئك الذين يوصينا بولس الرسول أن نكون متشبهين بهم إذ يقول : «منطقوا أحقاءكم بالحق» (أف ٦ : ١٤). وهو الذى ترمز إليه هذه المعدات العسكرية، لأننا كل مرة نكذب أو تخرج الأباطيل من أفواهنا فإننا نخلع عنا منطقة جندية المسيح.

ويخبرنا بولس أيضاً عن نوع هذه الحرب بعد المعمودية فيقول إنها «ليست مع لحم ودم»، إذن فلنهجم على مدينة هذا العالم الحصينة ولنخرب جدران الخطية الشامخة، أنظر إلى نفسك فقط فإنه فى داخلك بناء الشر الذى يجب أن ينهار من أساسه، وراقب جيداً قوة هذا الجيش المعادى الذى يقوم عليك من أعماق قلبك.

الختان الثانى :

لقد صدر الأمر ليشوع بن نون «إصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فإختتن بنى إسرائيل ثانية» (يش ٥ : ٢)، هذا هو ألختان الذى من الصخرة المسيح، وهو ما يمكن أن

نعبر عنه أنهم إختتنوا بصخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح، لأنه إن لم نتطهر بهذا الختان الثانى لا نستطيع أن ننزع عنا عار مصر أى إغراءات الرذائل الجسدية، إن بولس يطلق هذا العار علينا نحن الذين كنا قبلاً «أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين فى الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً» (تى ٣ : ٣)، ولكننا قد رفضنا كل هذه المخازى وبدلاً منها إرتبطنا بضمير صالح من نحو الله، ولكن لنحذر لأنه فى حالة التراخى تتراكم وتثقل علينا هذه المخازى من جديد، ولا نكون متهمين بعد فقط بهذه الشرور بل بتهمة تدنيس «دم العهد» الذى تقدسنا به لأننا هيكل الله ومن يدنس هيكل الله فسيفسده الله (١ كو ٣ : ١٧).

جرح الختـان :

إن أولئك الذين لا يطيعون وصايا الرب يدعون غلفاً، وحينما اختتن بنو إسرائيل لبثوا فى خيامهم حتى تم شفاؤهم، إذن بعد الختان لابد من إنتظار الشفاء. فمتى إذن سيلتئم جرح ختاننا؟ إن ذلك يقتضى تخليتنا من كل أخطائنا وتجريدنا من كل عاداتنا الرديئة وتصرفاتنا المفسدة.... **إنها لحظات التغيير الصعبة تلك التى علينا أن نبقى فيها ساكنين بلا حراك كما فى آلام الختان حتى نبلغ الالتئام والشفاء، وهذا يتأتى حينما نكمل بلا عناء واجباتنا الجديدة**. وحينما نعتاد على ماكنا نعتبره سابقاً صعباً بسبب عدم التعود عليه، وحينما تختفى أخطاؤنا بسلطان العادات الجديدة نكون قد شفينا بحق وحينئذ تصبح لنا الفضيلة طبيعة ثانية.

ونلاحظ أنه بعد الختان فقط إستطاع بنو إسرائيل أن يعملوا الفصح لأنه لا يستطيع أن يعمله من هو غير طاهر أو غير مختون.

الأطعمة الثلاثة :

وحينما خرج الشعب من مصر كانوا يحملون «عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم» (خر ١٢ : ٣٤)، ثم فى البرية أسقط الله لهم المن، وأخيراً حينما وصلوا إلى الأرض المقدسة أكلوا من غلة الأرض ولم يكن لهم بعد من. هذه

هى الثلاثة أنواع من الأطعمة، والأول لم يستعمله الشعب إلا فترة قصيرة وهو على ما أرى يمثل معرفتنا المحدودة التى قبلناها من تعليم المدارس، أما الثانى أى المن الذى نزل فى البرية فيمثل ما نغتذى به فى حياتنا الحاضرة حينما نتعلم من الناموس الإلهى، أما الثالث فحينما نستحق دخول أرض الموعد ونحصل على غاية مواعيد المخلص حينئذ سنأكل من غلة الأرض التى هى أفضل بكثير جداً بمقدار ما سنعاين الله وجهاً لوجه، حينما يختفى ماهو الآن «فى مرآة فى لغز» (١ كو ١٣ : ١٢).

أحذية النفس :

ولم نقرأ أن يشوع رفع نظره من قبل إلا حينما رأى رئيس جند الرب، ولم يكن ذلك سوى ربنا يسوع المسيح رب القوات الذى تخضع له «السلطات والكراسى والأرباب»، إنه ذاك الذى يقول للواحد : «أقيمك على عشر مدن وللآخر أقيمك على خمس مدن «إذ قد رجع» بعد ما أخذ ملكاً (لو ١٩ : ١٥).

ولم تكن أريحا لتعتبر أرضاً مقدسة إلا بوجود رئيس جند الرب عليها، ونحن إن كنا نتقدم إلى الرب ونحن نعتد بذواتنا أو نظن فى أنفسنا إننا جديرون بشئ ما فحينئذ يقال لنا «حل سيور أحذية نفسك حتى لا يقيدك أى رباط للموت». ثم قال الرب ليشع أنظر «قد دفعت بيدك أريحا...»، وكما فى مثل الإنسان النازل من أورشليم إلى أريحا والأعميين الذين قابلهما الرب قرب أريحا، يمثل هؤلاء جميعاً أناس هذا العالم المأسورين فى عمى الجهالة والذين أتى إليهم ابن الله. إن أريحا هذا العالم سوف تنقض أيضاً : «فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير» (١ كو ١٥ : ٥٢)، ولن ينقذ منها سوى راحاب وكل بيتها، تلك التى كانت زانية ولكنها الآن عذراء عفيفة للمسيح.

سقوط أريحا :

كانت أسوار أريحا – ولا تزال أيضاً – تتمثل فى عبادة الأوثان والآلهة الخادعة الناجمة عن حيل الشيطان ومخترعات الكذب التى للمنجمين والسحرة والعرفاء هذا فضلاً عن آراء الفلاسفة والمدارس الفكرية التى تحوط بالعالم كأسوار مغلقة، ولكن حينما يأتى الرب

يسوع المسيح الذى يمثله يشوع بن نون – فإنه يرسل كهنته ورسله حاملين أبواقاً مطولة التى هى تعاليم كرازته السامية السمائية وكان فى المرة السابقة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب إهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة (يش ٦ : ١٦)، كان هذا الهتاف بمثابة الصيحة التى يطلقها الجنود بروح واحد فى لحظة الهجوم على العدو كيما يستثيروا هممهم للمعركة، لذلك فليصنع كل منا لنفسه أبواق هتاف لنسمع بها كل حين أصوات «المزامير والتسابيح والأغانى الروحية»، وما أسعده بين الأمم ذلك الشعب الذى يعرف التسبيح للقوات السموية ويقتنى إدراك الأسرار والإيمان.

وعندما سقطت أسوار المدينة كان يشوع قد حذر الشعب قائلاً «أما أنتم فاحترزوا من الحرام»، وهذه هى عين تحذيرات الرسل حينما يقولون لنا الآن «لا تحبوا العالم ولا شيئاً مما فى العالم»، «ولا تشاكلوا هذا الدهر الحاضر»، وإلا فنحن ندخل الحرام إلى الكنيسة.

سر الإتحاد مع راحاب :

ونعجب جداً بعد ذلك إذ يقول الكتاب «واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت، أبيها وكل مالها وسكنت فى وسط إسرائيل إلى هذا اليوم» (يش.٦ : ٢٥).

إن الكتاب كثيراً ما يستعمل هذا التعبير «إلى هذا اليوم» ليشير به إلى نهاية الحياة أو نهاية العالم، وإلا فكيف يمكن أن نقول أن راحاب قد أتحدت ببيت إسرائيل إلى هذا اليوم؟ ويفسر لنا ذلك حديث بولس عن الزيتونة البرية وكيف طعمت «فى أصل الشجرة الجيدة» (رو ١١ : ١٧)، وهكذا صرنا نحن المؤمنين بالمسيح الشعب الذى من فوق رأساً لكل الأشياء بينما الذين بقوا غير مؤمنين الذين هم من أسفل فقد صاروا «ذنباً» (تث ٢٨ : ١١).

القسوة مع الخطاة :

ولا يمكننا أن نعبر أيضاً على ذلك الفصل الذى وقعت فيه جريرة شخص واحد على الجماعة، حدث ذلك عندما أراد الكهنة الذين تقدموا جميع الصفوف أن يظهروا

متسامحين مع الخطـاه، وإذ خافوا ألسنة الأشرار كيلا يصيبهم منها سوء تناسوا الحزم والشدة اللازمين لكهنوتهم، لقد فاتهم إطاعة أمر الرسول : «وبخهم بصرامة لكى يكونوا أصحاء فى الإيمان» (تى ١ : ١٣) وأيضاً وبخهم أمام الجميع لكى يكون لدى البـاقين خوف (١ تى ٥ : ٢٠)، لأنهم إذ يشفقون على شخص واحد خاطئ يعرضون الجميع للخطر حيث أن فساد إنسان واحد يدنس كل الشعب. لذلك قال الرب ليشوع بعد خيانة عخان بن كرمى «فى وسطك حرام يا إسرائيل فلا تتمكن من الثبوت أمام أعدائك حتى تنزعوا الحرام من وسطكم» (يش ٧ : ١٣).

ولننظر إذن ماذا كان هذا الحرام؟ إنه سرقة لسان ذهب شنعارى!! وفى الواقع إنه ليس أمر سرقة كمية ما من الذهب التى تدنس كل الجماعة، بل بالفطنة الداخلية ندرك عظم وخطورة هذه الخطية التى تتمثل فى إغراءات الفلسفات العالمية البعيدة عن الإيمان بالله.

رمـز المعسكرين :

إن كلمة عاى فى العبرية تعنى «الفوضى» أو بالأولى موضع قوات الأعداء التى يسودها الشيطان. هذه هى التى يهجم ضدها يشوع مقسماً قواته الى معسكرين فالأول رمز للشعب الذى قيل عنه «لم آت إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ١٥ : ٢٤)، وأيضاً «نعمة وسلام لكل إنسان يفعل الصلاح اليهودى أولاً ثم اليونانى (مت ١٥ : ٢٤)، أى للأممى الذى يأتى فيما بعد. فها هو الشعب الموضوع فى المعسكر الأول الذى يبدو هارباً مع يشوع. أما عن المعسكر الثانى المجتمع من بين الأمم والذى طلع مندفعاً بعد ماكمل إنتظاره – ولعمرى من هو ذاك الذى طلع محققاً الخلاص للأمم – فإنه يهجم من الخلف ويضرب المضادين بقوة عظيمة، وهكذا إذ يغلق الفريقيين على جماعة الشياطين يسحقونهم ويظفرون بهم.

وربما يسأل واحد عن كيف أن المعسكر الأول يهرب؟ وهذا حق، ولكنه هروب ظاهرى فقط. لأن من يتبع يسوع لابد أن يهرب من ثقل الناموس والممارسات الطقسية والسبت والختان والذبائح الدموية. وإذ نأخذ فى إعتبارنا الحركة الثانية أيضاً نجد أنه لا يعتبر هروباً

بالنسبة لمن يتبع المسيح الذى هو كمال وغاية الناموس.

خشبة الصليب المزدوجة :

إن ملك عاى يمكن أن يشبه بالشيطان، فكيف يمكن إذن أن يصلب ذلك الأخير؟ وقد صلب ملك عاى «على خشبة مزدوجة» (يش ٨ : ٢٩)، وصليب ربنا يسوع المسيح أيضاً كان مزدوجاً. وها أنت تدهش من هذه الحقيقة التى تبدو جديدة، ولكن هذا يعنى أن الصليب له وجهين فقد صلب ابن الله بالجسد عليه عياناً بينما من ناحية أخرى غير منظورة صلب الشيطان وكل قواته ورئاساته. وهكذا فصليب الرب له معنى مزدوج. فالأول يقول عنه بطرس الرسول «إن المسيح صلب تاركاً لنا مثالاً» (١ بط ٢ : ٢١)، كما أن بولس يتكلم عن وجهى الصليب بقوله «... الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم» (غل ٦ : ١٤)، وذلك على مثال المسيح والشيطان كما سلف القول، ونحن أيضاً مصلوبين عن العالم حينما يأتى رئيس هذا العالم ولا يجد له فينا شيئاً، وكذا يعتبر العالم مصلوباً لنا حينما نرفض كل مجاذبات الخطية. على أن هزيمة الشيطان وصلبه لن تكمل إلا فى مجئ المسيح الثانى حينما يبطل آخر عدو وهو الموت. وإذ يقول الكتاب أن يشوع «أحرق عاى وجعلها تلاً أبدياً إلى هذا اليوم» (يش ٨ : ٢٨)، فهذا واضح أنه يرمز للنار الأبدية، حيث يقول للأشرار «إذهبوا عنى إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وكل جنوده» (مت ٢٥ : ٤١).

الحجارة الحية :

إننا فى بناء المنازل المادية نضع الحجارة الأكثر ضخامة قرب الأساس، أما الحجارة الصغيرة فتوضع إلى أعلا قرب السقف.

هكذا يعلمنا بولس الرسول أننا «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢ : ٢٠). وكيما نعد أنفسنا لنكون حجارة قريبة من الأساس فى هذا البناء يجب أن نعرف أنه المسيح نفسه الذى هو الأساس فى هذا البناء كما يؤكد الرسول «ليس أحد يستطيع أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع» (أى المسيح

يسوع» (١ كو ٣ : ١١)، فطوبى لأولئك الذين يبنون بقداسة روحية على هذا الأساس السامى. وفى هذا البناء الذى هو الكنيسة يلزمنا أيضاً مذبح، وأعتقد أن جميع الذين هم حجارة حية مستعدون أن يكونوا مذبحاً حينما يعزمون على التفرغ للصلاة ليقدموا طلباتهم نهاراً وليلاً، بل ويقدموا ضحايا تضرعاتهم لأنه بهم يسر المسيح أن يبنى مذبحه. والحجارة التى لم تمس التى إستعملها يشوع فى بناء المذبح تعنى النفوس التى بلا عيب أو دنس سواء فى الجسد أو فى الروح، وهى لم يعل عليها أزميل أى أنه لم تصبها سهام الشهوة التى هى سهام إبليس الملتهبة ناراً.

وكتب موسى على الحجارة «نسخة توراة موسى» أى تثنية الشريعة وكيما تعرف كيف أن يشوع أبطل الشريعة الأولى علينا أن نقرأ قول الرب الذى تكرر بالإنجيل غير مرة «سمعتم أنه قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم .....» (مت ٥ : ٢١)، هذا هو ماكتبه يسوع على ألواح قلوبنا اللحمية ليس بحبر بل بروح الله الحى (٢ كو ٣ : ٣).

فئتا المؤمنين :

«وجميع إسرائيل .. وقفوا إلى جانب التابوت .. الغريب كما الوطنى نصفهم إلى جهة جبل جزريم ونصفهم إلى جهة جبل عيبال» (يش ٨ : ٣٣). لقد تقدمت الأسباط النبيلة على جبل جزريم من أجل البركة، وهى أسباط شمعون ولاوى ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين، بينما تقدمت الأسباط الستة الأخرى على جبل عيبال من أجل اللعنة. وهى التى بينها رأوبين الذى صعد على فراش أبيه ودنسه وكذا زبولون آخر أبناء ليئة.

فالأولون هم أولئك المشتغلون بشهوة الوعود السمائية والذين يبدون غيرة وحمية فريدة حتى لا يفوتهم أى وعد بالخيرات، وهم يبتغون ليس فقط أن تكون البركة من نصيبهم بل وأن تكون لهم شركة فى ميراث القديسين، إنهم يبتغون أن يكونوا دائماً فى حضرة الله، وأما الباقون فهم إن كانوا يبحثون أيضاً عن الخلاص إلا أنهم أقل إشتياقاً للبركة السمائية، فالأولون يتقدمون عن حب أما الآخرين فعن خوف من الله. وواضح أنه من ضمن أولئك الذين وقفوا بجانب التابوت «الغريب كما الوطنى»، فالغرباء هم الفئة التى تمثل الموعوظين

حديثى الإيمان، كما أن النساء والأطفال المذكورين يمثلون أيضاً غير الكاملين الذين لا يزالون يتعلمون من غيرهم.

حيلة الجبعونيين :

وحينما رأى الجبعونيون أن يشوع إنتصر على أعدائه، تحايلوا كيما يوقعوا معه صلحاً لضمان نجاتهم وسلامة بلادهم، ولكنهم فى الواقع يمثلون أدنى درجة من المؤمنين المخلصين لأنهم جاءوا يطلبون خلاصهم من يشوع ومعهم كل شئ عتيقاً، لقد كانوا يحملون معهم الجوالق والزقاق والنعال والخبز وقد صارت بالية، وقد قبلهم يشوع إذ هم يؤمنون بالله ويكنون الإحترام لخدامه وعبادته، لذا فهم سيخلصون رغم بقائهم على حال يستحقون اللوم عليه «لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد» (١ كو ١٥ : ٤١).

ويتكلم هرماس الراعى فى كتابه عن مثل هذه الجماعة إذ يحكى عن شجرة يابسة غير مثمرة تسند كرمة وفيرة الثمر، فمع كونها يابسة تماماً إلا أنها تبدو ضرورية ونافعة من حيث أنها تخدم الكرمة المثمرة... أما أنا فلا أريد أن أحصل على الخلاص على مثال الجبعونيين ولا أن أحسب مع محتطبى الحطب وناقلى الماء الذين يمثلون من لم يخلعوا عنهم سلوكهم العتيق ومن لم يتجددوا بروح ذهنهم، فالجبعونيين ليسوا مثل راحاب التى قبلت الجاسوسين بكل إخلاص، فكيف والحالة هذه يستحقون حرية الحياة والمشاركة فى الملكوت.

فليعلم إذن كل من لم يمارسوا العفة بعد أو لم يسيطروا على الغضب ولم يقمعوا الشهوة ولم يتخلصوا فى حديثهم من الشتم والسباب وكل من يرفضون التقويم ويصرون على سلوكهم حتى الهرم، فليعلموا أن يشوع لن يعطيهم نصيباً إلا مع الجبعونيين، لذا فلنجتهد أن نرفض جوالق رذائلنا العتيقة حتى نشارك فى حرية الإسرائيليين. ويعلمنا الناموس أن العبد العبرانى كان يطلق حراً بعد خدمة ست سنوات أى فى العام السابع (خر ٢١ : ٢)، فأنت هو العبد العبرانى الذى بعد قبول المعمودية سقطت فى عبودية الخطية إلى حين، ولكن هيا أسرع وعُد بإشتياق إلى حريتك، والرقم سبعة يشير إلى

وصايا الناموس بينما الرقم ستة يشير إلى هذا العالم، فإن كان الأمر يتعلق بوعد الخيرات الأبدية أفلا يستحق منا كل اهتمام!!

عهد يشوع :

فإجتمع ملوك الأموريين الخمسة ونزلوا على جبعون وحاربوها (يش ١٠ : ٥)، حينما تعقد النفس البشرية عهداً مع كلمة الله، فلاشك أن الأعداء سيقومون عليها سريعاً، وأن أصدقاءها بالأمس سيصبحون لها اليوم مقاومين، ولن يكون ذلك فقط من قبل الناس بل أيضاً من قبل قوات الشر والأرواح الرديئة (٢ تى ٣ : ١٢)، هكذا نجد اليوم أيضاً سكان جبعون محاصرون برغم أنها بلاد صغيرة وبرغم أنهم تبعاً للعهد مع يشوع محتطبى حطب وناقلى ماء. وهذا يعنى أنه مهما كان الإنسان أخيراً فى الكنيسة فإنه منذ أن يرتبط بالرب يسوع يعانى من هجوم الخمس ملوك. ومع ذلك فالجبعونيون لم يهملوا قط من أية عناية سواء كان من قبل يشوع أو من شيوخ الإسرائيليين، بل أنهم قد أعانوهم على ضعفهم كوصية الرسول «شجعوا صغار النفوس» (١ تس ٥ : ١٤).

وهكذا الأمر أيضاً مع يسوع فإنه يساعد الذين يحاربون من أجل اسمه إذ أنه لا يؤازرهم فقط فى الحرب بل يطيل نهار يومهم ويؤخر حلول ليلهم.

ونحن نعلم أنه منذ مجئ الرب يسوع صارت نهاية العالم، وهو أيضاً الذى قال «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤ : ٧)، ولكنة أجل يوم النهاية حتى ما يكمل ملء الأمم (مز ٢ : ٨)، فإن شمس البر لا تميل قط، بل تشرق دائماً وترسل أشعة الحق فى قلوب الذين يؤمنون. إذا فطالما لنا نحن النهار وما دام لنا وقت النور فلنعمل أعمال النور ولنسلك بلياقة كما بالنهار (رو ١٣ : ١٣).

ونحن نستطيع التمييز بين نوعين من الحرب، الأولى للمتقدمين الكاملين مثل حرب بولس مع أهل أفسس أى «مع السلاطين والرؤساء وأجناد الشر الروحية»، والثانية التى للمبتدئين أى مع شهوات الجسد، وهذا فى الواقع هو ما تشير إليه هذه الحادثة، فقد أعلن الخمس ملوك الحرب على الجبعونيين الذين يرمزون للمسيحيين غير الكاملين المحاصرين،

بحروب الحواس الخمس، أما المغاير التى هربوا ليختبئوا فيها فهى تشير إلى الأعمال الأرضية والاهتمامات العالمية التى إنغمسوا فيها، وحينما إنتهى الشعب من دحر جميع أعدائه قال يشوع أخرجوا الملوك من مغارتهم... حينئذ دعا كل رجال إسرائيل وقال لقواد الحرب تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك تشددوا وتشجعوا لأنه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم (يش ١٠ : ٢٤).

ثم علقوهم على خمس خشبات حتى المساء وكان الأسلوب من يشوع ليس من قبيل القسوة ولكن ليدل به عما هو عتيد أن يكون لنا، حتى حينما نقتل الملوك الذين يضمنون سيادة الخطية علينا يتحقق لنا قول الرسول «قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة» وهذا هو عين العدل والصلح.

وإن كان «ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه» فلماذا يلام يشوع إنه قد إستعمل القسوة فى قتل أعدائه. والحرب الروحية تستحق فعلاً ماكتب عن المحاربين القدماء إنه قد رجع جميع الشعب إلى المحلة إلى يشوع فى مقيدة بسلام ولم يسنن أحد لسانه على بنى إسرائيل (يش ١٠ : ٢١)، وهكذا نتيقن أنه لن يصيبنا أى جرح من سهام الشرير الملتهبة ناراً أو أى دنس فى القلب أو أى تميع فى الفكر. وعلى ما أرى أن هذا التعبير «لم يسنن أحد لسانه» إنما يعنى إنه لم يتباهى أحد منهم بالنصر ولم ينسبوه إلى أنفسهم عالمين أن يشوع هو الذى إنتصر لهم، وهكذا يمنعنا أيضاً الرب من أن نتباهى بنجاحنا، فليتنا إذن نكون جديرين بإستحقاق نصيب فى ميراث الأرض المقدسة، إذ بعدما نكون قد أبدنا كل أعدائنا حتى لم يبق منهم نسمة بيننا وحتى لم يبق منهم شارد (يش ١٠ : ٤٠) يتنفس فينا فقط روح المسيح الذى يستعلن فى كل أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا.

حينئذ جمع يابين ملك حاصور عدداً كبيراً من الملوك فى تكتل عظيم ليحارب إسرائيل وقال الرب ليشوع «لا تخفهم لأنى غداً فى مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل» (يش ١١ : ٦). ومن ذلك نفهم أننا اليوم لا نستطيع أن نسحق كل أعدائنا أو نقتلهم جميعاً ولكن سيتحقق لنا ذلك يقيناً فى الغد التى تعنى بعد إنقضاء الدهر الحاضر

أى فى الأبدية السعيدة.

وعندما إنتصر يشوع على حاصور وضرب ملكها بالسيف ضرب أيضاً «كل نفس بها وصرفوهم حتى لم تبق نسمة» (يش ١١ : ١٢).

وبهذه الكلمة الأخيرة يعلمنا أيضاً ألا نُبقى فينا مكاناً لأى حركة للشر أو الخطية لأنه إذ تحرك فينا الغضب على سبيل المثال، حتى ولو لم يخرج إلى حيز التنفيذ سواء عن خوف من الله أو الناس – فذلك لا يكفى لأنه إذا حنقت النفس أو إحتدت حتى لو لم نسئ للغير بالفعل فإن ذلك لا يليق قط بجندى للمسيح. هذا فضلاً عن أنه إذا أبقينا أى نسمة من الأعداء على قيد الحياة أى إذا تعاطفنا مع أى من الرذائل السابقة فإننا لا نستطيع أيضاً أن نكون جنوداً للمسيح، ثم نقرأ أيضاً ما يؤكد ضرورة القسوة مع الأعداء: لأنه كان من قبل الله أن يشدد قلوبهم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة فيحرموا فلا تكون عليهم رأفة بل يبادون كما أمر الرب موسى (يش ١١ : ٢٠). فطوبى إذن لمن يبقى سيفه مروحى مشهوراً دائماً على أعناق أعدائه، كما يقول أرميا النبى «ملعون من يعمل عمل الرب برخاء وملعون من يمنع سيفه عن الدم» (أر ٤٨ : ١٠)، ثم يقول الكتاب «وأخذ يشوع كل الأرض وإستراحت الأرض من الحرب» وفى الواقع أن هذا لن يتحقق بالتمام إلا للكاملين المؤمنين بالرب يسوع حينما تبدأ تكف لديهم الحرب بين الجسد والروح.

العمر الروحى :

«وشاخ يشوع وتقدم فى الأيام»، ونحن لا نطلق كلمة الشيخوخة على من تقدم فى سنواته الأرضية وإلا قيلت عن آدم ومتوشالح أو نوح، بل بالأولى على من تقدم فى الحكمة والنضج فى الحياة وهى قد قيلت هنا عن يشوع بمعنى أنه تقدم فى طريق الكمال، فكما أن تكرار طلوع الشمس علينا بمضى الزمان يؤدى إلى تقدم أيام العمر، كذلك شمس البر يسوع يزيدنا أياماً روحية مضيئة بنور الحق وإنارة الحكمة، فالأبرار إذن يتقدمون إلى الأيام السعيدة تحت لواء شمس البر الأبدى.

«وقال الرب ليشوع بقيت أرض كثيرة للإمتلاك»، نعم بقيت أرض كثيرة فى تلك

الأيام التى هى كل دائرة أرض الفلسطنيين كيما يجدّ الشعب ويمتلكها... (يش ١٣ :٢)، أما فى زماننا هذا فإننا نرى أشياء بعد باقية وغير مخضعة تحت أقدام الرب يسوع الذى يجب أن يخضع له الكل لأنه لا يمكن أن يأتى الإنقضاء إن لم يخضع له الجميع.

ونحن نذكر أن موسى قد أجرى قسمة أولية للأرض عبر الأردن خارج أرض الميعاد وهى تمثل أولئك الذين عاشوا تحت الناموس، أما القسمة الثانية التى فى أرض الموعد فهى لألئك الوارثين الذين يأخذون نصيبهم من يشوع وكما ساعد الأولون إخوتهم حتى إمتلكوا الأرض فأننا هكذا نرى أن جميع الذين سبقوا ورقدوا يؤازروننا بصلواتهم، بل أن مجمعهم سيحتوى مجمعنا – أو كتعبير أحد الآباء أن مجمعهم سيبتلع مجمعنا «كما يلحس الثور خضرة الحقل» (عد ٢١ : ٤)، **وهذا حق لأن الكنيسة المنتصرة غير المنظورة ستبتلع وتكتسح جميع المقاومين لنا بصلواتها.**

اللاويون الروحيون :

إن الذين أرضوا الله بالناموس ونعنى بهم السبطين ونصف عبر الأردن والذين سبقوا الذين بلغوا المواعيد بواسطة يشوع بالإيمان – لا يبلغون إلى الكمال بل ينتظرون من يرضون الله بعدهم حتى لو كانوا فى عصر مختلف، ولكنهم جميعاً فى وحدة الإيمان، وهذا هو ما عناه بولس الرسول بقوله «حتى لا يكملوا بدوننا» (عب ١١ : ٤٠). وإن كان اللاويون لم يأخذوا نصيباً لا فى عبر الأردن ولا فى أرض الموعد فهذا لا يعنى إلا إنه فى كنيسة المسيح أيضاً يوجد من يتقدمون على غيرهم بفضائلهم وجدارتهم لأن الرب ميراثهم، وعلى ذلك نجسر أن نقول أنه بين مجموع المخلصين فى الكنيسة غالبية عظمى لهم إيمان بسيط فى خوف الله ويرضون الله بأعمالهم الصالحة وأخلاقهم الأمينة، ولكن قليلون هم الذين يتكرسون لإقتناء الحكمة والعلم بل إنهم نادرون جداً هؤلاء هم الكهنة واللاويون الذين إختاروا الرب ميراثاً لهم ينعمون بالحكمة التى يمتازون بها عن الآخرين.

ونلاحظ أيضاً أن موسى لم يعط اللاويين مدناً فى الأرض التى قسمها عبر الأردن بل إن يشوع هو الذى وزع مدن الملجأ سواء للسبطين ونصف أو للباقين، ولعلنا نكتشف هنا

أيضاً معنى جديداً يدخلنا فى عظمة أسرار يشوع. فهذا النظام اللاوى السرائرى الذى يكرس كل نشاطه لتحصيل الحكمة ومعرفة الله لم يستطيع أن يقبل من موسى نصيب مسكنه لأن موسى لم يكن خادم السمويات بل ظلها ومثالها فقط أما ربنا يسوع فهو حكمة الله الذى يعطى للحكماء مسكنهم، إن موسى لم يستطع أن يقول فى الواقع «إذهب وبع كل أموالك وأعطها للفقراء وتعال إتبعنى»، ولا أن يقول «إن كان أحد لا يبغض أباه وأمه.. لا يقدر أن يكون لى تلميذاً»، ولهذا فموسى لم يستطع أن يعد مساكن اللاويين. فطوبى للذى يظهر مثل هذا الكمال بإتمام وصايا يسوع لأنه سيقبل منه مستقبلاً نصيب مسكن سماوى، حينئذ سيمكنه أن يقول مع الرب «أريد أن هؤلاء يكونون معى» (يو ١٧ : ٢٤)، ومن كان له الرب نصيباً فله الحكمة والبر والسلام والفداء.

كما نلاحظ أن اللاويين الذين نصيبهم الرب كانوا يسكنون وسط بنى إسرئيل الذين نصيبهم الأرض حتى ما يتعاونا وحتى يكمل قول الرسول لتصر فضالتكم لأعوازهم (٢ كو ٨ : ١٥) لأنه لابد من تعاون الإكليروس والعلمانيين فى خدمة بيت الرب، وإلا فإن لم تعدّ الزيت فكيف يضئ المصباح.

فإن كان موسى قد قسم الأرض للسبطين ونصف عبر الأردن ويشوع قسم باقى الأرض على بقية الأسباط فإن الرب يسوع المسيح عند تقسيم أرض الموعد الحقيقية سيشرك أسباط إسرائيل الحقيقى إسرائيل الروحى الذين هم الرسل القديسون الذين قال لهم الرب «تجلسون معى على اثنى عشر كرسياً وتدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر» (مت ١٩ : ٢٨). وفى نفس الوقت سيشترك أيضاً فى القسمة أليعازر الكاهن الذى قيل أنه ملّك الأرض لبنى إسرائيل مع يشوع (يش ١٤ : ١) وهو رمز للرب يسوع ابن الله الكلمة السرى الكاهن السرائرى لله.

كالب بن يفنه رمز القلب :

وها هو كالب بن يفنه الأول فى إستلام الميراث من يد يشوع، لأنه كان الأول فى تقديم طلبه ليشوع. والكلمة فى العبرية «مثل القلب»، فهو لا يشبه بأى عضو فى جسم

الإنسان بل بالقلب أكثر الأعضاء كرامة لأنه يتكيف بالعقل والحكمة مع كل شئ، فمن هو إذن الذى يشبه القلب إلا الذى يكرس كل إهتمامه للحياة بحسب الروح، أما الكلمة يفنه أبوه فتعنى «توبة أو رجوع»، إذن فكالب هذا هو ابن التوبة، ونحن نسمعه يقول ليشوع «فالآن ها أنا اليوم بن خمس وثمانين سنة فلم أزل اليوم متشدداً كما فى يوم أرسلنى موسى، كما كانت قوتى حينئذ هكذا قوتى الآن للحرب» (يش ١٤ :٠ ١، ١١).

والقديسون فى الحقيقة تبقى قوتهم فى الحاضر كما كانت فى الماضى لفهم أمور الناموس كما أيضاً الإنجيل، لأن القلب الصاحى له نفس القوة لإدراك أسرار العهدين، لقد طلب كالب الجبل، والقديسون لا يطلبون أموراً سفلية أو نافلة مما يوجد فى أسفل الأودية بل كما هو مكتوب «جبلاً مغطى بمدينة حصينة عظيمة» (يش ١٤ : ١٢).

ميراث الآباء الكبار :

إن كلمة حبرون فى العبرية تعنى «إتحاد أو زواج» وفى هذه المدينة توجد المقبرة المزدوجة التى كان قد أعدها إبراهيم أبو الآباء حيث ترقد رفات الآباء الكبار وزوجاتهم، أعنى إبراهيم وسارة وإسحق ورفقة ويعقوب وليئة. إذن فقد إستحق كالب أن تكون له رفات آبائه ميراثاً، فيقيناً أنه بسبب الحكمة التى كانت له والتى جعلت قوته فى زمان يشوع كما كانت فى زمان موسى، هذه الحكمة جعلته يفهم حكمة هذه الزيجات ويتعمق دوافعها فلماذا رقدت هناك سارة ورفضت هاجر وقطورة، ولماذا رقدت ليئة وحدها بجوار يعقوب وليس راحيل المحبوبة ولا واحدة من سراريه معه فى المقبرة...، فليتنى أقبل أنا أيضاً ميراث إبراهيم وإسحق ويعقوب وليت إله آبائى يكون لى أيضاً ميراثاً أبدياً فى المسيح يسوع ربنا.

وإنك إذا كنت تريد أن تأخذ ميراثك من يد يشوع عليك أولاً أن تجعل جميع الحروب تكف وتقيم السلام حتى تقول عن هذه الأرض التى هى جسدك الخاص «واستراحت الأرض من الحرب».

الحدود المزدوجة :

وبالنسبة لحدود يهوذا نجد أن الكتاب يذكر حدين فقط من الجهات الأصلية الأربعة ويصمت بالنسبة للحدين فى الجهتين الأخريين. فهو مكتوب أن حدود يهوذا حسب عائلاتهم عند حدود آدومية ناحية صحراء سيناء نحو الغرب أما الحدود الشرقية فهى كل بحر الملح وتصمت من حيث الشمال والجنوب، فلننظر إذن إن لم تكن هناك أسرار جمة فى ذلك.

أما عن الحدود الغربية : فإن حدود أبناء يهوذا تبعاً لعائلاتهم كانت عند حدود آدومية ومعنى آدومية «أرضيات» ، أى أن حدود يهوذا تتجاوز الأمور الأرضية، أما سيناء فتعنى تجارب وعلى ذلك فالحدود تتجاوز التجارب، ومع ذلك يذكر وادى مصر أيضاً كمجاور للمناطق الغربية إنه يوجد بجانب الصحراء إلى الغرب. أما من ناحية الشرق فالحدود محاطة بالبحر المالح، وتمتد البلاد ناحية الغرب حتى إلى غرب قادش (يش ١٥ : ٢ – ٣)، وهى بعينها حدود أفريقية ومن هناك تتجه نحو وادى مصر، وهذا يعرف كل واحد أنه يجب تجاوز هذه المناطق جميعها حتى نبلغ إلى القبيلة الملكية التى قال عنها الرسول «فإنه واضح أن ربنا طلع من سبط يهوذا» (عب ٧ : ١٤).

ويجب أن نصعد على تلال عكرابيم الكلمة التي تعنى «عقارب» ، أى أننا يجب أن نتجاوز الحيات ونطأها بأقدامنا «أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب» هذا هو الطريق الذى سلكه حزقيال بلا شك حينما قال له السيد «يا ابن آدم إنك تسكن وسط حيات» (حز ٢ : ٦)، وقد وصلت الحدود إلى قادش التى تعنى مقدس أو تقديس، فحدود يهوذا تبلغ إذن إلى التقديس.

أما عن الحدود الشرقية : فنلاحظ أنه لكى ما ندخل إلى نصيب يهوذا يجب أن نعبر أولاً بحر الملح ثم عين شمس أى أننا يجب أن نعبر دوامات وعواصف هذه الحياة ونتجنب ماهو زائل ومهلك فى هذا العالم وأية شمس هذه التى سنبلغ عينها إنها المكتوب عنها «ولكم أيها المتقون إسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها» (ملا ٣ : ٢٠).

وإن كنت أنت أيضاً محاطاً من كل ناحية بتحصينات وأسوار العفة وإن كنت تعتمد كلية على أبراج الحكمة وعزة النفس فإنك ستصبح أنت أيضاً مدينة لله، وإن كنت تطالع فى الكتب المقدسة ليل نهار فإنك ستبلغ إلى قرية سفر، وكلنا يعلم أن المعزمين والسحرة يخيفون الحيات بكلمات معينة كما أنه يمكنهم إزالة بعض البشور بأصوات خاصة يصدرونها، فكم بالحرى قوة الكتب المقدسة **حتى وان كنا لا نفهم أحياناً معنى ما نقول فإن هذه القوات غير المنظورة تفهم وتسر بمعونتنا وتسرع لنجدتنا كما بقوة سحرية مقدسة، إذن فعند غموض شئ مما تقرأه فإعلم أيها السامع أن أول فائدة هى أن تطرد بمجرد تلاوتها فقط القوات الشريرة التى تؤرقك وتحيط بك**، وكن حذراً فقط من أن تشابه الحيات الصماء التى تغلق آذانها حتى لا تسمع صوت المعزمين والحكماء.

اليبوسيون فى أورشليم رمز الزوان فى الكنيسة :

لقد أراد بنو يهوذا قتل وطرد اليبوسيين من أورشليم ولم يستطيعوا لذا سكنوا مع بنى يهوذا حتى هذا اليوم. إنه يوجد يبوسيون فى الكنيسة حتى هذا اليوم لأنه فى الواقع لا يمكن تطهيرها كلية طالما أنها على الأرض، لذا إحترسوا ألا يسكن بينكم يبوسيون، والكلمة تعنى دوس بالأقدام فلنطرد إذن الذين يدوسوننا بأقدامهم طالما إن أخطاءهم ظاهرة، أما إن كانت غير ظاهرة فلن نستطيع طرد شخص ما من الكنيسة لئلا تقتلع الحنطة فى نفس الوقت .

ومدينة أورشليم تعنى «رؤية السلام»، فإذا أقمنا بناء أورشليم فى قلوبنا فليت ألا يصعد عليها بعد أى فكر ردئ أو مشورة شريرة ولا نقول أن اليبوسيين يسكنون حتى الآن فى أورشليم كيما نهمل طردهم بل ليتنا نعمل كل ما فى مقدورنا لذلك وإن كنا لن نستطيع طردهم مرة واحدة جميعاً.

وقد كتب مثل هذا عن أفرايم الذى لم يطرد الكنعانيين الذين سكنوا جازر، وأفرايم تعنى (جلاب الثمار) (يش ١٦ : ١٠) لذا فالذى يؤمن ويثمر لا يستطيع طرد البذار السيئة الطافية على السطح دائماً.

ثلاث خطوات روحية :

ولنلاحظ ماهو الأمر الخاص المقصود فى كل من هذه الثلاثة فصول التى يذكر فيها الكنعانيون مع أبناء أفرايم، وها هى :

- **الأولى**: لقد خضع الكنعانيون لأفرايم إلى اللحظة التى صعد فيها فرعون ملك مصر وأخذ المدينة وأحرقها وقتل الكنعانيين وأعطاها هدية لابنته (يش ١٦ : ١٠).

- **والثانية** : حينما أصبح إسرائيل أكثر قوة وأخضعوا الكنعانيين ولكن لم يبيدوهم.

- **والثالثة** : حينما أتى قوم من أفرايم يوجهون إحتجاجاً ليشوع، وأرادوا بسبب قوتهم وعددهم أن ينالوا ميراثاً أعظم فأعطوا حينئذ وصية بأن يقطعوا فى الجبل، ففى المرة الأولى يسكن الكنعانى معنا وقد خضع حسناً لأفرايم، رغم أنه لم يكن عبداً ولم يكن مخضعاً. وفى المرة الثانية أصبح عبداً وخاضعاً. ولنأخذ الكنعانى هنا بمعنى جسدنا أو ما ينجم عنه، فأولاً نجده يسكن معنا أى أنه يكون مرتبطاً بالنفس ولكنه ليس خاضعاً لها إلا بقدر ما يدفع من جزية، أى بقدر ما يلعب دوراً فى العمل والنشاط ومع ذلك فله رغبات تتعارض مع الروح فهو ليس خاضعاً للنفس ولكنه يتنازل لرغباتها الخاصة. ولنفترض أننا أحرزنا بعض التقدم وأصبح الجسد عبداً لنا فهو يخضع للنفس ويطيع إرادتها وهذه هى المرحلة الثانية للنفس.

أما الدرجة الثالثة فهى الكمال حيث ينبغى أن نبيد منها الكنعانى ونميته، فكيف يتم كل ذلك فى جسدنا؟ يجيبنا الرسول بقوله «أميتوا أعضاءكم» (كو ٣ : ٥) لأن أولئك الذين للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات (غل ٥ : ٢٤) وهكذا فإنه فى المرحلة الثالثة مرحلة الكمال نميت أعضاءنا ونحمل إماتة يسوع فى أجسادنا.

ولا نستطيع إغفال الفصل الذى يذكر مجئ فرعون وأخذه لمدينة جازر حيث كان يسكن الكنعانيون مع أفرايم، فإن جازر تعنى «الإتحاد الوثيق» أى أنه إن كانت النفس تعيش بطريقة جسدية ولا تجتهد كفاية لإخضاع جسدها لطاعتها فإنه يخشى مع ذلك أن يأتى

فرعون مصر ويسبى هذه النفس التعيسة ويعطيها هدية لابنته، وهذا هو ما يقرره الرسول : إنه يوجد ناموس آخر فى أعضائنا يسبينا إلى ناموس الخطية (رو ٧ : ٢٣). وهكذا نكتشف أن هذا الفرعون الذى يقوم بدور المثير والسيد للخطية يعطيه هدية لابنته التى تمثل ناموس الخطية أى النفس التى عاشت حسب الجسد.

فلّح غابتك :

ثم نرى بعد ذلك أبناء يوسف يطلبون ميراثاً أكبر (يش ١٧ : ١٤) فقال لهم يشوع «إصعد إلى الوعر واقطع لنفسك هناك فى أرض الفرزيين والرفائيين» والفرزيين تعنى حمل الأثمار ولكن التسمية ذات معنى مزدوج لأنه يوجد نوعين من الأثمار (مت ٧ : ١٧) لهذا يجب أن نطرد كل ما لا يحمل ثمراً صالحاً، ونقطع ونبيد منا الخطية والظلم.

أما الرفائيين فتعنى «الأمهات المتهادنات»، لأنه يوجد فى نفوسنا القوة التى تلد الأفكار والتى هى مثل أم هذه الأفكار التى تصدر منا، كما قيل عنها بنوع الرمز «ولكنها ستخلص بولادة الأولاد» (١ تى ٢ : ١٤) فهذه الأمهات أو قوة النفس حينما تكون رصينة وصاحية تلد أفكاراً قوية قادرة لا يستطيع أحد أن يحاجها، أما لدى الآخرين حيث تكون هذه القوة ضعيفة متهادنة فإنها تؤدى إلى أناس متراخين وأغبياء ولا يسلكون بأية حكمة أو رجولة. هذا هو مضمون اسم رفائيين، لذا يجب طرد هذه الأمهات الضعيفة التى تلد أفكاراً ضعيفة غير نافعـة.

وهكذا نرى أن اختيار الأسماء يتفق تماماً مع المعنى الروحى لأن الكتاب لا يقول إبادة بل طرد هذه الأفكار.. حتى تلمع الحيوية الطبيعية لنفوسنا ببهائها الخاص.

يجب علينـا إذن أن نفلح الوعر الذى فينـا ونقطـع عنـا الأشجـار عديمـة الثمر، حتى ما نزرع حقـولاً جـديدة ونحـددها بإستمرار من أجـل ثمر متكاثر ثلاثين وستين ومائـة (مت ٣ : ١٠). هكذا علم موسى آباءنا عن الأشجار العقيمة غير المثمرة وإنها يجب أن تقطع. فالآن ذلك حقاً إن الظل قد عبر وتلته الحقيقة. وأخيراً فليحذر إسرائيل الشريف من أن يخدم ابنة فرعون، لقد أخرجه الله من أرض مصر فهل يستعبد من جديد

فرعون ذاك الذى إبتلعه البحر الأحمر، فلنتحصّن إذن ضد الكنعانيين حتى إذا ما تغلبوا علينا صدفة لا يجعلون منا كنعانيين.

القرعة فى السموات :

لقد قسمت الأرض لكل سبط من الأسباط طبقاً للمقاصد الإلهية السامية وبمقتضى معونة الله غير المدركة وعلمه السابق، وها نحن نرى فى هذه القرعات نموذجاً واضحاً للميراث العتيد فى السموات «لأن الناموس له ظل الخيرات العتيدة» (عب ١ : ١٤)، وكما قال الرسول عن الذين أقبلوا للرب يسوع لقد أتيتم.. إلى أورشليم السماوية (عب ١٢ : ٢٢)، لهذا فليس عبثاً أن قبل بنيامين فى أورشليم وجبل صهيون، وكذلك ينبغى أن نقول عن بيت لحم أنه ليس بلا قصد خاص أنها وقعت من نصيب يهوذا ، وكذا نقول عن حبرون وعن كل المدن الأخرى المقسمة على كل سبط فالتعليل الوحيد لهذه القرعة هو أن المناطق السماوية التى تعنى أورشليم وصهيون وما حولها تتضمن فى نفسها علة وغاية توزيع القرعات على الأرض، لهذا رتبت العناية الإلهية أن تحتوى الكتب المقدسة على أسماء الأماكن التى تحمل معنى روحياً خاصاً كيما تدلنا على أنها استعملت لأسباب محددة وليس خبط عشواء.

إتضاع يشوع :

« ولما إنتهوا من قسمة الأرض حسب تخومها أعطى بنو إسرائيل يشوع بن نون نصيباً فى وسطهم» (يش ١٩ : ٤٩)، فها هو الذى وزع الأنصبة على جميع الأسباط يقبل منهم أيضاً نصيباً له بدوره وهذا كتب مثالاً لأجل تعليمنا، وكيما نرى يشوع أمامنا نموذجاً فى تطبيق الوصية القائلة : « كلما تصير عظيماً كلما تتضع وتجد نعمة أمام الله» (يش بن سيراخ ٣ : ١٨)، وأيضاً **«إذا ما صرت رئيساً فلا تتكبر بل كن فى وسطهم كواحد منهم»** (يش بن سيراخ ٣٢ : ١) فليتنا نبحث نحن أيضاً داخل نفوسنا كيف نعد مكاناً لابن الله ليسكن فيه لأنه حالماً يدخل سيقيم فيها مبانى جميلة وأبراجاً عالية وأسواراً منيعة فيكون بيته جديراً به وبأن يقبل إليه حسب علمه وقداسته.

التوافق مع الأعداد :

عـرفنا أن اللاويين لم يكن لهم قـسم خـاص فى الأرض لأن الرب كـان قـسـمـهم ونصيبهم، وحيث أن اللاويين قبلوا من بنى إسرائيل كأمر الله العشور من باكورات أثمار الأرض فإنه وجب لهم أيضاً أن يقبلوا عشر مساكن البلاد، وهكذا يكون لهم عشر كل شئ (يش ٢١ : ١ ، ٢).

وقد إحتل قهات المركز الأول بين أبناء لاوى الثلاثة أى أنه تقدم على جرزون ومرارى فى الكرامة لأن أبناءه كانوا عمرام وموسى وهرون ومريم ومن قهات أيضاً خرج النسل الكهنوتى أى هرون وبنيه لذا إستحق أن يكون الأول فى قسمة المدن بين اللاويين.

كما أن اللاويين توزعوا أيضاً فى الجهات الأصلية الأربعة مثل كل الأسباط لحراسة تابوت عهد الرب فكان نحو الشرق حيث يوجد سبط يهوذا يوجد هارون وبنيه وكان الأمر لبنى قهات بأن يحملوا على أكتافهم تابوت عهد الرب ويدقوا الطبول بحيث يسير أولئك الذين ناحية الشرق عند أول دق الطبول وعند ثانى دقة يسير الذين إلى الجنوب وفى الثالثة يسير أولئك الذين إلى الغرب وفى الرابعة يسير أولئك الذين فى الشمال.

وهكذا نرى الترتيب والتسلسل الذى تحافظ عليه الكتب المقدسة حتى لا يكون هناك أى شئ بلا ترتيب وبلا حكمة أو بلا نظام، وواضح أن الشرق هو أفضل الجهات الأربعة حيث أخذ يهوذا الذى هو أسمى الأسباط جميعاً هناك فى هذه الأجزاء الأولى من المسكونة أخذ بنوقهات النصيب الأول ..

سيف كلمة الله :

إن كلمة الله التى نوجهها لكم ستكون «بقوة صلواتكم» حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين، حتى ما تكمل لدى من يسمعونها ختانة من كل دنس وحتى ما تقطع الرذائل وتشذب بقسوة كل ما يضعف الروح والملكات الطبيعية، فهكذا ستختنون أنتم أيضاً بنعمة المسيح، بكلمة الله المسماة هنا سكاكين وصوان، وستسمعون الصوت : «اليوم أنزع عنكم عار مصر».

وحـدة الشعبين :

الشعب الأول الذى من الختان ويمثله رأوبين وجاد ومنسى الأبكار فى الترتيب الزمنى فقط، لقد تسجلت لنا أقوالهم كيما نعرف أنه ليس هناك أىّ فاصل أو تقسيم بيننا وبين أبرار العهد القديم قبل مجئ المسيح وهم وإن كانوا قد إمتلكوا مذبحاً إلا أنه صورى فقط ورمز للحقيقى العتيد وقد عرفوا أنهم لم يقدموا عليه الذبائح الحقيقية التى تمحو الخطايا، ولكن هناك فقط حيث يوجد يشوع تكمل على المذابح السماوية التقدمات الحقيقية، إذن فليس هناك إلا رعية واحدة لراع واحد فى كلا العهدين.





الكتاب الثانى

كتابات لآباء من القرن الرابع

١ – التوبة	للقديس أمبروسيوس
٢ – الصبر	للعلامة ترتليانوس
٣ – تطويب لشهداء مصر	القديس يوحنا ذهبى الفم
٤ – المبادىء الإلهية	للأب لاكتانتيوس
٥ – إلى دونات	للقديس كبريانوس
٦ – فضيلة الصبر	للقديس كبريانوس
٧ – غضب الله	للأب لاكتانتيوس
٨ – فرح التجلى	للقديس مار أفرام السريانى
٩ – العفة	للقديس اغريغوريوس النيسى
١٠ – من رسائل كبريانوس	الأسقف والشهيد للقديس كبريانوس

التوبـــــة

للقديس امبروسيوس *

الكتاب الأول

١- يهدف الناس إلى تحقيق الفضائل الكاملة جدا، ولكن الاعتدال بلا شك هو أكثر جميع الفضائل كمالا، وإليه فقط يرجع الفضل فى إنتشار الكنيسة التى إقتناها المسيح بدمه.

وفضيلة الاعتدال هى صورة الرحمة السمائية التى لفداء الخليقة. وعلى ذلك فكل من يتصدى لتقويم ضعفات الآخرين ينبغى أن يتحمل ويأخذ على عاتقه هذا الضعف لأن الراعى الصالح فى الإنجيل حمل الخروف الضال ولم يرذله ويقول الحكيم : «لا تكن بارا بزيادة » (جا ٧ : ٧) ، لذا لا يجب أن نتبع أسلوب القوة أكثر من الوداعة والغرور أكثر من الاتضاع، مثل أولئك الذين وهم أنفسهم يبحثون عن رحمة الله يمنعونها عن الآخرين.

دحض بدعه نوفاتيوس :

٢- ونعنى بها هنا معلمى بدعة النوفاتية الذين يدعون أنهم أطهار ويفرضون توبة لا يستطيعون أن يقدموها ويقولون إن التناول المقدس لا يجب أن يعطى لمن سقطوا مرة فى الكفر، مع أن الرب سامح جميع الخطاة ولكنهم يعتقدون إلى حد ما على طريقة الرواقيين الذين يزنون جميع الخطايا بمقياس واحد، فيقولون بحرم كل من خنق دجاجة صغيرة كتعبيرهم كمثل من يكون قد خنق أباه، وهم ليس لهم سلطان الربط لأن ليس لهم سلطان الحل أيضا وهذا السلطان أعطى للكهنة فقط وليس للهراطقة.

---

* ملخصه عن كتاب رقم ١١٩ من مجموعة المصادر المسيحية Sources Chretiennes 119.

الدفاع عمن ضعفوا أثناء الاضطهادات :

٣- لقد أخطأ نوفاتيان فى أنه أغلق على الجميع باب الإقدام ونوال المغفرة.

٤- وليتك يا نوفاتيان تعلم كم إن الرب يسوع يميل إلى جانب الرحمة. وحتى فى أثناء هبّات ريح الإضطهاد يقول « لا تخافوا من الذى يقتل الجسد..... فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات » (مت ١٠ : ٣٢) ، لأن ما هو من الرحمة يريده وما هو من العقاب ينقصه، لأنه فى الواقع يمكن أن يغلب شخص ما من العذابات وينكر بالكلمات ولكن قلبه لا يزال يعبد الله، إذن الله لا يرفض إلى المنتهى بل يقدر من يقاوم مثل أهل العالم الذين - فى أى سباق - يقدّرون حتى الذين لم يفوزوا بالجائزة.

٥- كما فعل مع الشعب الذى كان يهدده قديما، بفم هوشع النبى ثم تصالح معهم جميعا سريعا.

فهو حتى فى غضبه يتعامل معنا بمشاعر أب لكى ما يوجهنا إلى التوبة. إنه يطلب أناتنا فى هذا العالم من أجل أن يوفر علينا أناتنا فى العالم الآتى.

٦- فالشعب المهزوم الذى سيؤخذ أسيرا بعيدا عن وطنه متشوقا بقلبه للرجوع إليه. ولا يخسر المسيح شيئاً قط حينما يرجع إليه أولئك الذين أتوا إليه باكين إلى الكنيسة وهم يحترقون حنينا. إن السامرى الصالح لم يعبر طريقه قط دون أن يهتم بالرجل الذى تركه اللصوص بين الحياة والموت . إن كنت متمسكا بالرأس المسيح فستدرك إن الجسد كله يتقدم بحركة تجمع أكثر منها تفتت فى النمو الإلهى بفضل رباط المحبة والفداء للخاطئ.

٧- ويعلن أيضا بولس الذى هو إناء مختار للرب : «والذى تسامحونه بشئ فأنا أيضا لأنى أنا ما سامحت به إن كنت قد سامحت بشئ من أجلكم بحضرة المسيح » (٢ كو ٢ : ١٠) هذه هى إرادة الرب أن يكون لتلاميذه سلطات واسعة وهذه هى إرادته أن يعمل خدامه باسمه ما فعله هو نفسه عندما كان على الأرض بل ويعملون أعظم منه.

توبيخ نوفاتيان علي تعاليه :

٨- أنت يا نوفاتيان تدعى أنك طاهر وتتذرع بقول المسيح للمجدلية «لا تلمسينى» فمن ذا الذى يستطيع أن يحتملك حينما تظن أنة ليس لك حاجة إلى أن تتطهر بالتوبة.

٩- وحينما يقول الكتاب : «إن كان إنسان يخطئ نحو الرب فمن يستطيع أن يصلى لأجله»(١ صم ٢ : ٢٥).

والآيات المشابهة، فهى تعنى أنه لابد من أن يوجد شخص حياته فوق العاديه ليصلى من أجل ذاك الذى قد أخطأ ضد الرب.. ونحن نعرف جيدا أن كثيراً من الناس قد بدأوا الجهاد بعد سقطتهم وأنهم قد عانوا من أجل اسم الله ولا نستطيع أن نرفض أن يحصى مع الشهداء أولئك الذين لم يرفضهم الرب يسوع.

١٠- فلنفترض أن شخصا ما نزل من أورشليم إلى أريحا أى من جهاد الاستشهاد إلى الشهوة الأرضية. فإن كنت تريد أن يقال عليك قريب للمسيح فاذهب أنت أيضا واصنع معه كما صنع السامرى، لقد كان الناموس يركز الاهتمام على الذبيحة أما الإنجيل فعلى الرحمة.

١١- ولنعلم أن الرب لا يرفض الغفران حتى لأولئك الذين لا يحفظون وصاياه كقول المزمور : «أفتقد بعصا معصيتهم وبضربات إثمهم أما رحمتى فلا أنزعها منه ولا أكذب من جهة أمانتى »(مز ٨٩ : ٣٢ ، ٣٣) وإذن فهو يعد بالرحمه للجميع، **فليت أجسادنا إذن تموت عن الشهوات ولتكن أسيرة وخاضعة وليتها لا تثور ضد ناموس روحنا.**

١٢- وقد حسب بولس نفسه أكثر سعادة فى ضيقاته إذ قال : «لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى »(٢ كو ١٢ : ١٠)، لأن قوة النفس تبلغ إلى كمالها على حساب ضعفات الجسد.

١٣- وعندما قال الرب «إن كل من نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنى بها فى قلبه (مت ٥ : ٢٨)، فإنه لم يقل كل من نظر فقد زنى بل بالأولى كل من نظر

واشتهى، إنه لم يعتبر مجرد النظرخطأ بل تحرى عن المشاعر، ومع ذلك فحسن هو الحياء الذى اعتاد أن يضبط عيون الجسد ذاتها بالدرجة التى معها لا نرى عادة ما تراه، فليت العين تعتاد أن تنظر ببساطة إلى كل ما تقابله .

مثال يوسف الصديق :

١٤- لقد نهانا الكتاب ألا نأخذ النار فى حضننا.. لقد رأى يوسف هذه النار حينما خاطبته المرأة التى كانت تريد أ ن ترتكب الزنا معه، لقد أرادت أن تنصب له فخا بكلامها، وبشفاهها ألقت شباكها ، ولكنها لم تستطع أن تأسر هذا الرجل العفيف لقد هُزمت قيود المرأه من صوت الحياء وكلام الثبات ولجام الفطنة والإلتزام، بالإيمان ومراعاة العفة، إذن لم تستطع المرأة الوقحة أن تأخذه فى شباكها، لقد وضعت عليه يدها وأمسكت بثيابه كيما تحكم ربطه. كانت كلمات المرأة الوقحة شباكا تتعلق بها الشهوات ويداها قيود الحب ولكن الروح العفيف لم يكن ممكنا أن يمسك فى هذة الشباك، ولا من هذه القيود لقد تحرك لها ثوبه وانقطع الرباط لأنه لم يستطع أن يحبس النار فى حضنه، إنه لم يتمكن من أن يجعل جسده يحترق، إذن النفس هى منشأ الخطأ. لنعبر إذن نحن أيضا عبر نار الشهوة هذه التى كان بولس الرسول يهّابها حينما قال : «إهربوا من الزنا» (١ كو ٦ : ١٨).

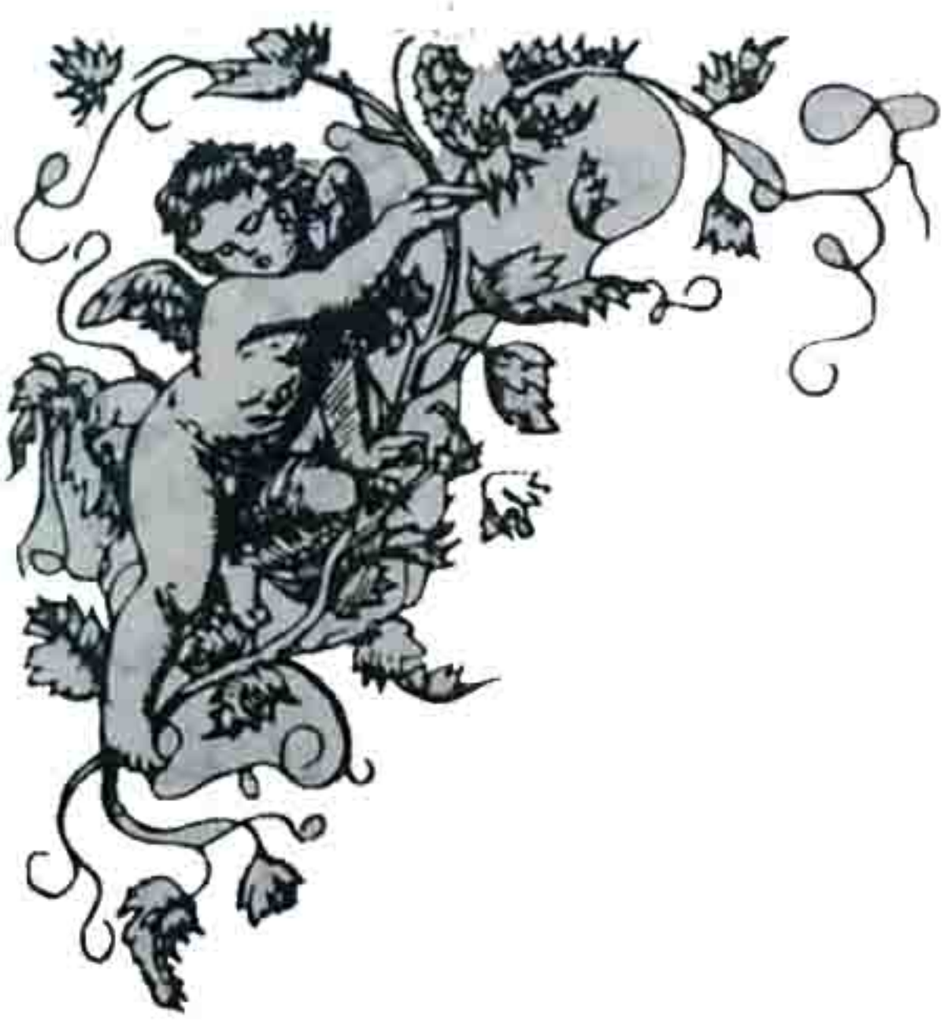
مثال حالة كورنثوس :

١٥- وحينما أشار بولس بإقصاء المذنب فى كنيسة كورنثوس من الشركة المقدسة أوصى بأن يسلم للشيطان لهلاك الجسد من أجل خلاص نفسة، وأوصى أن يقبل بالمحبة وروح الوداعة، ثم سمح له بالتالى بالأسرار المقدسة. نعم يجب أن يقصى من عثر فى سقطة خطيرة خشية أن خميرة صغيرة تخمر وتفسد العجين كله، يجب تنقية الخميرة فى كل منا أو بالحرى فى الشعب الخاطئ المحترف المتصلب فى الرذيلة.

١٦- وحسنا قال «نقوا منكم الخميرة العتيقة »، **إنه يتنقى بطريقة ما بواسطة سلوك كل الشعب معه ويغسل بدموع الكثيرين وهو الذى قد افتدتة الخطية**، والذى يجد إنسانه الداخلى طهارته ثابتة بفضل صلوات ودموع الكثيرين إته يعنى أن كل الكنيسة تأ خذ على

عاتقها حمل الخاطئ الذى يجب أن تشهد له بالعطف إذ تبكى وتصلى وتحزن لأجله الأمر الذى هو أكثر من طاقة إنسان يتوب بإيراد العطف الجماعى عليه... لأن المسيح فصحنا قد ذبح لأجلنا أى أن آلام الرب قد ربحت لحساب الجميع وأنها تساوى فداء جميع الخطاة الذين يتوبون عن الإثم .

١٧- لقد عرفت أناسا فى أثناء توبتهم غطوا وجوههم بدموعهم وحفروا مجارى على خدودهم من كثرة البكاء وانطرحوا على الأرض كيما يدوسهم كل الناس وقد أصفرَ وجههم من الصوم وكان يبدو عليهم الموت فى جسد حىَ.



الكتـاب الثانـى :

مثال التينة فى الكرم :

١- يجب أن نتوب ليس فقط بحرارة بل أيضا بسرعة خشية أن أب تلك العائلة المذكورة فى الإنجيل والـذى زرع شجرة تين فى كرمه يأتى ويقول للكرام إن كـان لا يجد على الشجرة الثمر الذى يبحث عنه - «إقلعها لماذا تعطل الأرض» ، وربما يتشفع الكرام فيها قائلا : يارب أتركها هذه السنه أيضا حتى أحفر حولها وأضع زبلا »... فلنضع نحن أيضا زبلا؟ يعلمنا الرسول ذلك قائلا : إنى احسب كل الأشياء نفاية لأربح المسيح » .

٢- والابن الضال الذى كان مدفوعا بشهوة الطعام الإلهى أعلن قوله : «الآن أقوم وأذهب إلى أبى وأقـول له أخطأت يا أبتـاه فى السـمـاء وقـدامك» . ألا تلاحظـون إذن إنه إن كنا ندفـع للصلاة فإنه من أجل أن نسحق الشر وأنتم تريدون أن تنزعوا السبب الذى من أجله نصنع توبة.

إنزع من البحار رجاء الوصول إلى الميناء فإنه سيتوه منساقا بجذب الأمواج فى وسط البحر. إنزع من المجاهد رجاء الحصول على الإكليل فسيتلكأ بتراخ فى حلبة السباق. إنزع من الصياد رجاء العثور على سمك فسيكف عن أن يلقى شباكه فكيف إن ذلك الذى يعانى لأن نفسه جوعى يمكنه أن يصلى إلى الله بأكثر لجاجة إن كان يائسا تماما من قبول الطعام السمائى إن لسان حاله يقول : «أخطأت إلى السماء وقدامك » .

مثال من سيمون الساحر :

٣- كذلك حينما فسد سيمون من طول ممارسته للسحر إعتقد أنه يستطيع أن يقتنى موهبـة المسيح بدراهم وهى التى كان بطرس يعطيها بوضع الأيدى وحلول الروح القدس وقال له : «ليس لك نصـيب ولا قـرعـة فـى هـذا الأمـر لأن قلبك غير مسـتقيم أمـام الله »(أع ٨ : ٢١) ، فنرى أنه يلين بقوة السلطان الرسولى هذا الإنسان الذى استغرق فى السحر الباطل والذى يجدف على الروح القدس وهو يدينه بالأكثر بقدر ما إنه لم تكن له

طهارة القلب اللازمة للإيمان.

ومع ذلك فهو لم يمنعة من أن يترجى معونتة حيث أنه دعاه ليصنع توبة.

٤- أنا أعتقد أنه حتى يهوذا كان يستطيع ألا يستثنى من المغفرة لو كان قد ندم ليس أمام اليهود بل أمام المسيح. لقد قال أخطأت إذ أسلمت دما بريئا وكانت إجاباتهم ماذا علينا أنت أبصر.....

٥- فماذا تقولون أنتم أيضا عندما يكون إنسان ما خاطئا ولو بخطيئة صغيرة ويقر لكم بما فعل. هل تجيبون بشئ آخر غير هذا وما تلاه من حديث عن حبل المشنقة الذى خنق به نفسه، عقاب قاس جدا بقدر ما إن الخطأ صغير.

٦- إنه يعلن : طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم،طوبى للرجل الذى لا يحسب له الرب خطية. إنه يعلن أنه مطوب هذا وذاك.هذا الذى غفر إثمه بالمعمودية وذلك الذى غفرت خطيئته **بالأعمال الصالحة. لأن من يصنع توبة لا يجب عليه فقط أن يغسل خطيته بدموعه بل أيضا أن يستر ويغطى أخطاءه السابقة بمعونة الأعمال الأكثر صلاحا** بحيث أن خطيئته لا تحسب عليه. إذن فلنغط سقطاتنا بمعونة أعمالنا اللاحقة، ولنطهر أنفسنا بدموعنا حتى ما يسمع الرب إلهنا تنهداتنا تماما كما سمع أفرايم الذى كان يبكى كما هو مكتوب : وهوذا الله هو الذى يتكلم سمعت أفرايم ينتحب (إر ٣١ : ١٨).

إن لنا سيدا صالحا يود أن يسامح الجميع وقد نادى بصوت النبى «أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها. ذكرنى فنتحاكم معا» (إش ٤٣ : ٢٥).

ها أنت ترى (يا نوفاتيوس وأمثاله) بأى وعد للغفران يدعوك للإعتراف، فاحترس إن كنت تقاوم الوصايا السمائية من أن تسقط فى جمود اليهود الذين يقول عنهم الرب يسوع : «زمرنا لكم فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تبكوا» (مت ١١ : ١٧)، فالكلام بسيط ولكن المعنى السرى ليس عاميا قط. إنه لا يأمرنا بالميوعة الساخرة التى للرقص الشهوانى، المسيح فى الواقع يأمرنا بالرقص الذى رقصه داود أمام تابوت العهد، لقد رقص بولس حينما

تمدد بكل كيانه ناسيا ما هو وراء وممتدا إلى قدام لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح (فى ٣ : ١٣ ، ١٤)، **فالمعنى السرى لزمرنا لكم هو أنكم لم ترفعوا أنفسكم إلى النعمة الروحية، والمعنى السرى لنحنا لكم هو أنكم لم تصنعوا توبة.**

ناجع جدا هو علاج التوبة الذى يرينا كيف أن الله غيّر حكمه، حينما ناح أهل نينوى وتجنبوا خراب المدينة التى أنذرت، وفى استطاعتك أنت أيضا أن تتجنب العقاب.

مثال من إقامة لعازر :

٧- لماذا تخشى من الإقرار بآثامك لدى سيد صالح. إعلن آثامك فإنه يقول : «ذكرنى فنتحاكم معا. حدث لكى تتبرّر» (إش ٤٣ : ٢٦). الله يعرف كل شئ ولكنه ينتظر حتى تتكلم ليس لكى ما يعاقب بل لكى يسامح، إنه لا يريد أن تتواجه مع إبليس فتخزى أخفيت خطيتك فبادر أنت قبل أن يتهمك، وإن كنت تتهم نفسك فلن تخشى أن يتهمك أحد، حتى ولو مت فسيأتى المسيح إلى قبرك، وإن كان يرى مرثا تبكى عليك وهى المرأة التى اهتمت بخدمته تماما، وإن كان يرى مريم تبكى وهى التى كانت تصغى بانتباه إلى كلا م الله مثل الكنيسة المقدسة التى اختارت لنفسها النصيب الصالح، فإنه سوف يغلب من رحمته حينما يرى الدموع التى يثيرها ميتك، وأمام عدد كبير من الناس يقول **أين وضعتموه أى فى أية حالة يوجد هو بين المذنبين وفى أية درجة من درجات التوبة.** أود أن أرى ذلك الذى تبكونه حتى ما إن هو نفسه يؤثر فىّ بدموعه. أود أن أرى إن كان هو نفسه قد مات عن الخطية التى نرجو لها الغفران.

فيقول له الشعب : تعال وانظر، ماذا يعنى القول تعال «إنه يعنى ليت مغفرة الخطايا تأتى. ليت الحياة تبلغ إلى الموتى والقيامة إلى الأموات. ليأت ملكوتك على هذا الخاطئ أيضا. إذن فهو سيأتى ويأمر برفعْ الحجر الذى وضعه الخطأ على كتفى الخاطئ.. لقد كان بإمكانه أ ن يرفع الحجر بكلمة واحدة منه لأنه حتى الطبيعة الجامدة قد اعتادت أن تطيع أوامر المسيح.

٨- لقد كان يستطيع بالقوة الصامتة التى للعمل الخفى أن ينقل حجر العثرة حيث أنه فى

وقت آلامه تشققت الصخور وتفتحت قبور أموات كثيرين. لكنه أمر أناساً بأن يرفعوا الحجر، من ناحية حتى يصدق غير المؤمنين ما كانوا يرونه وينظروا الميت الذى يقوم، ومن ناحية أخرى بالرمز حتى ما يدل على أنه أعطانا أن نحمل أثقال الخطايا، هذه الأحمال التى تثقل بصورة ما على المذنبين. **إنه علينا نحن أن نرفع الأثقال وعليه هو أن يخرج من القبور أولئك المقيدين فى أربطتهم...**

إذاً فعند النظر إلى الحمل الذى يثقل كاهل الخاطئ يبكى الرب يسوع. إنه فى الواقع لا يحتمل أن الكنيسه تبكى وحدها، إنه يعطف على محبوبته وقال للميت هلم خارجا، أى أنت الذى تنام فى ظلمات ضميرك وفى دنس أخطائك فى هذا السجن الذى للمسجونين هلم خارجا إشهر خطاياك لكى ما تتبرر لأن «الفم يعترف به للخلاص» (رو ١٠ : ١٠).

مثال من أمبروسيوس نفسه :

٩- **أيها الرب يسوع تعالى إلى هذا القبر الذى هو أنا... تفضل إغسلنى بدموعك الخاصة وإن كنت تبكى لأجلى فسأخلص فادع إذن عبدك لأنى مأسور فى قبور خطاياى وسوف أهتدى كواحد من أولئك الذين يشتركون فى وليمتك**. ربما يقول واحد : إن ذاك لم يتغذ فى حضن الكنيسة ولم يلبس ثيابا كهنوتية منذ طفولته وقد انتزع من منصب السلطة (هنا أمبروسيوس يعنى نفسه لأنه كان حاكما لمدينة ميلان واختير للأسقفية بإشارة إلهية)، واقتلع من أباطيل الدهر الحاضر وعوضاً عن أصوات البطولة اعتاد على ترتيل المزامير، فإن كان يقيم فى الكهنوت فليس ذلك بقوته الخاصة بل بنعمة المسيح وها هوجالس بين المدعوين للوليمه السمائية. فاسهر يارب على هديتك واحرس الموهبة التى أعطيتها لى رغم مقاومتى. إنى أعلم أنى لم أكن مستحقا للدعوة الأسقفية لأنى كنت مستغرقا فى هذا العالم الحاضر، إنها نعمتك التى جعلتنى فى ما أنا عليه وبدون أى شك إنى أصغر جميع الأساقفة وأقلهم جدارة .

١٠- وفوق ذلك أعطانا أن نعرف أن نشارك من أعماق قلوبنا فى مأساة الذين يخطئون. فهل نشهّر بخطيئة شخص ما، لنفحص أنفسنا لئلا نكون قد ارتكبناها نحن ولا تفرح إذ

تقول إن خطأنا ليس أكبر من خطأ ذاك الذى ينبغى أن نؤدبه بل قل مثل يهوذا فى قصة ثامار حينما «قال هى أبر منى » (تك ٣٨) هكذا إذن ينبغى أن نصنع توبة وينبغى أن يوهب الغفران وهذا هو ما يليق أن نعتقد به ولكنّا يجب أن نترجى الغفران كأمر مضمون بالإيمان وليس كحق واجب لنا، فكون إننا نستحق شيئا هذا أمر، وكون أننا نعتبره مكسبا فعلا فهذا أمر آخر. **إن الإيمان يوهب لنا بمقتضى نوع من التعاقد.**

مثال من إيفاء الديون :

١١ – أوف أنت أولا ما هو واجب عليك حتى ما تستطيع أن تحصل على ما تترجى، قدم لمداينك مشاعر دائن صالح حتى لا تبدل دينا بآخر بل على العكس لتوفى فوائد الدين المتعاقد عليه بدفع ضريبة إيمانك. إن من هو مدين بالنسبة لله لديه أكثر من طريقة لايفاء ما يكون عليه من دين. فبالنسبة لإنسان مداين يطلب إيفاء ديناً نقدياً له بينما يكون المدين غير مستعد لذلك، أما بالنسبة لله فهو يريد استعداد القلب الأمر الذى فى إمكانك أن تظهره. إن من **هو مدين من نحو الله لا يكون فقيراً إلا إن أفقر هو نفسه، فحتى لو لم يكن معه شئ يبيعه فإن لديه ما يدفعه من صلاة وصوم ودموع**.. هذه هى ممتلكات المدين الصالح وهذا يساوى أكثر مما لو كان إنسان يبيع أراضيه ليحصل على نقود بدون الإيمان، كان حنانيا فقيرا حينما بعدما باع حقله أحضر النقود للرسل، إنه لم يستطع بهذه الوسيلة أن يحرر نفسه من دينه بل على العكس إنه ربط نفسه.

وكانت تلك الأرملة التى ألقت فلسين فى الخزانة غنية وهى التى قيل عنها إنها ألقت أكثر من جميعهم لأن ما يطلبه الله ليس هو النقود بل الإيمان. ومع ذلك فإنى لا أود أن أنكر أنه بعمل الصدقه للفقراء ربما يستطيع المرء أن يصغر خطيئته على شريطة أن يعادل الإيمان ما يتحمله من نفقات لأنه ماذا يفيد حينما يقدم ثروته هبة بلا نعمة المحبة. وهناك من يتأسفون لأنهم فرقوا كل ثروتهم لصالح الفقراء، هوذا بالأولى الأمر الوحيد لأولئك الذين يصنعون توبه أن لا يتأسفوا على شئ إنه يلزمهم توبة على توبة.

لقد سامح المسيح بطرس لأنه كان قد بكى بكاء مَرا فإن كنت أنت أيضا تبكى بكاء

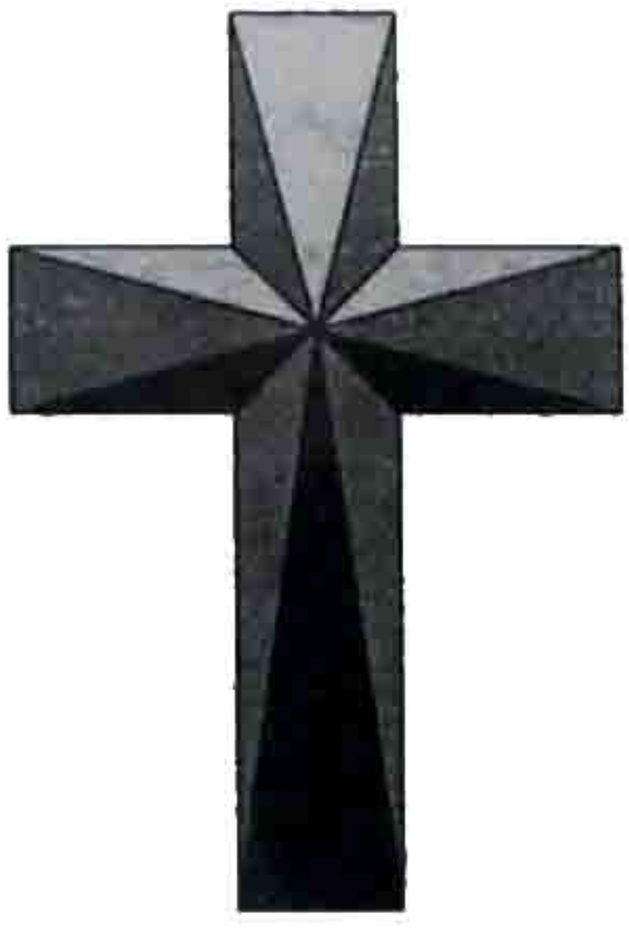
مراً فسينظر إليك وسيبعد الخطأ.

إن خبرة الحزن تجعل شهوة الخطأ تنسى والمناقشات تجعل الخطأ ينسى **وهكذا فبكاء الأخطاء المرتكبة ترذل بالأولى تلك التى يمكن أن نرتكبها أيضا وإدانة الخطأ تصبح بصورة ما مدرسة للبراءة** .

لقد رأيت أناسا إحتفظوا ببراءتهم بسهولة أكثر من أناس صنعوا توبة كما يليق، وإلا فهل يصدق أن هناك توبة حيث يسترق كرامة، أو حيث تجرى الخمر كالأمواج أو حيث لا يخشى المرء حتى من استعمال الزواج. إنه يجب الاعتزال عن العالم، ويجب أن يخصص وقت أقل للنوم أقل مما تتطلبه الطبيعة ، ويجب أن نعترضة بأنات ونقطعه بالتنهدات ونحدده من أجل الصلاة .يجب أن نعيش بأسلوب الموت عن نمط حياتنا ينبغى أن ينكر الإنسان نفسة ويتغير من أوله إلى آخره.

مثال من الشاب الذى.....

على مثال ذلك الشاب الذى تحكى لنا عنه الأساطير إذ بعد ما كانت له محبات شهوانيه رحل إلى بلاد بعيدة وعندما رجع، إنطفأ حبه فحدث أن قابل فيما بعد محبوبته السابقة التى ذهلت لأنه لم يوجه إليها قط أى حديث، واعتقدت أنه لم يعرفها وإذ عبرت أمامه مرة أخرى قالت له : أنا هو التى... أما هو فأجاب « وأنا لست بعد الذى...».



الصـــــبر

للعلامه ترتليانوس *

١ـ فاتحه عن الصبر وعدم استحقاق ترتليانوس أن يتكلم عنه :

١ – أقر أمام الله بأنه أولانى جسارة ليست بقليلة، ولعله لا يكون توقحا أن أقبل على مغامرة الكتابة عن الصبر الذى أنا غير قادر تماما على اختباره حيث أن من ينادون بصلاح ما ينبغى أن نرى أنهم يمارسونه ويكونون قدوة فيه، إن كانوا لا يريدون أن يهزأ أحد بسلوكهم الخائب.

٢ – وليتنا نجعل الخزى من عدم ممارسة الصبر وما نصحنا به درسا لممارسته عالمين أن بعض الأمور الخيرة كما أيضا بعض الشرور هى بطبيعتها أعلى من طاقتنا ولا يجدى معها نفعاً إلا نعمة الله فقط.

٣– لأن الخير هو فى الله فقط والله وحده له أن يعطيه لمن يشاء .

٤ –وهذا يعزينى أن أسعى لاختبار ما لم يعط لى مثل المريض الذى فقد الصحة ولا يستطيع أن ينسى مناقبها.

٥– هكذا أنا الأكثر شقاوة بين الناس والمتألم دائما من حمىّ عدم الصبر وغير المؤهل بأن يكون لى تعقل الصبر تحولت إلى التطلع إليه وطلبه والحديث عنه مترجيا معونة الصبر من أجل حيوية الايمان وقوة تهذيب الرب.

٦ – تلك هى حال من كان متغرباً عن الصبر إذ لا يستطيع أن يوفى أية وصية.

---

* ملخصة عن كتاب الصبر فى مجموعة المصادر المسيحية رقم٣١٠ Sorces Chretiennes 310

٧- وهذا الخير الذى هو الصبر يراعيه حتى أولئك الذين يعيشون فى عدم صبر تحت اسم الفضيلة السائدة. وحتى الفلاسفة يعطون الصبر شأنا عظيما لأنه بالرغم من منافستهم العقائدية فهم يطلبون معا الصبر وحده، ولا يصنعون إلا من أجله التصالح فى دراساتهم مكملين الفضيلة وكل استعراض للحكمة الذى يظهرون هدفه هو الصبر.

٨- وهذه شهادة عظيمة منهم للصبر حيث أن الصبر هو وراء تأييد وتمجيد حتى أنظمة هذا الدهر الحاضر الباطلة.

٢ـ الله والمسيح أساس ونموذج للصبر :

١-ولكن ما يؤمن لنا ممارسة الصبر ليس هو ذلك التصنع البشرى والتحكم الذاتى المعروف لدى سنيكا الفيلسوف الوثنى وأتباعه والذين يمارسونه نتيجة لتبلد الإحساس بل الاستعداد الإلهى لتهذيب حىّ وسمائى. يظهر الله نفسه لنا كنموذج للصبر.

٢- لأنه يشرق نوره على الأبرار والأشرار بالتساوى ويسمح أن يستفيد الذين يستحقون والذين لا يستحقون من نظام الفصول وطاعة العناصر لنا وتقدمات الخليقة.

٣- ولأنه يحتمل جمود الوثنيين الذين يعبدون مصنوعات تدعو للسخرية وبينما هم يزدادون كل يوم فى الفسق وفى البخل والإثم والجهالة، حتى أنه هو نفسه يقبل العار بسبب صبره الخاص، لا يؤمنون به لأنهم يجهلون غضبه.

٣ـ المسيح أفضل نموذج للصبر :

١- هذه الصورة التى للصبر الإلهى قد يظن أنها بعيدة لأنها تأتى من فوق ولكنها أظهرت للناس علانية على الأرض ولمسناها حينما قبل الله أن يولد بصبر وانتظر مدة الحمل فى بطن أمه.

٢- وحالما ولد احتمل النمو بالتدريج وحالما نما لم يكن شغوفا بأن يجعل نفسه معروفا بل وضع نفسه واعتمد بواسطه عبده.

٣- وبينما هو رب جعل نفسه عبدا وهو الذى يهب الغفران للذنوب التى

ارتكبت ضد صبره.

٤- وهو لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته، وفى الواقع إن الله فى شهادتة عن نفسه هكذا وضع روحه الخاص فى ابنه بكل صبره.

٥- لقد قبل كل من كان يريد أن يتبعه وتقدم بنفسه ليغسل أرجل تلاميذه.

٦- ولم يصد الخطاة ولا العشارين ولا المدن التى رفضته وشفى الجاحدين فيها .

٧-وأكثر من ذلك أنه أبقى معه على ذلك الذى كان مزمعا أن يسلمه ولم يوافق حتى على سيف الانتقام من واحد فقط من تلاميذه.

٨- لقد انثلم صبر الرب بالجرح الذى أصاب ملخس. ووهبه الشفاء بفضل الصبر أبو الرحمة وقد استهجن أيضاً فيما بعد أعمال السيف.

٩- إنى لا أقول شيئاً عن صلبه فإنه قد أتى من أجله ومع ذلك فمن أجل أن يواجه الموت إرتضى بالشتائم، وفى وقت إنطلاقه أراد أن يشبع نفسه من مسرة الصبر فبصقوا عليه وهزأوا به وألبسوه بطريقة مهينة وتوجوه بصورة أكثر مهانة أيضاً.

١٠- عجيب هو التمسك بالإعتدال فذاك الذى أخذ صورة بشرية لم يحاكى قط عدم الصبر البشرى ولهذا كان عليكم أيها الفريسيون أن تعترفوا بالرب لأنه ليس كائن بشرى قط كان يستطيع أن يختبر مثل هذا الصبر.

١١- ومن مثل هذه الدروس الجميلة والعظيمة يأتى البرهان بوضوح كاف لأولئك الذين يؤمنون بأقوال الرب وأيضا بآالامه وجسارتة الفعلية. على أن الصبر هو طبيعة الله كنتيجة لخاصية ما فطرية وفائقة.

٤ ـ الصبر خضوع وطاعة :

١- وحيث أننا نرى أيضا أن جميع الخدام الأمناء اهتمامهم الأول هو صناعة اكتساب الفضائل، فكم بالأولى ينبغى علينا إظهار أننا نقيس حياتنا على الرب نحن خدام الله الحى.

٢- وعلى ذلك ينبغى أن نظهر اجتهاداً فى الطاعة بقدر ما نخشى قسوته أو

نترجى صلاحه.

٣- إننا نطيع ليس عن عبودية له بل كحيوانات مستأنسة أو حتى متوحشة أعدها الرب وأطلقها لمنفعتنا .

٤- إذن فكون هذه الخلائق تطيعنا يعنى أنها خاضعة ومذعنة لنا أما نحن فهل نتردد فى الإصغاء إلى الرب وهو الذى نخضع له وحده.

٥- إن اهتمامنا بالخضوع للرب الإله مشتق أيضا من الصبر وليس من إنسان قط غير صبور يظهر هذا الإهتمام كما أنه ليس من إنسان صبور يفشل فى أن يسر به.

٦- إذن فعن هذا الصبر الذى تجمل به الرب بوضوح من يستطيع أن يعالج فضله بتفصيل كاف ومن يشك أن أولاد الله ينبغى أن يبحثوا عنه بكل قلوبهم .هكذا نستطيع أن نتقدم إلى التوصية بالصبر والحث عليه.

٥ ـ عدم الصبر من صنع الشيطان :

١- ونحن نرى أن المناقشات البناءة فيما يتعلق بمتطلبات الإيمان ليست عديمة الجدوى .

٢- هكذا حينما نتحدث عن خير ما يلزم أن نحلل الرذيلة المقابلة. فنحن نستوضح أكثر ما يجب أن نطلبه إن كنا نصف بالمثل ما يجب أن نتجنبه.

٣- فلنتأمل إذن ما يتعلق بعدم الصبر كما لو كان عدم الصبر فى الله هو عدو الإيمان الرئيسى.

٤- ونعلم أن أمور الله والشيطان متضادة بحيث أن أيا منهما لا يخدم قضية الآخر ولا يمكن أن يتحقق خير الشرير ولا شر كلى الصلاح .

٥-إذن أنا أجد أصل عدم الشر فى الشيطان نفسه وذلك منذ اللحظة التى لم يحتمل بصبر أن يخضع الرب للإنسان جميع خلائقه التى صنعها.

٦- فالشيطان ناصب الإنسان البغضة لأنه حزن وهو قد حزن لأنه واضح جدا أنه لم يحتمله بصبر.

٧- فماذا كان أولا ملاك الهلاك هذا الشرير وغير الصابر؟

من البيّن أنه إما أن عدم الصبر تعاقب مع الجهالة أو أن الجهالة مع عدم الصبر وأنهما كبرا وتوافقاً معا فى حضن نفس الأب.

٨- وعلى ذلك فعدم الصبر الذى كان الشرير أول من اختبره كان السبب فى ارتكاب الخطأ بل إن عدم الصبر دفع الإنسان إلى الجريمة.

٩- فعندما اقترب من المرأة الأولى كان مدفوعا بروح ملوثة بعدم الصبر وهى لم تكن لتخطئ البتة لو كانت قد اختبرت بإزاء النهى الإلهى الصبر حتى المنتهى.

١٠- ولم يكن لها الصبر أيضا لتحتفظ بالصمت فى محضر آدم الذى لم يكن بعد زوجها ولم يكن عليه بعد أن يأخذ بكلامها، فنقلت ما تلقته من الشرير .

١١- وهكذا هلك كائن بشرى آخر أيضا بسبب عدم صبر الواحد. وحتى الآن أيضا يهلك الإنسان من تلقاء ذاته بسبب عدم الصبر الذى بيديه سواء بالنسبه لتحذير الله أو بالنسبه لحيل إبليس.

١٢- كان الشيطان هو سبب الدينونة وسبب الخطأ وكان سبب غضب الله هو الشيطان نفسه الذى أثار معصية الإنسان ضده. وكان أول إظهار لصبر الله سببه هو أول تحرك لسخطه حيث اكتفى بلعن إبليس وليس بعقابه.

١٣-وإلا فأى جريمة كانت تحسب على الإنسان على فعل عدم الصبر هذا؟ لقد كان يعيش فى البراءة وكان الصديق الحميم لله وكان يسكن الفردوس ولكن ما أن عثر فى عدم الصبر لم يحتمل بعد الأمور السمائية.

١٤- ولذا طرد الإنسان إلى الأرض وأبعد من نظر الله وأصبح عدم الصبر سهلا عليه ليعمل كل ما يمكن أن يعصى الله.

١٥ –وفى الواقع أنه ما كاد عدم الصبر يحبل ببذرة إبليس، وبفضل إخصاب الجهالة حتى ولد ابنا للغضب. ومنذ أن ولد شكّله تبعا لتهذيبه له وبعد أن أُسقط آدم وحواء فى الموت علم ابنهما أن يبدأ بعملية قتل.

١٦ – إنه بسبب عدم الصبر لم يحتمل قايين أول قاتل لأخيه بتعقل وبدون عدم صبر رفْض الرب لتقدماته، ولو لم يكن قد أوغل حقدا لأخيه لما قتله.

١٧ – ولكنه إذ قتله كان فى حالة غضب ولم يستطع أن يغضب دون أن يكون غير صابر. وبذا أظهر أن حركة الغضب يجب أن تنسب إلى عدم الصبر الذى أثارها.

ثورات بنى اسرائيل بسبب عدم الصبر :

١٨ – هذا هو مهد عدم الصبر حينما كان لا يزال بعد طفلا ومن الطبيعى أن كان فيه أصل كل خطأ والمصدر الذى تنفتح منه موجات الجرائم المختلفة.

١٩ – والقتل سواء كان تحت تأثير الغضب المباشر أو مهما كانت دوافعه اللاحقة التى يمكن أن نكتشفها ، ينسب لعدم الصبر كأصله الحقيقى. فمن يرتكب أية جريمة حقا ولم يكن له الصبر لمقاومة شهوته الرديئة ؟

٢٠ – ومهما تكن دوافع الشر فلا يمكن أن يكون لها تأثير إن كنا نقاومها بالصبر فمن ذا الذى يرتكب زنا إن كان يقاوم بصبر ملذاته الجسدية، وإن كنا نعرض لحال نساء يدفعهن العوز للمال لارتكابه، فهذا البيع لأعراضهن إنما يجرى لأن ليس لهن الصبر لاحتقار هذه المكاسب .

٢١ – **كل خطيه إنما تعزى لعدم الصبر، فالشر هو عدم صبر للخير وكل عدم حياء هو عدم صبر للحياء وكل عدم إمانة هى عدم صبر للإمانة، وكل فجور هو عدم صبر للتقوى وكل قلق هو عدم صبر للهدوء** ويصبح الإنسان أحمقا منذ أن يصير غير قادر على المثابرة فى الخير.

٢٢ – وحينما يصير شبح الأخطاء هكذا فكيف لا يغضب الرب وهو الذى يرذل جميع

الشرور؟ أليس من الواضح أنه بسبب عدم الصبر أخطأ إسرئيل دائما ضد الله.

٢٣- فهو قد نسى الأذرع الأبدية التى أنقذته من ضيقات المصريين وطلب من هرون آلهة كيما تقوده وصاغ تقدمات الذهب التى جمعها صنماً. وكانت استجابته بعدم صبر عند غياب موسى الضرورى فى لقاء الرب.

٢٤- وبعد ما أنزل الله المن لغدائهم والماء لشربهم وبخهم الرب لأنهم كانوا غير قادرين على احتمال العطش لمدة ثلاثة أيام بسبب عدم صبرهم.

٢٥- وبالجملة لقد شردوا كثيرا إذ أخطأوا فى عدم صبر ولنسأل كيف أنهم رفعوا أيديهم على الأنبياء إلا بسبب أنه لم يكن لهم صبر لطاعتهم. بل وعلى الرب نفسه لأنه لم يكن لهم صبر لرؤيته ولو كانوا قد اختبروا الصبر لخلصوا.

٦ـ الصبر سابق ولاحق للإيمان :

١- صادقة هى الكلمة أن الصبر يتبع ويسبق الإيمان هكذا آمن إبراهيم بالله فحسب له برا ولكن صبره أعلن بإيمانه حينما قبل الأمر بذبح ابنه.

٢- لقد أطاع إبراهيم بصبر الأمر القاسى جداً الذى لم يكن لدى الله النية لتنفيذه ولو كان الله أراد لنفذه لذا بحق باركه حيث أنه كان أميناً وصبوراً .

٣- وإذ كان قد استنار بالصبر وبالإيمان حينما زرع وسط الأمم ببذرة إبراهيم أعنى المسيح وحينما تفاضلت النعمة على الناموس تولى الصبر مساعدها تكميل وتتميم الإيمان لأنه حتى ذلك الحين كان تعليم البر ينقصه الصبر فقط.

٤- وفى الواقع إن الإنسان سابقا كان يثأر عيناً بعين وسناً بسن وكان يرد الشر بالشر فالصبر لم يكن قد وجد بعد على الأرض لأن الإيمان لم يكن قد وجد فيها بعد وإبان انتظاره أفاد عدم الصبر من الفرص التى قدمها له الناموس وكان هذا سهلا فى غياب رب وسيد الصبر.

٥- ولكن منذ أن أتى المسيح وجعل الصبر يشتمل على نعمة الإيمان لم يعد مسموحا

بعد أن يصدر منا كلاما مؤذيا ولا أن نعامل أى أحد فيما بعد بسخف دون مخاطرة الوقوع فى الدينونة إذن ليتنا نمنع الغضب ولتضبط حركات المزاح ولتردع خفة اليد ولينزع سم اللسان.

٦ – لقد ربح الناموس أكثر مما خسر حينما قال المسيح أحبوا أعداءكم فانظر إذن إلى صبر المسيح الذى يربح لحسابنا باعتباره أباً.

٧ـ إختبار الصبر على فقدان الخيرت المادية :

١ – هذه هى الوصية الأساسية التى يقوم عليها منهج الصبر كله حيث أن عمل الشر لا يكون مشروعا ولو وجد ما يدعو له وليس هذا فقط فإننا إذ نستطلع دوافع عدم الصبر نجد عوضاً عنها الوصايا الأخرى المقابلة.

٢ – وإن كنا نحزن كثيراً على الخسارة المادية التى تصيبنا من فقد ميراث آبائنا فإن كتب الرب تطلب منا أن نحتقر هذا الدهر الحاضر كالرب الذى عاش فقيرا.

٣ – إن المسيح لكى ما يعيننا على احتمال فقدان الخيرات بصبر جعلنا نشارك فى مقته للاتساع مشيرا إلى أن الأضرار التى تنجم عنه تدعو لاحتقرها .

٤ – وعلى ذلك فإن **علينـا أن نحتمل نقصان وحتى انعدام ما لم يبحث عنه الرب مثلنـا الأعلى.**

٥ – ونفهم من محبة المال التى قال لنا الرسول إنها أصل لكل الشرور إنها اشتهاء ما للغير لأنه حتى ما يبدو لنا فنحن لسنا نملكه بل نحن وكلاء عليه.

٦ – فإن كانت قد مستنا خسارة وتصرفنا بعدم صبر فان حزننا عليها يظهر أن لدينا استعداد كبير لمحبة المال لأننا نشتهى خيرا لا يخصنا.

٧ – ومن يغضب لأنه لا يستطيع إحتمال خسارة ما بصبر يخطئ مباشرة نحو الله من أجل أمر زائل. يتلف الروح التى قبلها من الرب.

٨- فلنفقد إذن بلا تأسف الخيرات الأرضية ولنأمل الخيرات السمائية، ولعلى أستطيع أن أفقد الدهر الحاضر كله بشرط أن أربح الصبر. ومن لا يستطيع أن يحتمل بثبات خسارة الصدقة أو الاعتداء عليه، فهل سيستطيع أن يعطى صدقة.

٩- إن الصبر عند فقدان الخيرات هو مدرسة لتعلم والرحمة والإنسان لا يخشى أن يعطى حينما لا يخشى أن يفقد.

١٠- وكيف سيعطى من له ثوبان لمن هو عار أو كيف سنصنع أصدقاء بمال الظلم إن كنا نحبه هكذا حتى لا نحتمل غيابه.

١١- وماذا نطلب نحن هنا على الأرض حيث علينا أن نفقد كل شئ إن من خصائص أهل العالم أن يظهروا عدم الصبر إذ يفضلونه على حياتهم .

١٢- والإنسان المدفوع بشهوة الربح يحتمل أخطار البحار فى أسفاره وكذا الوقوف أمام المحاكم فى قضاياه بل ويحتمل ذلك بسرور.

١٣- أما نحن فليس علينا أن نتخلى عن حياتنا بسبب المال بل عن المال من أجل حياتنا ونحتمل الخسارة سواء من سخائنا أو صبرنا.

الصبر على التعييرات :

١ - هل يمكن أن تكون نفوسنا وأجسادنا معرضة للعنف ونحن نحتمل هذا العنف بصبر ثم نتأثر بما يصيب الخيرات الأقل أهمية. ليت خادم المسيح يتحرر من أيه شائبه تجعل صبره ينفذ.

٢ - فان اعتدى عليه أحد فالوصية أمامه من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا فصبرك ينبغى أن يتغلب على الميل للشر. تاركين الرب لينتقم من المسئ.

٣ - وإن انطلقت منك إساءة لفظية وشتائم تذكر القول طوبى لكم إذا قالوا عليكم كل كلمة شريرة ولنقتد بالرب ولنقبل بصبر الشتائم من أجل أن نكون مباركين.

٤- وإن كنت أستمع بلا تعقل كاف قولا جارحا أو مؤذيا فسوف أرد الإساءة تلقائيا وإلا فسوف يسيئنى صمتى الذى بلا صبر.

٥- وإن كنت أرد سريعا فكيف يرى الناس إنى أتبع تعليم الرب.

٦- إذن فما يمنعنا الرب عنه يطلب منا أن نحتمله متمالكين أرواحنا.

٧- والآن لننظر إلى المسرة التى يجلبها لنا الصبر فكل تعبير أو حركة يصطدم بالصبر سيكون بمثابة سهم يصوّب إلى صخر صلب.

٨- فإن كان أحد يؤذيك فلكى ما تتألم، ولكن إن أنت حرمته مما يتوقعه بعدم تألمك فإنه هو الذى سيتألم لعدم تحقق قصده.

٩- وستعود أنت ليس فقط سالما بل راضيا بإحباط خصمك.

تلك هى الفائدة والمسرة التى يجلبها لنا الصبر.

الصبر على الأحـــزان :

١- وليس هناك عذر أيضا لهذه الصورة من عدم الصبر التى تظهر فى مناسبة فقد الأقرباء حينما نلتمس لأنفسنا العذر فى أن نستسلم للحزن. إذ يوصينا الرسول لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم..

٢- وهذا حق لأننا نؤمن بقيامة المسيح وقيامتنا معه.

وبالتالى فإن الحزن بإزاء الموت ليس له داع وليس له داع بالأكثر عدم الصبر على الحزن.

٣- لماذا تعانى من الحزن وأنت تعتقد أن من غاب عنك لم يهلك لماذا لا تحتمل بصبر أن يختفى شخص ما إلى حين، وليس الموت إلا انتقال ولا ينبغى البكاء على من سبقنا بل التأسف عليه وينبغى أن الصبر يلطف أيضا هذا التأسف.

٤- ومن ناحية أخرى فإن عدم الصبر فى هذه الظروف إنما هو نذير شر بالنسبة لرجائنا

إنه يفضح إيماننا ونحن نذنب إلى المسيح.

٥- يقول الرسول لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، فيجب علينا أن نكون راغبين فى أن نتحقق من هذه الشهوة التى هى أفضل جداً.

١٠ـ الصبر على دافع الانتقام :

١ - وأخيرا فهناك حركة أخرى لعدم الصبر وهى الأكثر قوة تلك هى الرغبة فى الانتقام وهى التى تتغذى على الانشغال بالتفاهات والجهالات وهى دائما باطلة وتود أن تضاعف الشر الذى ارتكب أولاً مرتين.

٢- والانتقام من وجهة نظر المخطئ تخفيف للألم ومن وجهة النظر الحقيقية أمر مفضوح كنظير الجهالة والمعتدى والمعتَدى عليه كلاهما مدينان أمام الرب الذى ينهى عن الشر.

٣- وإن كان الأمر يتعلق بإساءة ما فليس هناك مجال لتحديد من البادئ لذا أعطينا الأمر المطلق بعدم مقابلة الشر بالشر.

٤- ولن نستطيع إحترام هذه الوصية إلا إذا احتقرنا الرغبة فى الانتقام وإن كنا نقدم كرامتنا ذبيحة للرب فلا يجب أن ننتقم لأنفسنا بذواتنا.

٥- نحن الوسخ والأوانى الخزفية حينما ينتقم عبيدنا وخدمنا من زملائهم نتضايق جداً بينما إن أولئك الذين قدموا لنا صبرهم يظهرون لنا إلتزام إتضاعهم وعبوديتهم، فنحن نرضى عليهم جداً وهذا ما يجب علينا جداً بالأولى من نحو الرب العالى جداً فى تقديره.

٦- وحينما قال لنا الرب لا تنتقموا لأنفسكم. لى النقمة أنا أجازى.. **فإن هذا يعنى : أعطونى صبركم وأنا سأعوض لكم عن صبركم .**

٧- وهو حينما يقول لا تدينوا لكى لا تدانوا ألا يطلب منا الصبر. فمن هو الذى سيتجنب دينونة الآخرين إلا الذى له الصبر ليتخلى عن الانتقام.

٨- ولكن بصفة عامة أية شقاوة تردى فيها ذاك الذى لم يصبر وكم مرة تأسف فيها

لأنه قد انتقم لنفسه وأدت اندفاعاته إلى نتائج أسوأ مما أثاره، حيث أنه ليس شئ قط مما يمارس بعدم صبر يمكن أن يتحقق بغير عنف.

٩- أما إن كنت أجتهد فى أن أكون صبورا فلن أتألم وإن كنت لا أتألم فلن أطلب الانتقام لنفسى.

١١ـ دواعى أخرى للصبر وعلاقته بالتطويبات :

١- هناك تصرفات واسعة ومنتشرة للإنسان الشرير الذى يبث آثارا متعددة لعدم الصبر أحيانا تكون ضعيفة وأحيانا تكون قوية ونحسها فى داخل البيت أو خارجه.

٢- وسط هذه أو تلك فهل تخلو المعصية من جاذبية لذا لا غنى لعلاج لها سوى الصبر.

٣- لنجاهد إذن إن كنا نحن أنفسنا بخفة أم بعزم نخلق بعض مضايقات فلنحتمل كل شئ أيضا بصبر مما نحن كنا السبب فيه.

٤- أما الأحزان التى من قبل الرب فهو الذى ينبغى له بالأكثر أن نظهر له الصبر.

ممارسة الصبر تجلب الغبطة :

٥- من جميع النواحى نحن محاصرون بالواجب وبممارسة الصبر ويقيناً أن مكافأته حسنه التى هى الغبطة.

٦- فلمن فى الواقع حفظ الرب كلمة التطويب إلا للصابرين لأنه لا يكون أحد متضعا أو على الأقل مسكينا بالروح أو صبورا إلا إذا كان يحتمل أن يتنازل ويقبل أولا بصبر تنازل نفسه.

٧- مغبوطون أولئك الذين يبكون وهم فى الحزن ومن يحتمل ثقل هذه التجارب بدون صبر لذلك يعطيهم الرب وعودا بالتعزية والفرح.

٨- طوبى للودعاء.. هذه الكلمة لا تسمح البتة أن تتضمن غير الصابرين وكذلك

طوبى لصانعى السلام لأنه ليس معقولا قط أن يكون لدى غير الصابرين ميل للسلام.

٩- وحينما يقول إفرحوا وتهللوا.. فهو يعد الصابرين فقط بهذا الفرح لأن ليس هناك من سيفرح بالعداوة إن لم يحتقرها أولا وليس هناك من يحتقرها إن لم يختبر الصبر.

١٢ - الدور البارز للصبر فى الحياة المسيحية :

١ - ومن هو الإنسان الذى وهو بطبيعته غير صابر يسامح من أجل السلام الثمين جداً لدى الله ولسنا نقول حتى إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات.

٢ - وأى إنسان وهو يتجه إلى القاضى مع خصمه يجد وسيلة لتسوية شئونه إن لم يستبعد أولاً الغضب والحزن والجهالة والغيظ الأمور التى هى بالتأكيد سموم عدم الصبر.

٣ - وكيف سنتمم القول إغفروا يغفر لكم إن كنت بسبب عدم الصبر تظل مأسورا بتذكر إساءة ما. ومن ذا الذى يغضب على أخيه ولا يضع قربانه على المذبح إلى أن يجد على الأقل أولاً الصبر ويتصالح مع أخيه.

٤ - إن كانت الشمس تغرب على غضبنا فنحن نكون فى خطر وغير مسموح لنا أن نظل يوماً واحدا بدون صبر.

وفى الواقع حيث أن الصبر يسود جميع صور منهج الخلاص فما هو العجب فى أنه يساعد على التوبة أيضا وهى الملاذ المألوف للخطاة .

٥- إنه الصبر الذى ينتظر ويترجى ويطلب الخلاص لأولئك الذين يلتزمون يوما ما بالتوبة. وحينما يكون هناك عدم توافق فى زواج ما وإذا حدث انفصال بين زوجين مع قبول عزلتهما ، فالصبر يمنع أى منهما أن يصبح زانيا ويحبذ استقبال الآخر. فأى خير لا يجلبه الصبر حينئذ لكل من الزوجين.

٦- وبنفس الطريقة فالصبر حاضر فى نماذج التوبة المقدسة التى تفرضها أمثال الرب. صبر الراعى وهو يبحث ويجد الخروف الضال. عدم الصبر لن يهتم كثيراً بخروف واحد ولكن الصبر يضحى بالألم من أجل البحث عنه ويأخذه على منكبيه باحتمال صابر

لمحروف الخاطئ الضال.

٧- هذا هو أيضا صبر الأب الذى يستقبل ابنه الضال الذى يلبسه ويغذيه ويلتمس له العذر لدى أخيه غير الصبور والمحتد عليه. لقد أنقذ إذن ذاك الذى كان مفقوداً لأنه إلتزم بالتوبة والتوبة لا تهلك لأنها تعرف الصبر.

٨- ومن ناحية أخرى فالمحبة علامة سامية للإيمان، هى كنز المسيحيين، ويوصى بها الرسول بكل قوة الروح القدس. فمن أى منهج تتكون المحبة إن لم يكن هناك منهج الصبر؟

٩- إنه يقول المحبة تتأنى : إنها تستمد ذلك من الصبر إنها مهيأة لعمل الخير والصبر لا يعمل الشر وهى لا تحسد وهذه هى خاصية عدم الصبر إنها لا تفاخر وهى قد إشتقت الاتضاع من الصبر وهى لا تنتفخ ولا تقبّح وهذا فى الواقع لا يخص الصبر وهى لا تطلب ما لنفسها بل تقبله بقدر ما ينبغى ليكون نافعاً للآخرين، ولا تحتد وإلا فماذا ستترك لعدم الصبر ؟

وهوذا لماذا تبعا لقول الرسول المحبة تحتمل كل شئ وتصبر على كل شئ وواضح جداً أن ذلك لأنها صبورة .

١٠- لهذا إذن يصدق القول إن المحبة لا تسقط أبداً. كل ماعداها سيكون له خاتمة ونهاية، الألسنة والعلم والنبوات ستبطل أما الإيمان والرجاء والمحبة فستبقى الإيمان الذى وصله لنا المسيح والرجاء الذى ينتظره صبر الإنسان والمحبة التى يصحبها الصبر مع الله كسيد.

١٣- صبر الجسد والنسك والعفة :

١- ومع ذلك فقد كانت المسأله حتى الآن عن الصبر البسيط ومن النوع الفريد الذى مركزه فى النفس فقط. فى حين أنه من أجل أن نربح صداقة الرب ينبغى أن نجتهد لنحصل بالمثل على صبر الجسد في صوره العديدة، وهو الذى أظهره الرب نفسه حينما

أظهر فضائل جسده أيضا. حيث أن النفس التى لها السيادة لا ينقصها مشاركة مسكنها فى الخيرات التى تجلبها لها الروح.

٢- فما هو إذن دور صبر الجسد؟ تأتى فى المركز الأول كروب الجسد كتضحية جديرة بأن تسترضى الرب بذبيحة الاتضاع. حينما نكتفى بما هو بسيط فى المأكل والملبس.

٣- هذا الصبر فى الجسد يعطى تأمينا لطلباتنا ووزنا لتضرعاتنا إنه يفتح آذان الله ويلطف صرامته ويجتذب رحمته.

٤- هكذا عاش ملك بابل فى القذارة والوسخ سبع سنين لأنه أذنب إلى الرب وكان محروماً من صفته البشرية وحينما قدم ذبيحة صبر جسده استعاد عرشه وهو الأمر المشتهى جداً للإنسان... لقد رضى الله بذلك.

٥- والآن إن كنا نتفحص فى الدرجات السامية جداً والمطوبة جداً للصبر الطبيعى فهى أيضاً التى تهيئ لنا طرق الصحة إذ تضبط الجسد. إنها تسند الأرملة وتختم العذراء بخاتمها وترفع نفوس الذين خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات.

الاستشـــهاد :

٦- وما ينجم عن فضيلة النفس يجد كماله فى الجسد هكذا يناضل صبر الجسد فى الاضطهادات وإن كانت ضرورة الهروب ملزمة فهوذا الجسد الذى يواجه الصعوبات فى الهرب وإن كان السجن يفاجئ فهوذا الجسد الذى يوضع فى القيود والجسد الذى يعانى من الأصفاد ونقص الضوء والبعد عن العالم .

٧- وعبر جهاد العمر حينما يرتقى الجسد إلى مسكنه الإلهى هناك حيث لا يكون بعد شئ قط نافعا إلا صبر الجسد : إن كان الروح نشيطاً ولكن الجسد ضعيف (بدون صبر) فأين خلاص الروح والجسد بالتحديد إن الرب يشير إلى أية معونة (ومعلوم جيداً أنها الصبر)، تلزمه لكى يثبت ضد كل ما من شأنه إضعاف الإيمان أو عقابه.

١٤ – أمثلة للصبر إشعياء واسطفانوس وأيوب :

١ – بفضل القوة التى يمنحها الصبر كان إشعياء تحت المنشار الذى يقطعه يطلب الرب وكان اسطفانوس تحت الحجارة التى تنهال عليه يطلب الغفران لأعدائه.

٢ – ومغبوط جداً أيضاً (أيوب) ذاك الذى استعمل كل صورة للصبر ضد كل قوة إبليس لأنه فى كل ما حدث له لم يترك عنه ثقته فى الصبر كما كان يجب أن يضعها فى الرب هذا هو الذى ضربه الشيطان باطلا بكل قوته.

٣ – وفى الواقع أنه قام أمامنا كمثال وشهادة لممارسة الصبر فيما للروح بقدر ما كان أيضا فيما للجسد حتى لا نصاب نحن عند فقدان خيرات هذا الدهر الحاضر أو أية قنية ثمينة أو عند أية ظروف سيئه تحدث لأجسادنا.

٤ – ولم ينطق هذا البطل فى كل ما أصابه إلا بالقول ليكن اسم الرب مباركاً.

٥ – إنه الله الذى كان يهزأ بهم والشرير الذى كان يتلوى من الألم حينما كان أيوب بتعقل كامل يحتمل كل ما أصابه وهكذا استعاد هذا الصانع لنصرة الله الذى كان درع وخوذة صبره يصدان كل سهام التجارب حتى استعاد صحة جسده وحصل على ضعف ما كان قد فقده.

٦ – وان كان قد استرد أبناءه تمتع مرة أخرى بلقب أب، إحتمل هذا الحرمان الاختيارى كى لا يعيش دون أن يختبر الصبر.

١٥ ـ أعمال الصبر

١ – وطالما هو حق أن الله يمكن أن يعتبر هكذا بدرجة كافية مؤتمناً فى الصبر فهل تثق فيه من ناحية أية معصية إنه ينتقم لك عنها أو أية خسارة إنه يعوضك عنها أو أى ألم إنه يشفيه أو الموت إنه يقيمه فأية قوة للصبر إلا ونجد الله مدينا لها.

٢ – وهذا حق إنه الصبر فى الواقع الذى يحمى جميع وصاياه والذى يتدخل فى جميع وصاياه إنه يقوى الإيمان وينشر السلام ويسود على الجسد ويضمن الروح ويحفظ

اللسان ويمسك باليد ويهزأ بالتجارب ويزيل العثرات ويتوج الاستشهاد.

٣- إنه يعزى المسكين ويعقل الفتى ولا يثير المريض ولا ينهك القائم ويفرح المؤمن ويجتذب الوثنى إنه يوصى السيد على عبده إننا نحبه لدى الطفل ونمتدحه لدى الشاب ونحترمه لدى الشيخ ومهما يكن الجنس ومهما يكن العمر فهو جميل.

تشبيه الصبر :

٤- والآن فهل لنا أن نلقى نظرة عامة على الإنسان الصبور شكلا وموضوعا إن وجهه هادئ ورزين وجبهته جادة بلا أى غضب من حزن أو غضب يقطبها وحاجباه بالمثل منبسطان دلالة على الفرح وعيناه منخفضتان من الاتضاع وهو لا يرسف تحت ثقل الهموم.

٥- وفمه يحمل ختم كرامة الصمت وصبغة المتحلى به سلامية وبريئة، وتتواتر حركة من الرأس لتعارض إبليس وتهزأ به مهددة إياه...

وتمنطق صدره تكسو جسده ثياب بيضاء تنسدل بلا إنثناء .

٦- وهو جالس على عرش الروح لطيف جداً ورحيم جداً لا يبالى بالزوابع ولا السحب ولكنه ينعم بسلام ممتلئ رقة منفتح وبسيط كما رآه إيليا أخيرا لأنه حيث الله هناك يكون أيضا نظامه أى الصبر.

٧- إذن فحينما ينزل روح الله يصحبه الصبر بلا افتراق وإن كنا نحن لا نقبله لا نقبل الصبرفى نفس الوقت مع الروح فهل سيظل دوما فينا. لا بل على العكس ربما لا يبقى طويلا. فبدون صاحبه وخادمه لا يكون بالضرورة قلقا فى كل مكان وبصفة دائمة. وكل ما يحزنه به عدوه لن يستطيع أن يتحمله وحده لأنه سيكون محروما من وسيلة المعونة.

١٦ـ خاتمة : نقد للصبر الكاذب وحث علي الصبر الجيد :

١ - تلك هى أسباب ومنهج وأعمال الصبر ونحن نعنى الصبر السمائى والحقيقى، الصبر المسيحى وليس الصبر الكاذب غير المشرف الذى لدى وثنيى الأرض.

٢ – لأنه من أجل أن يكون مناظراً للرب أيضا فى هذا الأمر فإبليس كما لو كان متساوياً تماما مع الرب (علما بأن الاختلاف بين الخير والشر كبير جداً بدرجة عظمتهما) علّم إبليس تابعيه صبرا معينا.

٣– أود أن أتكلم عن ذلك الصبر الكاذب الذى يجعل الأزواج خاضعين لسلطة النساء إذ يبيعون ويشترون أجسادهم من أجل كسب مادى ويعلمهم أن يتاجروا فى أعراضهم، الذى كيما يوقع الناس فى حبائله بدون إنجاب أطفال يتظاهر بغيرة كاذبة ويقبل أن يرى ملتزما بكل نوع من الخدمات المتعبة الذى يجعل المستعبدين لشهوات بطونهم خاضعين لعبودة مرة، وحريتهم مهزومة من حنجرتهم.

٤– هذا هو السلوك الذى تعلمه الوثنيون عن الصبر وهم يخلعون اسم هذه الفضيلة العظيمة على ممارسات قذره كهذه. فهم صبورون فيما يتعلق بالمنافسة وحب الجسد وجمع الثروات من نحو الضيافة.

ولا يوجد إلا الله الذى يظهرون من نحوه عدم الصبر طول حياتهم، ولكن تبّاً لهم ولصبرهم الخاص الكاذب وصبر رئيسهم الذى تنتظره نار سفلية.

٥ – أما بالنسبة لنا فليتنا نحب صبر الله صبر المسيح ولنرد إليه ما دفعه تلقائيا من أجلنا ولنقدم له صبر الروح وصبر الجسد نحن الذين نؤمن بقيامة الجسد والروح.

تطويب لشهداء مصر

للقديس يوحنا ذهبى الفم (*)

مبارك الله يا أحبائى!

شهداء يأتونا من مصر!

نعم شهداء فى هذه المنطقة التى كانت همجية ومقاومة تماما للإله الحقيقى! فى مصر هذه حيث ماكان الفم ينطق إلا بالشرور، ولا اللسان إلا بالتجاديف.. ماذا أقول : شهداء فى مصر، وشهداء فى المناطق المجاورة، ولنقل أكثر من ذلك لأنى أرى شهداء فى كل الأرض .

ونحن نعلم أنه لو حصدت بلد ما من محصولها وفرة تزيد عن حاجات استهلاكها فإنها توزع الفائض على المدن الأجنبية، كيما تعبر عن اهتمامها بالعطف على الغير. وكيما تحصل، عن طريق تبادل المواد، على كل نوع مما لا تنتجة أرضها. هكذا فعل المصريون فيما يتعلق بمجاهدى الإيمان، فقد صاروا أغنياء حقا بسبب وفرة هؤلاء الأبطال المسيحيين عندهم، ولم يريدوا أن يحجزوا داخل بلادهم هذه البركة التى نالوها من سخاء الله. بل سروا بأن يفرقوا الكنز على كل الأرض. وبهذا السخاء أثبتوا محبتهم للمسيحيين إخوتهم، كما أرادوا ان يمجدوا سيد جميع البشر، ويزينوا بلادهم ويظهروها كالمدينة النموذجية وأم مدائن المسكونة. لقد أمكن للأحداث العامة، التافهة، والمصالح التى لا

(*) هذه العظة نطق بها القديس يوحنا ذهبى الفم بمناسبة نقل رفات شهداء مصريين إلى مدينة القسطنطينية لبناء كنائس عليها. وهى مسجلة فى مجموعة الباترولوجياجريكا تحت رقم p g 50.g93-g98

وفى فهرس كتابات الآباء باليونانيه تحمل رقم cpg 4363

وفى فهرس سير القديسين باليونانية تحمل رقم bhg 1192

تتعدى منفعتها اهتمامات العالم الحاضرأن تكسب لقب المدينة الأم لمدن كثيرة قديمة، فكم بالأولى جدا، وأكثر من أى مدينة أخرى، تستحق هذا الامتياز الرفيع، المدينة التى عوض أن توزع خيرات أرضية فانية تعد أناساً، ليصيروا بعد موتهم حصنا للمدن التى تقبلهم. **وحقا إن رفات الشهداء هى حصن لمدننا، أكثر ضمانا من الأسوار السميكة جدا، حتى ولو كانت من الماس** .

ها هم الشهداء، إنهم كالصخور الشامخة التى يصعب إقتحامها، بل إن رفاتهم تفعل أكثر من صد هجمات الأعداء المنظورين، إنها تهزم أيضا هجمات ومؤامرات الشياطين غير المنظورين، وتفضح حيلهم بالسهولة التى يسحق بها إنسان مناضل قوى لعب الأطفال. ونحن نقرر أنه من أجل ضمان سلام مواطنى أية مدينة، قد لا تجدى جميع الوسائل التى يقيمها البشر، مثل الحوائط السميكة والخنادق العميقة، والجنود الكثيرين الشجعان، حينما يستعمل العدو وسائل أكثر ومخترعات أعظم، ولكن مغبوطة هى تلك المدن التى تحميها رفات الشهداء الأماجد فعبثا يجترئ الأعداء عليها بكافة وسائلهم وإمكاناتهم، إذ يظهر عجزهم الفاضح بإزاء القوة التى يهاجمونها.

بل إن اقتناء هذة الرفات يا إخوتى الأحباء، ليس نافعا فقط لفضح مؤامرات الناس أو حيل الشيطان المخاتلة، بل حتى لو كنا قد جلبنا على أنفسنا غضب الله بأخطائنا الكثيرة، فلنلجأ إلى هذه الرفات ونحتمى بها وهوذا الله يعود سريعا ويرضى عن بلادنا. فإن كان قد حدث فى الأزمنة الغابرة أن استطاعت بعض الشخصيات البارزة أن تقبل من الله معونة ما، بالتشفع بأمانة القديسين العظام، وأن تربح كثيرا بالدعاء بأسماء إبراهيم وإسحق ويعقوب، فكم بالأولى نستطيع نحن أن نجعل الرب يصير رحيما رؤوفا ومحبا لنا، إذ نقدم له ليس فقط أسماء بل وبقايا مسيحيين استشهدوا من أجل مجده. بل إن قولى هذا ليس بدون برهان عملى، فإنى أدعوكم يا مواطنى هذه العاصمة، وكذا أنتم أيضًا الغرباء عن حدودنا، نعم أدعوكم أن تقولوا لنا، ماهى القوة القاهرة لأبطال الإيمان هؤلاء؟ إشهدوا لكلامى، أنتم يامن بخبرتكم المحسوسة تعلمون الدالة العظيمة التى يتمتع بها هؤلاء القديسون

المكرمون لدى الله... وهى دالة مبنية على أساس، فإن نضالهم من أجل الحق لم يكن جهادا عاديا وبلا تضحيات، لأنهم كانوا يدفعون هجمات واندفاعات الشياطين الرهيبة بقوة وشجاعة حاسمة، كما لو كانت أعضاؤهم من صخر وحديد، ولم تكن أعضاء زائلة وقابلة للموت، فمن يشاهد شجاعتهم يحسبهم قد لبسوا تلك الطبيعة الخالدة غير القابلة للعذاب والهلاك، بإزاء الضربات القاسية جدا والممزقة جدا، فقد كان المضطهدون القساة الهائجون، كحيوانات مفترسة، يحاصرون أجسادهم غير المقهورة، يثقبون ويحفرون جنباتهم ويمزقون أوصالهم ويعرون عظامهم ويبدون نهمين جدا فى قساوتهم الهمجية، ولكن عبثا كانوا يمزقون الأجساد، وعبثا كانوا ينشبون أظفارهم الحديدية حتى داخل أحشائهم، إذ كان مستحيلاً عليهم أن ينزعوا كنز إيمانهم. لقد كان رجاء المضطهدين يخيب، إذ كانوا كالمحاصرين للمدينة الملكية بهدف نهب كنوز ها، الذين بعد أن يحطموا أسوارها يشرعون فى كسر الأبواب، وتحطيم المتاريس الحديدية، وخلع البلاط والتنقيب فى كل مكان لعلهم يجدون كنوز الملك، لكنهم ينسحبون بعد ذلك دون أن يكونوا قد تمكنوا من أن يجدوا شيئا. أو أن يحملوا شيئاً .

هذه هى طبيعة ثروات نفوسنا... فباطلا يسعى أحد ليسلبها بقوة العذاب، حينما تريد النفس أن تسهر عليها بعين منتبهة. فحطموا وانبشوا كما تريدون هذا الصدر، **ومزقوا هذا القلب إرباً، فأبداً لن تغصبوا النفس التى تحركه، على أن تسلم وديعة الإيمان التى إئتمنت عليها**. هذه الشجاعة غير المقهورة هى من عمل نعمة الله. من الله الذى يدبر كل شئ من أجل مجد قديسيه. ويجعل أعضاءهم أدوات لمعجزات باهرة جدا.

يا للمعجزة الجديرة جدا بالإعجاب، فإنه عبثا يثير المعذبون غضبهم الجنونى على الشهداء كيما ينتزعوا كنز إيمانهم، وماذا يفعلون؟ لا شئ إلا أن يزيدوا حرصهم عليه وينموا استحقاقاتهم ويعظموا مجدهم. وليست النفس فقط التى تقبل فيض النعمة من أجل الجهاد بل الجسد أيضا له نصيبه فى هذا المجال. وليس فقط أنه لا يفقد شيئا من طاقتة الطبيعية بل مع كون هذه الأعضاء ممزقة تماما ومشوهة تماما. فإنها تبدى قوة مذهلة للغاية

يفوق الإدراك جدا. أفلا تبدو لكم إذن فى غاية الدهشة نصرة هؤلاء الشهداء؟ وخاصة فى الوقت الذى يمسك الطغاة بقبضتهم على هؤلاء المجاهدين ويعذبونهم كما يريدون، فرغما عن ذلك ينكسر هؤلاء المعذبون بخزى. وينغلبون لماذا؟ لأنهم لا يتواجهون مع بشر بل إله السماء الذى يسكن فيهم. ومن يقاوم الله ضابط الكل، هل يمكن أن يتوقع إلا الهزيمة الأكيدة؟ لا يستطيع أحد أن ينكر أن مثل هذا المقاوم سوف يعاقب على جسارتة الجريئة.

هذة هى صفات انتصارات القديسين... إن نضالهم وجهاداتهم تثير الإعجاب وتأسر القلب، فكم تتأثر القلوب بتذكار الأكاليل المذخورة لثباتهم البطولى. بل إن آلامهم فى الواقع لم تقف عند صنوف العذاب التى فصلناها سابقا، ولم تضع هذه العذابات نهاية لنضالهم. بل إن شر المضطهدين قد هيأ لهم سيرة أطول وأكثر جهادا. فمن ذا الذى كان يلهمهم بذلك؟ إنه الشيطان الذى كان يتجاسر ويتصور أمل الغلبة على هؤلاء المجاهدين المكرمين. بمزيد من العذابات المؤلمة، والله لم يمنعه عن ذلك كيما يعلن للعالم بصورة أقوى جنون غير المؤمنين من ناحية، وكيما يهئ للشهداء الفرصة ليضاعفوا أكاليلهم ويزيدوها لمعانا من ناحية أخرى.

أنظروا أيوب، فإن الشيطان قد طلب من الله السماح بأن يضربه بالقروح ويصيبه بأدواء جسيمة، أملا أن يزعزع هذا المجاهد الشجاع عن التقوى، بتراكم المصائب الثقيلة جدا عليه، والله قد وافق على الإلحاحات المعوجة لأشر الأرواح المظلمة، كيما يظهر عبده أكثر ضياء، هكذا كان نصيب الشهداء...

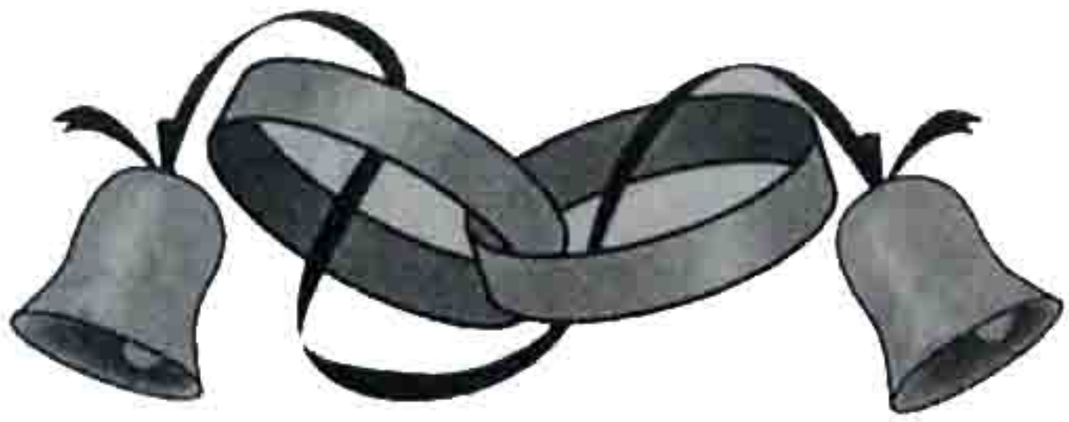
وإذ كان الشيطان مثابرا على غيّة، كان يعد مجالاجديدا فبعد أن شبع تماما من دماء الشهداء صار يخترع طرقا جديدة للتعذيب إذ أوقع عليهم أحكام موت مؤلم جدا بقدر ما هو بطئ أيضا، هذا الموت البطئ هو أن يعملوا كل عمرهم دون تراخ فى المحاجر والمناجم فيا للجنون المفرط جدا، وكيف يجسر على أن يتوقع نجاح هذا الاختراع بعد كل هذه البراهين الواضحة على شجاعة الشهداء التى لا تقهر؟ حينئذ رأينا بين الحيوانات المتوحشة أناسا صاروا زملاء الملائكة ومواطنين للسماء ومختارين لسكنى أورشليم العليا، حينئذ فاح

فى الصحراء عبير القداسة الذى لم تشهده قط المدن والبلدان... لقد تحقق فيهم ذلك القول النبوى الذى يعلن التعليم : «ويكون نور القمر كنور الشمس ونور الشمس يكون سبعة أضعاف...» (إش ٣٠ : ٢٦)، فهذا النور الفائق كان يبدو من نصيبهم، لأنه ليس شئ قط يوازى تألق النفس التى حسبت أهلا لأن تتألم من أجل يسوع المسيح، مهما كانت الشرور التى تأتى وتنصب عليها. فإن الإيمان بالنسبة لهؤلاء الشهداء المنفيين جعلهم يعاينون أمجاد السماء، ومكنهم من الإحساس بمشاركة صفوف الملائكة الذين هم مواطنو السماء. بل ماذا أقول؟ ماذا كانت حاجتهم للتفكير فى الملائكة والسماء حيث أن يسوع رب الملائكة كان مجتمعا معهم فى الصحراء، ألم يعلن يسوع المسيح أنه سوف يكون حاضرا وسط أية ثلاثة أشخاص مجتمعين باسمه؟ فكم بالأولى كثيرا من المسيحيين ليسوا فقط مجتمعين باسمه بل ومتألمين من أجله بآلام إستشهاد لا نهاية له؟ وهل يستطيع أحد أن يجهل أن الحياة فى عمق المحاجر والمناجم هى أقسى ما يمكن أن يكون؟ وأنه ليس هناك مجرم واحد لا يفضل أتعاب ألف موت على الشرور المصاحبة لهذه الأشغال الشاقة؟ لقد حكم إذن على قديسينا الشهداء بالعمل فى المحاجر، هناك كان أناس أجل قدراً من الذهب يحفرون ويستخرجون الحديد من أعماق الأرض. كان هؤلاء الشهداء الأثمن من أثمن الكنوز يحفرون المناجم. فما أقسى هذه الحياة وما أصعب هذا الوجود.. لقد كانت تتحقق فى هؤلاء الشهداء الأوصاف التى إستعملها الرسول كيما يصور قديسى العصور الأولى : لقد طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين وهم لم يكن العالم مستحقا لهم» (عب ١١ : ٣٧).

وعلى ذلك فإذ نحن نعلم أن جميع القديسين وأحباء الله، قديما وحديثا، قد نهجوا حياة قاسية متعبة اكتنفتها تجارب بلا عدد فلا نبحثنّ لأنفسنا عن حياة مريحة أو ناعمة أكثر منها، حياة تتخللها المسرات والتنعمات، بل لنقبل على حياة العمل والجهاد والأتعاب والآلام الكثيرة لأنه كما أن المجاهد لن يفوز قط بالجائزة إن كان يستسلم لحياة رخوة وكسولة، وكما إن الجندى لن يقتنى قط وساما فخريا، والملاح لن يصل إلى الميناء والفلاح لن يملأ حقله بالسنابل المتزاحمة، إن كان هؤلاء وأولئك لا يقبلون بلا ملل على

الأعمال المتعبة، هكذا أيضا لا يمكن لإنسان مسيحى حياته رخوة متكاسلة أن يظفر بملكوت السموات. فانظروا فى كل مصالح هذا الدهر الحاضر إن كانت الأعمال لا تسبق المسرات. وإن كانت الأخطار لا تتقدم الأمان فضلا عن إننا لا ننال إزاء أتعابنا سوى أجرا زهيدا قليلا، فيا للحماقة.. إن ما يقدم لنا هو السماء وحياة سعيدة بلا نهاية، ومجد الملائكه بعينه، واقتناء هذه الخيرات التى لم تخطر على قلب بشر ولا يستطيع اللسان أن يعبر عنها، ونحن نريد أن نحصل عليها دون أن نهجر عاداتنا وحياتنا الرخوة الكسولة الناعمة؟ ولا نعتبرها جديرة بجهود مساوية لتلك التى نبذلها من أجل مصالح تافهة زمنية. إنى أستحلفكم أن تتحرروا من هذه الآراء المضرة لأنفسكم والتى تهدد مصالحكم (الأبدية)، أنظروا إلى هؤلاء القديسين المجاهدين المتسلحين بالصبر والباذلين لأنفسهم واسترشدوا بأنوار هذه المصابيح التى تضئ لكم، ولنقوّم حياتنا ونكيفها على مثال سيرتهم، نعم لنحاكى صبرهم وبذلهم حتى تؤازرنا شفاعتهم فنحسب مستحقين عند خروجنا من هذا العالم أن ننعم بمعاينتهم والوجود بجوارهم فى المظال السماوية.

ولينعم علينا الله بهذه النعمة، برحمة ربنا يسوع المسيح آمين.



المبـادئ الإلهيـة

للأب لاكتانتيوس *

تمهيـد :

يتعجب الأب لاكتانتيوس من أن الله خالق الكون الضابط الكل، وهو الوحيد الجدير بالعبادة ينساه البعض تماما، وينساق البشر فى مثل هذا العيش حتى يفضلوا توقير الأموات عن الله الحى، والكائنات البشرية العتيدة أن تدفن فى الأرض عن ذاك الذى وضع أساسات هذه الأرض.. وماذا عساه أن يكون السبب؟ ليس شئ آخر فى رأينا إلا وجود روح ضلال[1] فى البشر شغله الشاغل الدائم هو إشاعة الظلمات وتعمية أرواح البشر حتى لا يروا النور، ولا يرفعون أعينهم إلى السماء ولا يحترمون حتى الخصائص الخاصة بأجسامهم.

قامة الإنسان مستقيمة من أجل تأمل الله :

والواقع أنه إن كانت الكائنات الأخرى منحنية إلى الأمام وأنظارها مثبتة على الأرض

---

* الكتاب رقم ٣٣٧ من مجموعة Sources Chréiénnes 337 الصادر من باريس سنة ١٩٨٧ بعنوان المبادىء الإلهية للأب لاكتانتيوس من آباء القرن الرابع الميلادى هو الجزء الثانى من ستة أجزاء، صدرت فى أعداد أخرى من نفس المجموعة. وهو يقع فى ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط ونجد الأصل اللاتينى للمخطوطة القديمة فى الصفحة اليسرى للكتاب والترجمة الفرنسية للنص فى الصفحة اليمنى، ويدور موضوعة العام حول دحض العبادات الوثنية التى سادت فى ذلك العصر وبيان أفضلية المبادئ المسيحية عليها. وقد أرسل الأب لاكتانتيوس كتابه هذا إلى الإمبراطور قسطنطين كما يبدو من فاتحة خطابه حيث يذكر له أنة رسالة هامة ونافعة لرد الناس من طريق هلاكهم للمصالحة مع أنفسهم ومع الله.

(١) تظهر روح الضلال هذه فى أنماط التدين الغير سليم والممارسات العبادية الخاطئة المضرة فضلا عن الشرور التى يستعبد لها البعض الأمر الذى يعبرعنه معلمنا بولس الرسول بقوله : «لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخصلوا ولأجل هذا سيرسل الله إليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب» (٢ تس٢ : ١١).

فذلك لأنها لم تقبل عقلاً وحكمة، أما نحن فقد قبلنا من الله الخالق القامة المستقيمة والوجه المتجه إلى السماء، فواضح إذن أن من يعبدون آلهة غريبة [٢] لا يتوافقون مع طبيعتهم البشرية، حيث أنهم يحددون كائنا سماويا لكى ما ينشغل بأهداف أرضية. لأنه حينما جبل الله أبونا الواحد الوحيد الإنسان أى الكائن العاقل الذى حباه المنطق، إنتزعه من الأرض فعلا وأقامه من أجل أن يتأمله، بإعتباره خالقه. وهذا ما عبر عنه أحد الشعراء بقوله : «فى الوقت الذى تنظر فيه جميع الكائنات الأخرى نحو الأرض إذ أن رؤوسهم متجهة إلى أسفل، **أعطى الله الإنسان وجها مرتفعا ومتجها نحو السماء وأمره أن يتأمل السماء وأن يشخص بعينيه فى إتجاه النجوم...**» هوذا لماذا دعاه الإغريق إنسانا، **ανθρωος**، لأنه ينظر إلى العلاء [٣] إذن فهم يتنكرون لذواتهم، ويتنازلون عن لقبهم كأناس (أى إن كلا منهم إنسان) أولئك الذين لا ينظرون إلى فوق بل إلى أسفل : إنهم يعتبرونها مجرد صدفة فقط إن الإنسان أعطى قامة مستقيمة دونما سبب خاص، فإن كان الله أراد أن ننظر إلى السماء فهذا ليس بلا سبب. لأن الطيور كما أيضا معظم الحيوانات المتوحشة تنظر السماء، أما بالنسبة لنا فقد أعطينا بصفة خاصة أن نثبت أنظارنا على السماء إذ نظل قائمين بثبات : وذلك حتى ما نبحث فيما هو فوق عن عقيدتنا، ولكيما بروحنا نتأمل الله، الذى يتربع عرشه فوقنا، حيث أننا لا نستطيع ذلك بأعيننا.. هذا هو بالتحديد ما لا يفعله من يوقرون البرونز والحجر والأغراض الأرضية. ومن ناحية أخرى فإنه من غير المعقول إطلاقا أنه بينما إن الجسد الزائل يتمتع بقامة مستقيمة، فإن الروح وهى أبدية تتسفل من جانبها إلى مستوى الأرض ففى الواقع، إن هذا المسلك وهذا الاتجاه

---

(٢) غنى عن البيان أن الأب لاكتانتيوس كان يدحض الآلهة الوثنية السائدة آنئذ فى عصره ولكن الكلام ينطبق حاليا على أوثان العصر الحديث ونعنى بها تأليه الإنسان لذاته وعبادته لعقله الذى أوصله إلى منجزات التكنولوجيا الحديثه وكل ما هو من أعمال العقل لخدمة الحياة الفانية.

٣) من أجل شرح كلم ة (**ανθρωος**) أورد الأب لاكتانتيوس أصلها في اللاتينية واليونية = Sursum spectare أى ينظر إلى أعلا، والواقع أن كثيرين منا يجهلون هذا التحليل اللغوى للكلمة.

(راجع : M. perrin, L' homme antique p . 408,n.147)

يعنى بكل بساطة أن روح الإنسان ينبغى أن ينظر إلى حيث ينظر وجهه، وأن نفسه ينبغى أن تكون هى أيضا مستقيمة كجسمه، من أجل أن تكون مشابهة لذلك الذى يجب عليها أن تسود عليه. ولكن الناس ينسون إسمهم وحالتهم، ويحولون أنظارهم من السماء إلى الأرض ويثبتونها على التراب، ويهابون ما هو من صنع أصابعهم الخاصة كما لو كان أى غرض ما يمكن أن يكون أعظم من ذاك الذى صنعه .

ويعرض الأب لاكتانتيوس فى الفصل الأول من كتابه «المبادئ الإلهية» لأهمية العقيدة لأنها مغروسة فى طبيعة الإنسان نفسه مركزا فى دفاعه عن مصالحة الإنسان مع نفسه أكثر مما على الأسباب المنطقية، ويعرض فى الفصل الثانى كيف أن العبادات الوثنية السخيفة تحط من قدر الإنسان كثيرا وهو المدعو لأن يرتفع فوق عالم الماديات بمقتضى طبيعته وأصله. ثم يعرض فى الفصلين التاليين صورا للتدين غير السليم الذى يمارس العبادة باندفاعات جنونية أو بحركات آلية ويطبق فى فصل تال على الأبيقورية حيث يفضح تناقضاتهم ثم يشرح فى فصلين تاليين أيضا كيف أن الوثنية قامت على تقاليد بالية وأن كان لا ينكر قوتها فى التأثير على العالم. إنه يستلهم من صفحات الكتاب المقدس كيف أن الناس انغمسوا فى الوثنية الأمر الذى أدى بهم إلى عقاب الطوفان، والتفرق التالى له وكيف إن معاملات الله مع البشر عبر العصور تؤيد رأيه وتتوافق معه، وفى الواقع أنه قد استقى آراءه هذه من آباء سابقين عليه فى التقليد المسيحى إذ نجد ما يماثلها لدى إيرينيئوس ويوستينوس الشهيد وساويرس.

التقوى هى معرفة الله :

وربما يسأل واحد لماذا يسمح الله بكل هذا ولا يلغى هذه الأخطاء المتعبة؟

- ونجيب بأنه لابد من تصارع الخير والشر، والرذيلة والفضيلة «لكى يكون المزكّون ظاهرين»(١ كو ١٩ : ١١).. ويكفى الآن الإشارة إلى أن كثيرين منخدعون وينقادون إلى الخطأ ضد الله بينما أنه هو نفسه عادل ولطيف وصبور.

وسبب كل هذه الخدعات لا يزال غير واضح بالنسبة لمن يجهلون الحق، فهم يظنون فى

الواقع أن الشياطين يمكن أن تكون نافعة لهم حينما يتقون شرها، ولكنها لا تستطيع أن تفعل إلا الشر، ويظن البعض أنه لا بدمن استرضائهم لكى لا يسيئوا إليهم حيث أن لهم القدرة على عمل الشر، وتناسوا أنهم يصنعون شرا فعلا ولكن لأولئك الذين يخافون منهم. الذين هم غير محصنين بيد الله العاليه القوية. الذين هم حتى الآن متغربين عن سر الحق. لنعلم إذن أن الشياطين تخشى الأبرار، أى الذين يعبدون الله، الذين حينما يدعون بالاسم الواحد[٤]، فهذا الدعاء يجعلها تخرج من البشر، وهى حينما تُضرب بكلماتهم كما بالسياط، لا تكتفى فقط بأن تقر بأنها شياطين، بل أيضا تفصح عن اسمها، فهذه الشياطين التى تفر هاربة هى التى يوقرها البعض فى المعابد. ويقرون هكذا كثيرا جدا فى حضرةمن يعبدونهم، وهذا لا يقلل من قدر العقيدة بل من قدرهم، لأنهم لا يستطيعون أن يكذبوا على الله الذى ندعو باسمه عليهم ولا على الأبرار الذين يرعبونهم بصوتهم. لهذا يطلقون صيحات عالية معلنين أن هناك من يعذبهم ويحرقهم، وأنهم سيخرجون سريعا من الناس الذين يسكنونهم [٥]. كم هى قوية معرفة الله وديانته! فمن إذن الذى يمكن للشياطين أن تصنع به شرا، إلا لمن هو تحت سيطرتهم!؟ وأخيرا فالراعى هرماس يؤكد أن أولئك الذين يعرفون الله ليسوا فقط فى حماية من هجمات الشياطين بل فضلا عن ذلك فهم غير مستبعدين لما يسمونه «القدر»، إنه يقول : «ان التقوى هى الحارس الوحيد، فالأرواح الشريرة وما يسمى «بالقدر» ليس لهم سلطان على الإنسان التقى. فالله يحمى

---

(٤) يعنى الأب لاكتانتيوس أنه باسم المسيح الكلمة القادر على كل شئ، دون أية وسيلة أخرى، يخرج المسيحيون الشياطين كما هو مكتوب : «ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس إله آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ١٦ : ١٨) راجع أيضاً كتابى القديس يوستينوس الشهيد الدفاع ٢، ٦، ٦، وترتليانوس الدفاع ٢٣ : ١٥.

(٥) يعرض لاكتانتيوس لهذا الموضوع الخطير والهام جداً حيث إنه موضوع شكوى الكثيرين فى أيامنا الحاضرة من ضعيفى الإيمان الذين لا يصدقون كفاية بأن الله هو الذى يرعى ويدبر أمورهم بل إن حياتهم فى يد المسيح وليس لعدو الخير سلطان عليها، لذا ينخدعون بتأثير الأرواح الشريرة عليهم ويصدقون فى الاعمال السحرية ومن يصنعونها وينساقون وراء علوم التنجيم والعرافة حلاً لمشكلاتهم متناسين قول المسيح : «خرافى ... لا يخطفها أحد من يدى» (يو ١٠ : ٢٨).

الإنسان التقى من كل شر.. الخير الوحيد الفريد لدى الناس هو فى الحقيقة التقوى. وهو يوضح ماهى التقوى فى موضع آخر بهذه العبارة : «التقوى هى معرفة الله». وقد شرح إسكلابيوس تلميذ هرماس باستفاضة هذه الصيغة عينها فى رسالة له بعنوان : «الحديث الكامل» والتى بعث بها إلى الملك فى زمانه، ويؤكد الإثنان على أن الشياطين هم الأعداء والمعذبون للناس، لهذا يسمون الملائكة الأشرار حيث أنهم بعد ما طردوا من مواقعهم السموية صاروا كائنات أرضية مقاومة لله وملكوته.

التدين إرتقاء نحو الله :

إذن فكل من يجتهد ليتوغل فى سر الإنسان [٦] ويعمل اعتبارا لطبيعته ينبغى أن ينهض نفسه من الأرض، ولينتصب بروحه ويوجه نظره إلى السماء. وليته لا يبحث عن الإله تحت أقدامه، وليته لا ينقّب كيما يجد تحت رجليه من سيعبده، لأن كل ما سيجده أسفل الإنسان هو بالضرورة أتفه من الإنسان، ولكن ليته يبحث فى السماء.، ليته يبحث فى ماهو أعلى، لأن ليس شئ قط يمكن أن يكون أعظم من الإنسان إلا ما هو أعلى من الإنسان، أعنى الله الذى هو أعظم من الإنسان : إنه إذن أعلا منه وليس تحته، وهذا ليس فى المناطق السفلية بل فى المناطق العلوية. إنه ينبغى بالأولى الاجتهاد فى طلبه، ومذاك فليس من شك أنه لا توجد ديانة فى أى مكان حيث توجد صنمية لأنه إن كانت الديانة تأتى من الحقائق الإلهية، وليس ماهو إلهى إلا فى الأمور السماوية، فالتماثيل إذن ليس لها أية خاصية دينية، لأنه لا يمكن أن يكون هناك شئ سماوى مصنوع من شئ أرضى، وهذا يمكن أن يلوح للعاقل ببساطة حتى من مجرد الكلمة. ففى الحقيقة أن كل ماهو تمثيلى يكون بالضرورة كاذبا، ومن يحاكى الحقيقة بالخداع والكذب لا يمكن أن يطلق عليه اسم الحقيقة. ولما لم تكن كل محاكاة بالضرورة جادة بل نوعا من اللعب والمسرة، فليست هى بديانة تلك التى تحتوى على صور شكلية بل محاكاة للديانة. ينبغى إذن تفضيل الحقيقة على كل ما

---

(٦) أى السبب الذى لأجله خلق الله الإنسان والذى لأجله قال بولس الرسول : «أسعى لعلى أدرك ذاك الذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع» (فى ٣ : ١٢).

هو كاذب، يجب أن نطأ وندوس ماهو أرضى من أجل إقتناء ماهو سمائى.

وفى الواقع إن حالتنا تشبه بأى إنسان يحط نفسه التى هى أصلا من السماء، إلى أعمق الأعماق. إنه سيسقط إلى حيثما سيلقى هو نفسه : لهذا يجب أن نتذكر حالتنا وطقسنا، وأن نكرس جهودنا دوما للاتجاه نحو الأمور الأكثر سموا. ومن يفعل هكذا فهو الحكيم بعينه، وهذا هو البار ويكون هو الإنسان! وأخيرا سيحسب أهلا للسماء ويشهد له أبوه أنه لم يتمرغ ويضطجع فى التراب مثل الزواحف ذوات الأربع، بل بالأولى أنه صار واقفا ومنتصبا كما صنعه هو نفسه.

الخلاصة :

أوضحنا إذن أن عبادة الآلهة الوثنية باطلة لأسباب ثلاثة :

أولا : ذلك لأن الصور التى هى موضوع عبادتهم من صنع البشر الأموات، ومن الغباء وغير المنطقى أن صورة إنسان تقبل العبادة من صورة الله (الإنسان) فإن من يعبد يكون أصغر وأضعف ممن يعبد. إنها جريمة لا تغتفر ولا يكفر عنها أن نترك كائنا حيا لنخدم أضرحة مخصصة للموتى الذين لا يمكنهم أن يعطوا الحياة لأى أحد ولا النور الذى هم أنفسهم محرومون منه، وليس هناك إله آخر إلا الإله الفريد فى الدينونة وفى السلطان الذى تخضع له كل نفس .

ثانيا : السبب الثانى هو أن هذه الصور المخصصة التى يستعبد لها بعض الناس الأغبياء تماما، لا تحس بأى إحساس حيث أنها من الأرض فمن لا يعتبر ذلك تسفلا وانحطاطاً أن الإنسان الذى له قامة منتصبة ينحنى لكى ما يعبد ماهومن الأرض؟ فالأرض قد وضعت تحت أقدامنا من أجل أن نطأها وليس من أجل أن نعبدها، لأنه إن كنا قد أخذنا منها وإن كنا قد قبلنا على خلاف الكائنات الحية الأخرى القامة المستقيمة فليس ذلك من أجل أن ننحنى إلى التراب ونحول وجهنا السماوى إلى الأرض بل من أجل أن نحول أنظارنا إلى حيث تتجه طبيعتنا.

ثالثا : والسبب الثالث هو أن هذه الأرواح المعبودة لا تستطيع أن تجلب نفعا لمعتنقيها. حيث أن سلطان جميع الأشياء فى يد واحد فقط بل أنها تهلكهم بغوايات مميتة، لذا ينبغى بالأولى الخضوع لسلطان الله الحى الذى يتفوق على قوتهم جميعا والذى ندعو باسمه عليهم فيطردهم سريعا.



إلى دونات (*)

للقديس كبريانوس

دوافع وإطار الحديث

ها قد حان الوقت أيها العزيز دونات لأتذكر طلبتك وما قد وعدتك به ونحن بقرب نهاية العام حيث تهدأ النفس فى إجازتها السنوية ويطيب لنا أيضا أن نقضى معا حينا فى الحديث من أجل تثقيف النفس بالأقوال الإلهية.

أما بالنسبة لى فإنى حينما كنت منهكا من ظلمات ليل قاتم، وحينما كنت مترددا وغيرمحدد الرأى كنت مذبذبا تحت رحمة الصدفة فى دوامة بحر هذا الدهر الحاضر المضطرب. وإذ كنت جاهلا حياتى ومتغربا عن الحقيقة وعن النور، كنت أحسب حقا أن ما وعدت به الرحمة الإلهية لخلاصى أمرا صعبا ومتعبا بالنظر إلى عاداتى فى ذلك الحين. **يمكن للمرء أن يولد من جديد، وإذ يولد إلى حياة جديدة بحميم الماء الذى يجلب الخلاص يتجرد مما كان عليه سابقا**، وإذ يحتفظ تماما بتكوينه الطبيعى يتغير الإنسان روحا ونفسا. لقد كنت أسأل نفسى كيف يكون ممكنا تغيير كامل هكذا، أى التحرر السريع وفى طرفة عين من رذائل، إما فطرية وقد تحجرت من واقع تسفل طبيعتنا المادية، وإما مكتسبة منذ أمد بعيد وقد تطورت مع العمر والقدم؟

وقد تأصلت بجذور طويلة وعميقة حتى إلى أعماق الكيان. متى سيتعلم العفة من قد اعتاد العشاء الفخم والولائم الصاخبة؟ وذاك الذى كان يتميز بالملابس الثمينة، والذى كان يتألق بالذهب والأرجوان، متى سيتنازل إلى وضع عام وبدون مطلب؟ ذاك الذى قد إغتنى بالجماعات والكرامات لا يستطيع أن يكون نفرا بسيطا خامل الذكر، إن من كان محاطا

---

* مجموعة المصادر المسيحية كتاب رقم ٢٩١ ٣٩١ Sources chretiennes.

بحرس سابق من العملاء، ومكرما بموكب متراص من حشد من أناس مخلصين، يعتبرها عقوبة إن وجد نفسه وحيدا.

إن إغراءات االشر دائما رابضة وبحكم ما استقر من عادات، لا مفر من أن السكر يجذب، والغرور ينفخ، والغضب يحتدم، والشهوة تؤرق، والقسوة تثور، والطموح يلوح، والعهارة تسقط.

فاعلية المعمودية المقدسة :

هذا ما كنت أردده كثيرا فى نفسى، وأنا أيضا كنت مأسورا فعلا معوقا فى ألف متاهة فى حياتى السابقة، الأمر الذى كنت أعتقد إستحالة التحرر منه. هكذا أطعت الرذيلة التى تجسمت فىّ، لماذا كنت يائسا من تحسنى كنت أستحث شرورى كما لو كانت هى صلاحى الخاص ورفاق مولدى، ولكن بعد أن غسلت أوزار حياتى القديمة بفضل المياه التى تلد من جديد، وبعد ما أضاء النور الفوقانى فى نفسى التى تحررت وتطهرت، وبعد ما قبلت الروح القدس الآتى من السماء وغيرّنى الميلاد الثانى إلى إنسان جديد، **كان عجبا أن رأيت للتو اليقين ينتزع شكوكى، وأزيلت الحواجز وأضيئت الظلمات وصار لى سهلا ما كان يبدو سابقا صعبا، وصار لى ممكنا ممارسته ما كنت أعتقده مستحيلا**، حتى بلغت إلى مثل هذا التعليم الذى تلقيته أى الإقرار بأن من كان سابقا منحازا للخطيئة كمولود من الجسد إنما هو أرضى، وبأن ما كان ينعش الروح القدس إنما هو روحى منذ الآن فصاعدا.

وأنت تعلم يقينا وتقر تماما بما نزعه منا موت الخطايا هذا أو بما جهلته علينا حياة الفضائل هذه. أنت تعرف هذا بنفسك وأنا لا أدعى فضلا ذاتيا فى ذلك، إن مديح الذات هو غرور جسور ومع ذلك فإنه لا يمكن أن يكون غرورا بل إقرارا ما لا ننسبه لقدرة الإنسان ولكن الإنسان يتعظم كما لو كانت قد أعطيت له موهبة من الله، حتى إن من عدم الخطأ بعد منذ الآن يعتبر درجة تتأتى من الإيمان، فى حين إن الخطايا السابقة إنما قد نتجت من الشرود عن الله. نعم إنه من الله تتأتى كل قوتنا، ومنه تقوم حياتنا ومنه القوة ومنه نقبل كل قوة فوق الطبيعة. ومع كوننا لا نزال هنا فى هذا العالم الحاضر، فإن لدينا بمعرفة

سابقة إستعلان الحقائق المستقبلة. فقط لعل المخافة تكون حارسة لبراءتنا، حتى ما يبقى الرب الذى صنع ينبوعا فى نفوسنا بحلول النعمة السمائية، فى النفس التى ترضيه، وحتى لا يؤدى الأمان الكاذب إلى الأهمال وحتى لا يتسلل العدو القديم ثانية خلسة.

فيض النعمة :

ومن ناحية أخرى فإنك إذا سرت فى طريق البراءة وفى طريق البر بخطى وطيدة ثابتة ملتصقا هكذا بالله بكل قواك وبكل قلبك فإنك تكون ببساطة مخلصا لما بدأت أن تكون عليه وتعطى لك الحرية بقدر ما تنمو النعمة الروحية فيك.

وفى الواقع إنه على عكس ما يحدث فى الخيرات الأرضية عادة، فإنه من أجل إقتناء هذه الموهبة ليس هناك من قدر أو حدود. إن الروح الذى ينساب بفيض لا ينحبس بسبب أية حواجز، وعقبة السد لا تمنعه من الوصول إلى داخل الحدود المرسومة. إنة ينتشر بلا توقف ويفيض فى موجات. ويكفى أن أنفسنا تعطش وتنفتح له، إنه تبعا لكفاءة إيماننا نأخذ منه ونستقى النعمة الفائضة، ومذاك فإنه بفضل عفة شاملة ونفس بلا عيب، وكلمات لطيفة تأتى قوة شفاء أولئك الذين يتألمون وكذا زوال حدة السموم، وتطهير النفوس الشاردة من أدناسها برد الصحة إليهم. وإرجاع السلام بين المتنازعين والهدوء إلى المضطربين والوداعة للمحتدين، ومحاصرة الشر الذى تسلل إلى الكائنات البشرية، كيما يسودها، حتى ما تمر عليها بتهديدات وتقدم تعهدات بإلزامها بضربات ثقيلة حتى تعتزل وكذا سحق أولئك الذين يقاومون قوة الإصرار ويزأرون ويئنون إذ يطيلون فترة العقاب وضربهم بجلدات السياط وشيهم بالنار، فهنا عمل يتم بدون أن نراه، فالضربات حقيقية ولكن العقوبة علنية، **هكذا فإن ما ابتدأنا أن نكون عليه يسحبنا إليه الروح القدس الذى قبلنا بحريته الخاصة** فإن لم نكن قد تغيرنا فى أجسادنا وأعضائنا بعد فإن نظرتنا الجسدية لا تزال تكون مظلمة بإضطراب هذا الدهر الحاضر.

كم هى عظيمة قوة النفس وما أعظم قوتها فإنها ليست فقط منحازة إلى عدوى هذا العالم المشئومة حتى إن من يخلص منها ويتطهر لا يصيبه أى دنس من هجمات العدو، بل

إنها ترى أيضا قدراتها تنمو وتتشدد حتى تسود بسلطان عال على كل جيش المقاوم الذى يهاجمها...

الله وحده يهب الأمان الحقيقى :

ليس هناك إذن إلا إنشغال واحد سلامى وأكيد، وأمان واحد كامل ودائم، هو أن ينتزع المرء نفسه من دوامات العالم التى لا تدعه فى راحة وأن يقيم نفسه على مرفأ ميناء الخلاص. أن نرفع إلى السماء عيوننا التى نفصلها عن الأرض، مشاركين فى موهبة الرب وتقترب النفس جدا بالفعل من إلهها، ويبدوكل ما لدى الآخرين من الأمور الأرضية ساميا وعظيما، ويمجد الإنسان ما يختبره فى نفسه مهما يبدوتافها. وعند ذلك فهو لا يستطيع أن يشتهى شيئا قط، ولا يتأسف على شئ قط من العالم، فياله من أمان لا يتزعزع، ويالها من حمايه سمائية بفضل الخبرات التى لا تتغير، أن يتحرر المرء من قيود العالم التى تأسرنا ويتنقى من الشوائب الأرضية من أجل أن يقبل النور الأبدى الذى للخلود! إننا نستطيع أن نرى أى حطام خادع أدخله فينا العدو السارق سابقا. ونحن مدفوعين لنحب بالأكثر ما سنكون عليه، بينما يوافقنا البعض فى نفس الوقت على معرفة وإدانة ما كنا عليه، ولهذا فالأمر لا يحتاج إلى نقود ولا إلى تحايل ولا إلى جماعة... لبلوغ الأمر بتضحية جهود متعبة، من كرامات أو سلطات بشرية.

إن الهبة المقبولة من الله مجانية بقدر ما هى سهلة فى الحصول عليها. كما إن الشمس بطبيعتها الخاصة تشع والنور يضئ والينبوع يسيل والمطر يسقط هكذا الروح القدس السمائى ينسكب بعد ما تكون النفس قد أقرت بخالقها إذ تنظر إلى السماء، فإنها أعلى من الشمس وأسمى من كل سلطة أرضية تبتدئ فى أن تكون ما تعتقد أنها ستكونه.

تحريضات أخيرة :

أما أنت الذى قد ميزتك القوات السمائية بعلامة فى معسكر الروح القدس فلتلاحظ النظام.. بكماله، لاحظه بحكمة بممارسة الفضائل المسيحية. أعكف بمواظبة إما على

الصلاة أو على المطالعة. كلّم الله... أحيانا كما يكلمك الله أحيانا. ليته يثقفك بوصاياه وليته يشكلك. فإن من جعله الله غنيا لن يستطيع أحد أن يجعله فقيرا. لن تكون هناك مجاعة حالما يكون طعام السماء المغذى قد أشبع النفس.. منذ الآن ستبدو لك الأسقف المرصعة بالذهب والمساكن المزينة بطبقات الرخام الثمين قذرة، حينما تعرف أنك أنت بالأولى الذى يجب أن تتجمل يامن لك أكثر من جائزة المسكن الذى إتخذه الرب محلا كهيكل، حيث بدأ الروح القدس أن يسكن فيه لنلّون هذا المنزل بألوان البراءة. ولنضئه بنور البر، فإنه لن يسقط قط مع تقدم العمر جدا، وألوان الحوائط والذهب إذ تطفأ لن تجعله قبيحا. إن كل ما يلمع ببريق كاذب، لا يقدم ضمانة أكيدة لمن يمتلكه، الخيرات التى لا تمتلكها حقا. أما هذا فيحتفظ بطاقمه دائما بهيا وجماله غير منثلم ورونقه باق. إنه لا يمكن أن يصير عدما وحطاما، إنه يمكن فقط أن يتجلى حيثما يقوم الجسد.

خـاتمـــــة :

هوذا بالنسبة للوقت الحاضر عرض مختصر أيها العزيز دونات، وفى الواقع جيد هو أن صلاحك يجعل الصبر عليك سهلا حتى تكون نفسك ثابتة فى الله، وتسر بحديث روحى ولا يكون شئ مرضى لأذنيك، هكذا إلا ماهو مرضى لله، ومع ذلك فلنقل بأكثر تحديد : إننا مرتبطون الواحد بالأخر ومدعوون لأن نتحدث دائما بكفاية، وحيث أننا الآن فى راحة الإجازات والوقت الفراغ والشمس تأذن بالمغيب ولا يزال النور باقيا على المساء فلنمض نهاية هذا اليوم فى فرح وحتى ساعة الغذاء لا تكون خالية من نعمة السماء، ليت مزمور يرن مع طعامنا البسيط.

كما ذاكرتك الأمينة وصوتك الموسيقى يؤهلانك لهذه الخدمة كالمعتاد إنك تغذى بالأفضل أصدقاء عزيزين بأقوال روحية إذ تخلب آذاننا بمباهج دينية.

فضيلة الصبـــر (*)

للقديس كبريانوس

مقدمـــة :

حينما نتكلم عن الصبر أيها الإخوة الأحباء ونذيع نفعه وفوائده، فمن أين نبدأ إلا من هذا الواقع، فإنكم تحتاجون إلى الصبر الآن أيضا كيما تسمعوا، بالدرجة التى معها إنكم بدونه لا تستطيعون أن تسمعوا... وتصبروا ففى الواقع أنه حينئذ فقط نتعلم فعلا الكلمة وطريق الخلاص، حينما نسمع بصبر ما قيل، وإنى لا أجد أيها الأحباء طريقة أخرى بين سائر طرق النظام السمائى الذى ينظم أسلوب العمل من أجل أن نقتنى من الله تعويضات عن رجائنا وإيماننا، ما هو أكثر نفعا للحياة أو أكثر أهمية للمجد، لنا نحن الذين نعتمد على وصايا الرب فى خضوع قوامه... المخافة والاحترام، سوى أن نحفظ الصبر بأقصى درجة وبعناية فائقة.

صبر الفلاسفة الكاذب :

والفلاسفة أيضا يدّعون ممارسة هذه الفضيلة، ولكن الصبر لديهم كما أيضا الحكمة كاذب، فحقا كيف يمكن أن يكون حكيماً أو صابراً من لا يعرف حكمة أو صبر الله، لأنه هو نفسه، فيما يتعلق بأولئك الذين يعتقدون بأنهم حكماء فى أعين أنفسهم فى العالم يعلن هذا التحذير «فتبيد حكمة الحكماء ويختفى فهم فهمائة» (إش ٢٩ : ١٤)، وبالمثل يعلن بقوة الطوباوى بولس الرسول، الممتلئ من الروح القدس والمرسل ليدعو ويعلم الأمم «أنظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» (كو ٢ : ٨، ٩)، وفى نص آخر : «لا يخدعنّ أحد

---

* سلسلة المصادر المسيحية رقم ٢٩١ Sources chretiennes 291 .

نفسه إن كان يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لكى يصير حكيما لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة»

لهذا فالحكمة لديهم ليست حقيقية، والصبر أيضا لا يمكن أن يكون حقيقيا. لأنه حقا من أجل أن يكون الإنسان صبورا يجب أن يكون متواضعا ولطيفا، وإن كنا على العكس نرى أن الحكماء ليسوا متواضعين ولا لطفاء، بل إنهم معتدون بأنفسهم جداً، ومن هذا الواقع فقط إنهم مسرورون بأنفسهم فهم لا يرضون الله، فواضح أنه ليس من صبر قط حيثما تكون الجسارة الزائدة لحرية مصطنعة وغرور وقح لصدرمكشوف ونصف مكشوف.

الصبر يأتى من الله :

أما نحن أيها الأحباء، الذين لسنا فلاسفة بالقول بل بالفعل، والذين لا ندعى الفلسفة بعناد كثوب بل كحقيقة، الذين لنا المعرفة الخاصة بالفضائل أكثر مما نتباهى بها، الذين لا نركز إهتمانا على أحاديثنا بل على حياتنا، ونظهر بخضوع روحى ،كخدام وعابدين لله، الصبر الذى يعلمنا به معلمونا السمائيون. هذه الفضيلة فى الواقع مشتركة مع الله. فالصبر يأتى من الله ويستمد منه بهاءه وقوته. إن أصل وعظمة الصبر خالقهما هو الله. وينبغى على الإنسان أن يحب الأمر الثمين لدى الله. إنه فضيلة يحبها وتحث عليها الجلالة الإلهية، الله بالنسبة لنا سيد وأب لأنه إن كان يجب أن يطيعه الخدم فإنه من غير اللائق أن يسئ إليه الأبناء.

صبر الله :

وعلى ذلك فياله من صبر عظيم فى الله، إذ يحتمل بصبر عظيم ما أقامه لكيما يهزأ من جلاله ومن مجده، الهياكل غير المقدسة والأشكال الأرضية والعبادات الوثنية. إنه يشرق نوره ويرسل ضوء شمسه على الصالحين كما على الأشرار، وحينما يروى الأرض بالمطر لا يحرم أحدا من خيراته، إنه يعطى بلا تمييز فيضانات بالتساوى على الأبرار والخطاة.

ونحن نرى أنه بفضل صبره المتساوى وغير النافذ على المذنبين والأبرياء وعلى القوم الأتقياء والأشرار، وعلى أولئك الذين يشهدون بفضله وعلى الناكرين. بأمره تطيعه الفصول وتكمل العناصر خدمتها وتهب الرياح وتسيل الينابيع وتنمو المحاصيل بوفرة، وتنضج الكروم فى جفنتها وتتجمل الأشجار بالثمار وتتغطى الغابات بالأوراق والمروج بالأزهار، ومع كون الله يحزن جدا لخطاياانا المختلفة وماذا أقول؟ المستمرة؟ إنه يسود على غضبه وينتظر بصبر يوم المجازاة، المعين قبلا مرة وإلى الأبد، ومع كونه صاحب السلطان للانتقام فإنه يفضل حفظ الصبر طويلا محتملا ومتباطئا برحمة واضحة حتى ما تتغير يوما ما إن أمكن الجهالة بقدر ما أنه احتمل، وحتى ما يرجع الإنسان.وبعد ما اندفع فى شرورة وجرائمة المؤذية لغيره، ويعود إلى الله : «لأنى لا أسر بموت من يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا»(حز ١٨ : ٣٢).. وأيضا... «إرجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطئ الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر لعله يرجع ويندم» (يؤييل ٢ : ١٣). وإذ يذكر الطوباوى بولس هذه الحقيقة وإذ يسعى لاقتياد الخاطئ إلى التوبة يعلن بقوة : « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله» وحسناً قال دينونة الله لأنه طويل الأناة ولأنه يتباطأ إلى أمد طويل حتى ما يتهيأ خلاص الإنسان بطول أناة الله. فالعقاب لا يقع على الشرير الخاطئ إلا حينما تصبح التوبة عن الخطيةعديمة الجدوى.

صبر المسيح :

من أجل أن نفهم أكثر أيها الأحباء أن الصبر من صفات الله، وأن كل ما هو صالح وصبور يقتدى بالله الآب، حينما أعطى الرب فى إنجيله وصايا من أجل الخلاص وعلم تلاميذه أن يكونوا كاملين إذ أعطاهم وصايا إلهية، أعلن قائلا : «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم : «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم حتى تكونوا أبناء أبيكم

الذى فى السموات الذى يشرق شمسة على الصالحين والطالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا، فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل». إنه بهذا الشرط كما قال يصبح أبناء الله كاملين، بهذا الشرط كما أوضح فى تعليمه، يبلغ إلى كمالهم التام أولئك الذين أرجعهم الميلاد السمائى، إن كان صبر الله الآب يسكن فينا، وإن كان الشبه الإلهى الذى فقده آدم بالخطية، يلمع ويضىء فى أفعالنا... فياله من نعيم كبير أن نصبح مشابهين لله، وأن نغتنى من فضائله ما يمكن أن يتساوى مع صفات المجد السماوى»

تجسده :

وزيادة على ذلك أيها الإخوة الأحباء فهذا التعليم لم يكتف ربنا يسوع المسيح أن يعلمه بالأقوال بل حققه أيضا بالأعمال. وهو الذى أعلن أنه جاء كيما يفعل إرادة الآب، من بين جميع الفضائل العجيبة التى بفضلها قدم برهان ألوهيته الجليلة، إنه قد حفظ صبر أبيه بثباته فى كل ما احتمله. وهكذا فإن جميع أعماله حتى منذ مجيئه قد تميزت بخاتم الصبر رفيقه فأولا إذ قد نزل من أعلى السموات إلى الأرض لم يأنف وهو ابن اللّه أن يلبس جسد إنسان وفى الوقت الذى لم يكن هو نفسه خاطئا أخذ على نفسه خطايا الآخرين، وقد أخفى لاهوته إلى حين محتملا أن يصير بشرا من أجل أن يموت وهو غير المذنب من أجل المذنبين، وبينما هو سيد كامل إرتضى أن يعمده عبده ومع أنه معين ليهب مغفرة الخطايا لم يأنف هو نفسه أن يغسل جسده فى جرن التجديد، لقد صام ذلك الذى يقيت الآخرين أربعين يوما، واختبر الجوع إلى الطعام وأحس بالجوع من أجل أن يشبع أولئك الجائعين إلى الكلمة والنعمة من خبز السماء. إنه يدخل فى حرب مع إبليس الذى يجربه، ويكتفى فقط بأنه قد غلب العدو، ولا يستعمل فى ذلك شيئا قط سوى الكلمات. أما عن تلاميذه فهو لم يأمرهم كعبيد بسلطان السيد، بل بعطفه وصلاحه أحبهم محبة أخوية، بل

تنازل وغسل أقدام الرسل كيما يعلمهم بمثاله. وإذ تصرف السيد هكذا مع عبيده، فماذا يكون تصرف شريك فى الخدمة مع من هم مثله ومن يعادلونه. وليس عجيبا أن يكون له مثل هذا التصرف مع من كانوا يطيعونه، وهو الذى إستطاع أن يحتمل يهوذا حتى النهاية بصبر طويل، وتناول طعامه مع عدو، أى أنه كانت له نوايا عدوانية من نحوه دون أن يعلن له صراحة ولم يرفض أن يقبّله الخائن. ومن أجل أن يحتمل اليهود، كم أظهر من اتزان كبير فى النفس وصبر عظيم! لقد قاد غير الأمناء إلى الإيمان بالإقناع، وغمر غير المعترفين بالجميل بالمودة، وأجاب المعارضين باللطف، وتساهل مع المغرورين بالتسامح، ومال بإتضاع أمام المضطهدين. وأراد أن يجمع به حتى آخر وقت قبل الصليب والآلام قتلة الأنبياء والذين كانوا يثورون دائما ضد الله.

آلامـــــــه :

ومن ناحية، فإنه حتى فى ساعة آلامه وصلبة، قبل أن يبلغ الى قسوة الموت وسفك الدم، أية تهكمات وتعييرات إستمع إليها بصبر، أية إستهزاءات مؤذية إحتملها حتى إن أولئك الذين كانوا يشتمونه بصقوا عليه وهو الذى بتفاله الخاص أعاد قبل وقت قليل الأعين للأعمى، وأى إحتمال للجلد وهو الذى يجلد خدامه اليوم الشيطان وملائكته، وكيف رأى نفسه مكللا بالشوك وهو الذى يكلل الشهداء بالزهور الأبدية، وقد لطم على الوجه بقبضة اليد، وهو الذى يضع الأكاليل الحقيقيه للغالبين، وقد تجرد من ثيابه الأرضية وهو الذى يلبس الآخرين ثياب الخلود، وقد ذاق المر وهو الذى أعطاهم طعاما سمائيا وشرب الخل وهو الذى أسقانا من كأس الخلاص، وهو البرئ وهو البار أو بالأولى إنه البراءه والبر نفسه، ووضع فى مصاف المجرمين. .

يالها من شهادات كاذبة تسحق الحق، لقد دانه الناس ذاك الجدير بأن يدين، وكلمة الله اقتيد للذبح وهو صامت، ثم حينما كان وقت صلبه إنكسفت الشمس واضطربت العناصر وتزلزلت الأرض، وحل الظلام عوض نور النهار واحتجبت الشمس حتى لا ترى بالضرورة جريمة اليهود أشعتها ساعة آلامه، وإحتمل حتى المنتهى كل شئ بثبات لا يكل

حتى ما يجد الصبر الكامل والتام كماله فى المسيح.

الغفران لقاتليه :

ثم أنه يقبل قاتليه أيضا إن كانوا يرجعون ويعودون إليه. وبفضل صبره الذى يجلب الخلاص، وشفقته إذ يقوم بدور المخلص، لا يغلق كنيسته فى وجه أحد. إن مقاوميه والمجدفين عليه والأعداء الدائمين لاسمه، إن كانوا يتوبون عن خطاياهم، ويقرون بالذنب الذى إرتكبوه فهو لا يهبهم فقط الغفران لجريمتهم، بل أيضا المجازاة بملكوت السموات.

فمن ذا الذى يمكن أن يكون أكثر صبرا وشفقة من ذلك؟

لقد عاش بدم المسيح حتى ذاك الذى سفك دم المسيح. هكذا يكون صبر المسيح وأكثر، وإن لم يكن عظيما هكذا، لما أمكن للكنيسة أن يكون فيها أيضا القديس بولس.

لنـتبع قدوته :

وإن كنا نحن أيضاً أيها الإخوة الأحباء فى المسيح يسوع، وإن كنا قد لبسنا المسيح، وإن كان هو شخصيا طريق خلاصنا، فنحن الذين نتبع المسيح مقتفين آثار ثماره الفدائية لنسير تبعا لمثال المسيح كما يعلمنا الرسول يوحنا : «من قال أنه ثابت فيه ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضا»(١ يو ٢ : ٦)، وكذلك بطرس الذى تناول الرب وأسس عليه كنيسته، يعبر هكذا فى رسالته فإن المسيح أيضا تألم لأجلنا تاركا لنا مثالا لكى تتبعوا خطواته الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه غش، الذى إذ شتم لم يكن يشتم عوضا وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل». (بط ٢ : ٢١ – ٢٣).

صبر الآباء والأنبياء والأبرار :

ونجد أيضا أن الآباء والأنبياء وجميع الأبرار الذين كانوا رموزا مسبقة للمسيح وكانت صورته أمامهم، لم يحافظوا قط على شئ فى فضائلهم المجيدة أكثر من نفس متزنة جسورة وثابتة، وهكذا هابيل أول ما إفتتح ودشن مبدأ الاستشهاد وعذاب البار لم يتذمر ولم يعارض مقاوما أمام أخيه القاتل، بل إذ كان متضعا ووديعا.. إستسلم للذبح بصبر، وكذلك إبراهيم

الذى آمن بالله وكان أول من أقام أصل وأساس الإيمان إذ جُرب فى شخص ابنه ولم يتردد ولم يؤجل بل أطاع الأوامر الإلهية بكل صبر بإخلاصه الشجاع. وإذ كان اسحق بعد ذلك رمزاً لذبيحة متشابهة معه، المسيح حينما قدمه أبوه ليذبحه، وجدناه صابرا، ثم يعقوب الذى طرده أخوه تنازل بترك بلاده وبصبر أعظم بعد ذلك توسل وقاد أخاه إلى التوافق معه بتقديم هدايا سلامية إليه وهو الذى كان لا يزال شريرا بعد، وإذ بيع يوسف من إخوته لم يكتف فقط إن يسامح بصبر، بل حينما أتوا إليه وزع عليهم مجانا بتسامح كريم. وكان موسى دائما محتقرا وكاد الشعب العنيد غير المؤمن أن يرجمه ومع ذلك فهو بوداعة، وصبر، صلى لأجلهم إلى الرب. وبالنسبة لداود الذى ترقى سلسلة نسبه إلى ميلاد المسيح حسب الجسد أى صبر عظيم وعجيب ومسيحى نرى لديه؟ لقد كان دائما فى سلطانه أن يقتل الملك شاول الذى كان يتعقبه ويرغب بشدة فى قتله، ومع ذلك فحالما وقع فى يديه وسلم إليه أمره، فضل أن يبقيه سالما صحيحا، وعوضاً عن أن يدفع عدوه للرجوع، حينما قتل إنتقم له! وأخيرا فكم من أنبياء قتلوا وكم من شهداء كرموا بموت مجيد، وقد بلغوا جميعا إلى الإكليل السماوى باستحقاق الصبر! إننا لا نستطيع فى الواقع أن نقبل إكليل الآلام والعذابات إلا إذا احتملنا بصبر أولا الألم والعذاب.

أهمية الصبـــر :

ولكن من أجل أن نستطيع أن نعرف أيها الإخوة الأحباء بأكثر وضوح وبأكثر كمال كم إن الصبر نافع وضرورى، ليتنا نفكر فى الحكم الإلهى الذى وقع على آدم منذ بدء العالم والجنس البشرى لأنه نسى الوصية وتعدى الناموس المعطى له، فسنعرف حينئذ كم يجب علينا أن نتسلح بالصبر فى هذا العالم، نحن المعينين هنا على الأرض لنعانى الضيقات والحروب لأن الكتاب يقول : «لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل، بعرق جبينك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود(تك ٣ : ١٧ – ١٩). إن إلزام هذا

نحكم يشملنا ويقيدنا معا حتى إذا ما دفعنا هذا الدين، بالموت نعتزل عن هذا العالم. إنه من الضرورى لنا أن نجوز الأحزان والأتعاب جميع أيام حياتنا، إنها ضرورة أن نأكل خبزنا بالعرق والتعب.

لا غنى عنه طوال العمر :

وكذلك كل شخص بمجرد ميلاده وقدومه إلى غربة هذا العالم ألا يبدأ بالبكاء، ومع كونه يجهل تماما كل شئ فهو لا يعرف شيئا آخر فى هذه اللحظات الأولى من ميلاده إلا أن يبكى. فبرؤية مسبقة غريزية يئن على أحزان الحياة البشرية، ونفسه التى لم تختبر شيئا بعد، تشهد منذ الابتداء بدموع وإجهاش فى البكاء، على أتعاب وعواصف العالم الذى يدخله، إنه يعرق فعلا ويتألم طالما يعيش فى هذا العالم الحاضر، وبالنسبة لمن يعرق ويتألم ليست هناك تعزية أخرى يمكن أن تعينه سوى الصبر، وحيث أن هذه التعزية نافعة ولا غنى عنها للجميع فى هذا العالم فإنه أفضل لنا إذن من أن تهزنا هجمات الشيطان أكثر، لنا نحن الذين نقف كل يوم فى خط المعركة ونحن فى مجابهة عدو مغروس فينا منذ زمان طويل ونحن منجذبون إليه، نحن الذين فضلا عن حروب كثيرة وغير منقطعة من التجارب ينبغى علينا أيضا أن نترك ما ورثناه فى معركة الاضطهادات ونحتمل السجن، ونقيد بالسلاسل ونضحى بحياتنا ونجوز السيف بلا وهن بل نتعرض للوحوش والنار والصلب، وبالجملة لكل نوع من العذابات والآلام بفضل الإيمان وفاعلية الصبر طبقا لتعليم الرب نفسه الذى يعلن «قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىّ سلام فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣).

وإن كنا نحن الذين اعتزلنا الشيطان والعالم نحس كثيرا وبأكثر قوة أن هجمات الشيطان والعالم شديدة، فكم ينبغى علينا بالأكثر أن نحفظ الصبر. فإن معونته وصحبته تسمح لنا باحتمال كل ماهو مقاوم .

الصبر يفتح طريق الرجاء والإيمان :

لدينا وصية من ربنا وسيدنا فيما يتعلق بالخلاص : «من يصبر إلى المنتهى فهذا

يخلص» (مت ١٠ : ٢٢)، وأيضا «إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى: وتعرفون الحق والحق يحرركم » يجب أن نحتمل ونثابر أيها الإخوة الأحباء، من أجل أن نتمكن ونحن مدعوون إلى رجاء الحق والحرية أن نبلغ إلى الحق والحرية نفسها، لأنه إن كنا مسيحيين فهذا من عمل الإيمان والرجاء وحتى يمكن أن يحقق الرجاء والإيمان ثمرتهما فإنهما يحتاجان إلى الصبر. حقا إنه ليس المجد الحاضر الذى نطلبه بل العتيد طبقا للتحذير الذى يعطينا إياه أيضا الرسول بولس : «لأننا بالرجاء خلصنا ولكن الرجاء المنظورليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضا. ولكن إن كنا نرجوما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٨ : ٢٤- ٢٥).

الانتظار والصبر لا غنى عنهما أبداً من أجل أن نكمل ما بدأنا أن نكونه من أجل أن ندرك بمعونة الله هدف رجائنا وإيماننا .

وهكذا فى فصل آخر يعلم نفس الرسول ويفهم الأبرار وأولئك الذين يعملون أعمالا صالحة وأولئك الذين بفضل المنافع التى يكيلها الله لهم يكنزون كنوزا فى السماء، أن يكونوا بالمثل صبورين.«فإذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل الإيمان لأننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكلّ«غل ٦ :١٠-١١).

إنه يلزمنا ألا نكف عن عمل الخير بسبب نقصان الصبر، وألا نتوقف فى منتصف طريق التسبيح والتمجيد سواء كنا قد تحولنا أو قهرنا من التجارب أو بفقدان حرارتنا الماضية، بينما يكف عن أن يكون كاملا من ابتدأ أن يسعى ليكون كذلك، كما هو مكتوب «بر البار لا ينجيه فى معصيته»(مز ٣٣ : ١٢)، وأيضا «تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك» (رؤ ٣ : ١١). إن هذا القول يدعونا أن نثابر بصبر وشجاعة، حتى ما إنّ من يقترب جهاده فى سبيل الإكليل من المجد فذلك يكون بفضل استمراره وصبره.

الصبر يدفع ما هو مقاوم لنا :

ومن ناحية أخرى فالصبر أيها الإخوة الأحباء لا يكتفى فقط بأن يحافظ على الفضائل بل يدفع عنا أيضا المقاوم ويشجع على عمل الروح القدس ويربطنا بشدة بالحقائق السمائية

والإلهية، بفضل حماية فضائله فهو يعارض مقاومة تعديات اللحم والجسد التى تباغت النفس وتجعلها أسيرة. ولنبحث بالفعل عددا قليلا من بين كثير من الأمثلة، حتى ما يجعلنا هذا العدد الصغير ندرك أيضا الباقى. فالزنا وأعمال الغش والقتل هى خطايا مميته. فليت الصبر يكون قويا وثابتا فى القلب، والجسد المكرس والذى أصبح هيكلا لله لا يتدنس بالزنى، والبراءة التى نذرت للبر لا تتلوث بأعمال الغش واليد التى حملت الإفخارستيا لا تتلوث بالسيف والدم.

الصبر يشجع على المحبة :

المحبة هى رباط بين الإخوة وأساس السلام ودعامة وثبات الوحدة، إنها الأكثر عظمة من الرجاء والإيمان. وهى التى تتفوق على الأعمال والشهادة والتى ستبقى معنا إلى الأبد فى ملكوت السموات. إنزعوا منها الصبر تجدوا أنها إذا بقيت وحدها لا تصمد. إنزعوا عنها تأييد الشجاعة والتصميم تبقى بلا جذور وبلا قوة .

وأخيرا فالرسول وهو يتكلم عن المحبة يربط بها الاحتمال المتبادل والصبر فيقول : المحبة تتأنى وترفق. المحبة لا تحسد ولا تنتفخ ولا تحتد ولا تظن السوء وتحتمل كل شئ وتصدق كل شئ وترجو كل شيء. وتحتمل كل شئ » (١ كو ١٣ : ٤، ٥، ٧). إنه يظهر بذلك أنها يمكن أن تثبت بقوة، لأنها تحتمل كل شئ. وفى فصل آخر يقول «محتملين بعضكم بعضا بالمحبة مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل» (أف ٤ : ٢ – ٣). برهانا على أن الإنسان لا يستطيع أن يحفظ الوحدة والسلام. إن كان الإخوة لا يحفظون رباط التوافق بواسطة الصبر.

إستحالة ممارسة وصايا ونصائح المسيح بدون الصبر :

وماذا أيضا؟ لا تحلف ولا تشتم ولا تطلب ما سرق منك. وتقديم الخد الآخر عندما تقبل ضربك لطمةومسامحة الأخ الذى يرتكب أخطاء ضدك، ليس فقط سبعين مرة سبع مرات بل مسامحته فى كل أخطائه كلية. ومحبة الأعداء والصلاة لأجل من يقاومونك ويضطهدونك، هل يمكن أن تخضع دائما لهذه المستلزمات إلا بصبر وتصميم قويين؟

هذا ما رأيناه محققا فى استفانوس فهو لم يطلب الانتقام لنفسه. بل الغفران لقاتليه «يارب لا تقم لهم هذه الخطية» هكذا كان يجب أن يكون شهيد المسيح الأول. وهو الذى بموته المجيد سبق الشهداء الذين بعده. ولم يكن فقط كارزا بآلام الرب بل أيضا محاكيا لوداعته الصابرة.

وماذا أقول عن الغضب وعدم التوافق والمنافسة التى لا ينبغى أن توجد لدى المسيحى؟ فليت الصبر يسكن فى قلوبنا، حينئذ لن يكون فيها مكان للرذائل. أو إن كانت تحاول أن تقترب فهى تطرد حالا وتبتعد. طالما يقدم فى هذا القلب مسكن هادئ يرتضى أن يحتله إله السلام. وفى الواقع يقول الرسول معطياً تحذيراً ودرسا :

«لا تحُزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء، ليرفع من بينكم كل مراره وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث» (أف ٤ : ٣٠ - ٣١).

وفعلا إن كان أى مسيحى قد تخلص من نزعات ونزوات الجسد على مثال ما يهدأ بحر من هيجانه، وإن كان هادئا وسلاميا فإنه يبلغ فعلا إلى ميناء المسيح إنه لا يجب أن يدع الشر أو الشجار يتوغل إلى قلبه. وهو الذى ليس له الحق فى أن يرد الشر بشر ولا يبغض أحدا.

الصبر يجعلنا نحتمل المرض وتجارب الحياة :

إن الصبر ليس أقل ضرورة أيضا فى مواجهة المضايقات المختلفة المتسببة عن الجسد والعذابات الطبيعية المختلفة والمؤلمة التى تثقل وتزعزع كل يوم الجنس البشرى، فحقا حيث إنه من أول لحظة تعدى فيها على الوصية فقد صحة الجسد وكذا الخلود، من أجل أنه مع الموت أتى المرض، ومن أجل أن الصحة لا يمكن أن تسترد قبل أن يستعاد أيضا الخلود، لذا ينبغى دائما النضال والحرب فى هذه الحالة ضد الوهن والضعف الطبيعى، وهذا النضال وهذه الحرب تستطيع فقط القوى الناجمة عن الصبر أن تسندهما.

ومن ناحية أخرى من أجل أن نمحص ونختبر فإنه توضع علينا عذابات مختلفة، ونعانى من أنواع مختلفة من التجارب وفقدان ممتلكاتنا ومن حرارة الحمى، وجراحات مؤلمة ونعدم

أن يكون لنا قدرا. وليس شئ قط يميز الخطاة عن الأبرار إلا إتجاههم إبان الآلام، فإنه بسبب قلة الصبر يشكو الخاطئ ويجدف وإننا نقر بأن الإنسان يكون بارا من صبره كما هو مكتوب : «فى الحزن أحتمل. وفى حالك المتواضعة اصطبر لأنه بالنار يمتحن الذهب والفضة» (يش بن سيراخ ٢ : ٤، ٥).

أمثلة أيوب وطوبيا :

هكذا محص أيوب واختبر ثم رفع إلى المجد بفاعلية الصبر. كم كانت سهام الشيطان التى نصبت ضده وكم من وسائل الضغط التى استعملت ضده، لقد إحتمل ضياع ثروته ورأى بعينية هلاك عدد كبير من أبنائه. وبعد أن كان مالكا غنيا بالخيرات وأبا أكثر غنى بالأبناء أصبح فجأة عديم الممتلكات والأبناء. وتأتى الضربة القصوى والشر المستشرى من الدود الذى يأكل أعضاءه أيضا التى التهبت وتقيحت، ولكن لا يبقى شئ على الإطلاق لم يختبره أيوب فى تجاربه، حاربه الشيطان أيضا بامرأته، مستخدما أساسها القديم فى الخبث كما لو كان بتدخل إمرأة يستطيع أن يفسد ويخدع كل العالم، الأمر الذى حدث منذ الابتداء ومع ذلك فأيوب لم يدع نفسة يصرع بقتلات مؤلمة ومختلفة : بل إنه فى وسط هذه الآلامات وهذه الاضطرابات لم ينقصه أن يبارك الله بإنتصار صبره. وبالمثل طوبيا بعد ما أكمل أعمالا مميزة للبر والمحبة، جُرب بفقد بصره لأنه بقدر ما احتمل بصبر العمى صار له فضل عظيم إلهى بفضل صبره الجدير بالمديح.

تأثيرات أساسية لعدم الصبر :

وزيادة على ذلك أيها الإخوة الأحباء فلكى ما تتألق بالأكثر فضيلة الصبر لنأخذ فى إعتبارنا الشرور التى يجرها عدم الصبر. لأنه كما إن الصبر خير يأتينا من المسيح كذلك على العكس يأتى عدم الصبر من الشيطان. وكما أن من يسكن فيه المسيح دائما يكون صبورا، هكذا من تمتلئ روحه بشر إبليس، يكون غير صابر ولنفحص بالفعل بدايات الجنس البشرى، فإبليس لم يكن له الصبر لكى ما يحتمل الإنسان على صورة الله. وهكذا كان الأول فى أن يهلك ويفقد الانسان. وبرغم الوصيه الإلهيه سقط آدم إذ لم يتذرع

بالصبر أمام الثمرة القاتلة؟ ووقع فى قبضة الموت ولم يفد من حماية الصبر من أجل المحافظة على النعمة التى قبلها من الله. وإن كان قايين قد قتل أخاه، فذلك لأنه لم يصبر فى أمر ذبيحته وتقدمته، وإن كان عيسو قد تخلف من الصف الأول إلى الأخير فذلك لأنه فقد حقه فى البكورية بإشتهائه غير الصبور للعدس، وماذا نقول عن الشعب اليهودى الذى لم يكن له تصديق أو إقرار بإزاء الخيرات الإلهية؟ أليست خطية عدم الصبر التى جعلته ينفصل عن الله لأول مرة؟ وإذ لم يحتمل تأخير موسى الذى كان يتحدث مع الله، جَرأ وطلب من الآلهة الدنسة كيما تكون قائدة له فى مسيرته، رأس عجل وعرض أرضى، ولم يبرح قط عن نفس العوز للصبر : فإذ كان متذمرا دائما ضد تعليم وتدبير الله، ويهلك أنبياءه وجميع الأبرار، إندفع بالمثل إلى صلب و سفك دم الرب. إنه أيضا عدم الصبر الذى صنع الهراطقة فى الكنيسة ودفع أولئك الذين على مثال اليهود ليثوروا ضد سلام ومحبة المسيح، فى عداءات مشئومة وقاتلة.

ولكى لا نطيل الحديث إذ نعرض لكل التفاصيل فيقيناً إن كل ما يبنيه الصبر بأعماله من أجل الرفاهية يهدمه عدم الصبر من أجل التخريب.

إمتداح الصبر :

وأيضا أيها الإخوة الأحباء قد قدرنا بعناية محاسن الصبر من ناحية، وسيئات عدم الصبر من ناحية أخرى، فلنمارس بغيرة شديدة الصبر الذى يدعنا نثبت فى المسيح ونبلغ مع المسيح إلى الله، فالصبر الكثير والمتعدد الجوانب لا ينغلق فى حدود ضيقة أو ينحبس بين جدران صغيرة. إن فاعلية الصبر تمتد إلى مجال متسع، وخصوبتة الوفيرة تسرى من الينبوع الذى لاسم فريد بالتأكيد، ولكن من قنوات تفرغه إلى أمواج. إنه ينتشر فى طرق عديدة تؤدى إلى الرفاهية، وليس فى أعمالنا قط ما يمكن أن تكمل جدارته، إن لم يقبل من الصبر الثبات فى استكماله.

هذا هو الصبر الذى يجعل لنا قيمة فى نفس الوقت أمام الله ويحفظنا له، إنه الصبر الذى يهدئ الغضب، ويلجم اللسان ويقود الروح ويدافع عن السلام ويثبت قاعدة الحياة،

ويكسر نزعة الشهوات، ويقمع العنف والكبرياء، ويطفئ شرارة الغضب، ويحد من سطوة الأغنياء، ويعزى الفقراء فى فاقتهم ويحمى لدى العذارى كمالهم المطلوب، ولدى الأرامل عفتهم التى تتطلب جهادا، ولدى النساء المتزوجات المحبة غير المنقسمة.

إنه يجعل المرء متضعا فى غناه، وشجاعاً فى محنته، وهادئا أمام الإصابات والشتائم، إنه يعلمنا أن نهب الغفران بلا تردد لأولئك الذين يذنبون إلينا، إن كنت تخطئ أنت نفسك، فتعلم أن تطلبه طويلا وبإلحاح. إنه يظفر فى التجارب، ويحتمل الاضطهادات ويتوج عذابات الشهداء. إنه الصبر الذى يقوى بشدة أسس إيماننا، وهو الذى يظهر تقدم رجائنا عاليا جدا. وينظم سلوكنا بصورة تسمح لنا بإتباع طريق المسيح، طالما كنا نسير محتفظين، بتصميمنا عليه، إنه يعمل على أن نبقى أبناء الله طالما كنا نحاكى صبر الآب.

لا تفقدن الصبر بالانتقام :

وبما أن كثيرين من بينكم كما أعرف أيها الإخوة الأحباء سواء كانوا يرزحون تحت ثقل إساءات تضغطهم سواء نتج ذلك على معاناة من أناس يثورون ضدهم بغضب ليعتدوا عليهم، يريدون الانتقام السريع فإنى لا يجب أن أختم حديثى دون أن أتعرض أيضا لهذه النقطة، حتى ما فى وسط هذه العواصف التى لعالم مضطرب، ننتظر نحن بصبر يوم الانتقام ولا نسرعن للانتقام لآلامنا بإندفاع محزن فى حين أنه مكتوب : «إنتظرنى يقول الرب إلى اليوم الذى فية أخرج ثانية كينما أشهد لأنى قررت أن أخرب الأمم من أجل أن أردّك فيها إلى الملوك وأسكب عليهم غضبى». (صفنيا ٣ : ٨). إن الرب يأمرنا بأن ننتظر بصبر ثابت إلى أن يأتى يوم الانتقام وهو الذى يقول أيضا فى سفر الرؤيا : «لا تختم على أقوال نبوءة هذا الكتاب لأنه هوذا الوقت قريب. من يظلم فليظلم بعد ومن هو نجس فليتنجس بعد ومن هو بار فليتبرر بعد ومن هو مقدس فليتقدس بعد. وها أنا آتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله» (رؤ ٢٢ : ١٠ – ١٢)، وقد أعطى الأمر كذلك للشهداء الذين يصيحون ويسرعون لينتقموا لأنفسهم، حينما يظهر عذابهم، أن ينتظروا أيضا ويصبروا حتى ما يكمل الزمان ويكمل عدد العبيد رفقاؤهم : «ولما فتح الختم الخامس

يقول الكتاب فنظرت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم وصاحوا بصوت عظيم قائلين حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض فأعطوا كل واحد ثيابا بيضا وقيل لهم أن يستريحوا زمانا يسيراً أيضا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضا العتيدون أن يقتلوا مثلهم» (رؤ ١٦ : ٩ - ١١).

متى يأتى يوم الدينونة :

وحينما يأتى الانتقام الإلهى لدم البرئ، يعرفنا الروح القدس بواسطة ملاخى النبى : «فهوذا يأتى اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلى الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتى. قال رب الجنود» (ملا ٣ : ١٩). كما نقرأ بالمثل فى المزامير حيث يعلن لنا مجئ الله الديان؟ المخوف بجلال حكمه : «من صهيون كمال الجمال. الله أشرق يأتى وإلهنا ولا يصمت نار قدامه تأكل وحوله عاصف جدا يدعو السموات من فوق والأرض لمداينة شعبه. إجمعوا إلى أتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحة. وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان» (مز ٥٠ : ٣ - ٦). ويعلم أيضا إشعياء بالمثل «لأنه هوذا الرب بالنار يأتى ومركباته كزوبعة ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار» (إش ٦٦ : ٥ - ٦). وأيضا «الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته ويهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه. قد صمت منذ الدهر سكت تجلدت » (إش ٤٢ : ١٣ ، ١٤).

المسيح لن يصمت على الدوام :

ولكن من هوذاك الذى صمت سابقا ولن يصمت على الدوام، إنه هو ذاك الذى سيق كخروف «وكنعجة أمام جازيها صمت ولم يفتح فاه» (إش ٥٣ : ٧).

إنه يقينا ذاك الذى لم يصح ولم يسمع أحد فى الشوارع صوته (إش ٤٢ : ٢)، يقينا ذاك الذى لم يعاند ولم يحتج حينما بذل ظهره للسياط وخديه للطم ولم يحول وجهه عن البصاق الكريه (إش ٥٠ : ٥ - ٦).

يقينا إنه ذاك الذى إذ قد إتهم من الكهنة والشيوخ لم يجب بشئ البتة. وعندما تعجب منه بيلاطس إلتزم بالصمت الأكثر صبرا. إنه هو ذاك الذى بعد ما صمت فى أثناء آلامه، لن يصمت بعد أكثر فى وقت الانتقام. إنه إلهنا أى ليس إله الجميع بل إله المؤمنين والأمناء، الذى لم يبق صامتا حينما يأتى ليظهر فى مجيئه الثانى. لإنه بعد ما أخفى نفسه فى المجئ الأول فى تنازله سيأتى علانية فى قوته.

خـــاتمـة :

لننظره أيها الإخوة الأحباء كديان ومنتقم، الذى سينتقم فى نفس الوقت لشعب كنيسته والعدو الكامل للأبرار منذ إبتداء العالم فليت ذاك الذى يسرع لينتقم لنفسه بإندفاع شديد، يتأمل أنه لم ينتقم بعد لذلك الذى له حق الانتقام، ففى سفر الرؤيا، يقاوم الملاك يوحنا الذى يريد أن يسجد له ويصرخ «أنظر لا تفعل لأنى عبد معك ومع إخوتك الأنبياء والذين يحفظون أقوال هذا الكتاب أسجد لله» (رؤ ٢٢ : ٩).

فياله من صبر عظيم، إن الرب يسوع الذى يسجد له فى السماء لم ينتقم له بعد على الأرض! فلنتفكر فى صبره أيها الإخوة الأحباء فى إضطهاداتنا وآلامنا.

ولنظهر خضوعنا كاملا فى إنتظار مجيئه ولا نسرعن للانتقام لأنفسنا قبل السيد، نحن عبيده، باندفاع ودونما ترو وبدون وقار فلنلبث صالحين بالأولى وبكل صحو قلبنا وثبات جدير بكل إحتمال، لنراعى وصايا الرب حتى إذا ما أتى يوم الغضب والإنتقام لا نكون معاقبين مع الأشرار والخطاة، بل نتمجد مع الأبرار والذين يخافون الله.

عرض وتلخيص لكتاب :

غضب الله (*)

للأب لكتانتيوس

لقد أوضحت لك يادوناتوسى أن الله فى حكمه على كثيرين، لا يبدى غضبا لأنه إما أن الطبيعة الإلهية صالحة كلية، وقوته الفائقة الممتازة لا تستطيع أن تعمل أدنى شر، وإما أن الله عال لا يهتم بشئ مطلقا، بالدرجة التى لا يأتينا معها أى خير من صلاحه ولا أى سوء من شره.

بطلان الحكمة البشرية بدون الله :

إن نور النفس البشرية هو الله، وكل من يعرفه ويقبله، فى قلبه سيعرف النفس المستنيرة، وسر الألوهة، وعلى العكس فإنه بعيدا عن الله والتعليم الإلهى يكون كل شئ مغلوطا جدا وان كان الانسان يعتبر فى نفسه أنه لا يعرف شيئا فمن الواضح أن حكمته إلهية وأن معرفة الحق ليست فى مقدور أحد إلا الله.

إذن فالله فهو الذى ينبغى أن تعرفه، وهو وحده الذى فيه الصواب، هو أب الكون وخالق جميع الأشياء.

ثلاث خطوات نحو الصواب :

وعليه فالدرجة الأولى هى الإقرار بالمعتقدات الخاطئة ورذل العبادات الفاسدة لأشياء مصنوعة بيد بشريه والثانية هى الإدراك الواضح أن الله العلى واحد، وهو الذى قد خلقت قوة عنايته الفائقة العلم منذ الابتداء وتحكمه إلى جميع الأجيال، والدرجة الثانية هى الإقرار بعبده ورسوله الذى أرسله على الأرض لكى إذا ما تحررنا بتعليمه، من الخطأ الذى كنا مأسورين فيه... نتعلم البر.

---

* مجموعة المصادر المسيحية كتاب رقم ٢٨٩ Sources Chre tiénnes p.289 ·

أربعة افتراضات عن مناقشة الغضب :

(١) أن ننسب لله الغضب بدون صلاح، وهذا افتراض مرذول.

(٢) أو أن ننسب إليه الصلاح بدون غضب، وهذا أيضا افتراض مرذول.

(٣) أو أن ننسب إليه كلا منهما، وحقا نجد أن الغضب والصلاح هما أساس العقيدة.

(٤) بل وأكثر من ذلك فالطبيعة لاتحتمل شيئاً آخر.

الفرق بين الإنسان والحيوانات :

من ذا الذى يكون على درجة من الجهل بحيث يفكر أن فى الإنسان شيئا إلهيا؟ إن قامتنا المنتصبة وسمات وجهنا تميزنا عن الحيوان الذى ينحنى بطبيعته إلى الارض التى يستمد منها غذاء وليست له شركة فى السماء التى لا يراها بينما إن الانسان بوضعه المستقيم إلى أعلا ووجهه المتجه نحو السماء إنما يتنبه لتأمل الكون. إنه يوجه نظره إلى الله وعقله يعرف العقل الأعظم.

التشابه بين الإنسان والحيوان :

هناك بعض الخصائص تبدو فى الحيوانات مع أنها خاصة بالإنسان وإن لم تكن متشابهة تماما، فاللغة خاصة بالإنسان، ومع ذلك فلدى الحيوانات أيضا صورة ما من اللغة، لأنها ليس فقط تتعارف معا بصيحاتها بل إنها حينما تغضب تصدر صوتا يبدو كما لو كان شجاراً أو تعبيرا عن التوافق والرضى، وربما إن أصواتهم تبدو لنا غير منتظمة كما تبدو أصواتنا لهم أيضا ولكن هذه هى لغتهم التى يتفاهمون بها.

وما هو الشئ الذى يميز الإنسان بالأكثر إلا العقل وسبق الإدراك للمستقبل؟ ومع ذلك فهناك مثلا بعض الحيوانات التى تمكنت من أن تفتح مخارج عديدة متقابلة فى مخابئها تستعملها فى حالة الخطر للهرب بسهولة، ولم تكن لتعملها لو لم يكن لها ذكاء وتفكير. وهناك حيوانات أخرى لها إدراك مسبق للمستقبل، فالنمل يعد للشتاء مخزنا كبيرا من القمح، وهكذا يفعل النحل أيضا والأمثلة كثيرة على ذلك ولكن الشئ الوحيد لدى

الإنسان الذى لا يمكن أن نجد له أثرا لدى الحيوان هو العقيدة.

العقيدة فقط هى التى تميز الإنسان :

إن خاصية العقيدة هى البر وحقا الإنسان هو الوحيد الذى له نصيب فيها :

فالأنواع الأخرى مرتبطة بذاتها فقط ويرتبط البر بعبادة الله، فمن لا يلتزم بمسئولية العبادة يظل غريباً عن طبيعة الإنسان بل وسيعيش عيشة الحيوانات تحت صورة الإنسان....

وكما أن الله خلق الكون من أجل الإنسان هكذا خلق الإنسان من أجله ككاهن فى الهيكل الإلهى ورقيب على الخلائق والحقائق السمائية، فالإنسان هو الوحيد الذى يستطيع أن يميز الله ويعجب بخلائقه إذ أنه مزود بالعقل...

وحيث أن الخير والشر موجودان فى الظاهرات البشرية ذاتها، لذا وجب أن يدع الله نفسه يتأثر بكليهما : بالصلاح حينما يرى أعمال بر تعمل، وبالغضب حينما يلمح الظلم.

إن ما يميز الإنسان هو الخوف والشهوة والرغبة وما يخص الله هو الرحمة والصلاح والغضب.. ولو قلنا بغير ذلك لانقلبت الحياة البشرية رأساً على عقب ولانحطّ الحال إلى إضطراب شديد تحتقر فيه القوانين ويتعدى عليها القوم.. إن الله لا يعتبر فاعل شر حينما يعاقب الأشرار. فالكون مثل منزل يختص بالله والناس فيه مثل عبيد فإن كانوا يستهزئون باسمه فماذا يمكن أن يكون صبره عليهم وإلى أى حد يصبر عليهم؟ هل يرى المفاسد تحدث أمامه وهو الذى لا يحب الخطية ويصمت؟

إذن فالغضب هنا من خواص العقل، وهذا يؤدى إلى اختفاء الجرائم وتقليل الفجور وهذا طبعا أمر عادل وحكيم. والغضب فى تعريف الفلاسفة والحكماء هو الرغبة فى الانتقام للإساءة ، أو الرغبة فى عقاب من تسبب فى أذىً وأيضا الغضب هو اندفاع النفس التى تريد أن تؤذى من آذاها والرغبة فى جعله يتألم هو أيضا... هذا بدوره هو الغضب غير العادل والذى يجب أن يضبطه الإنسان لئلا يتطور إلى ما هو أكثر شرا.

وهذا النوع من الغضب لا يمكن أن يوجد فى الله لأن الله لا يمكن لأحد أن يؤذيه،

فالألم لدى الإنسان هو الذى يحرك الإنسان بالغضب ولكنه ليس دائما بدافع الرغبة فى الانتقام بل من أجل إصلاح وعلى ذلك يكون تعريف الغضب هو حركة النفس من أجل تصحيح الأخطاء.

بل إن الغضب نافع لأن من يصمت بإزاء الأخطاء التى تعمل أمامه يكون قد فاتته فرص التصرف بشجاعة.... ويذخر لنفسه سببا للعذاب الأبدى، لذا لا يحسن الصمت بإزاء الاخطاء التى تصدر منا.

لقد حدث أن وجد شخص اسمه آريتاس من تارنت كان محصوله مفسدا فى أرضه بسبب إهمال أحد عماله فقال له ياشقى لو لم أكن غاضبا الآن لجلدتك حتى الموت، وهكذا فإن الرجل العاقل لا يعاقب لأن خطأ قد إرتكب ولكن من أجل ألا تحدث ثانية.. فنحن نمتدح هذا السيد لأنه أعطى فرصة من الوقت، وهو فى حالة الغضب حتى ما يهدئ ثورته التى كانت فى قلبه وحتى ما يضع العقاب له حدا... وحتى لا يتمادى ذلك العبد فى الخطأ.. .. كما أعطى الله الجسد البشرى أحاسيس عديدة للاحتياجات المختلفة للحياة هكذا نسب للروح مشاعر تهدف إلى حفظ نظام الحياة، وكما أعطانا الشهوة من أجل استمرار النوع هكذا أعطى الغضب من أجل التخلص من المضرات.

أما بالنسبة لمن لا يعرفون الغايات النهائية للخير والشر فهم يستخدمون الرغبة للدعارة والشهوة ويستخدمون مشاعر الغضب لإيذاء من يبغضونهم، لذا فهم يثورون على الأبرياء وحتى على من سواهم أو أعلى منهم.

فما أمجد ضبط النفس الذى يستقطب شرا، ولكن التقصير فى إصلاح أخطاء العبيد خطأ كبير، وعلى ذلك فالغضب نافع بل يلزم إثارته طالما أن له فائدة ... وما نقوله عن الإنسان ينبغى أن نقوله عن الله حيث أنه خلق الإنسان على صورته ومثاله وحيث أن الإنسان يتكون من عنصرى (الجسد والنفس) ويصارع كل منهما الآخر فإن فضيلة النفس فى الواقع هى أن تضبط الرغبات التى تحارب الجسد، وفضيلة الجسد الذى يريد أن يتمتع بكل المسرات إنما هى معارضة النفس.

وعلى ذلك فإن كانت للنفس فعلا فضيلة مقاومة الشهوات وقمعها فإنها حقا تكون مشابهة لله، الأمر الذى يتضح منه أن النفس البشرية الجديرة بفضيلة إلهية، ليست مائتة.

ضرورة الغضب الإلهى :

وحيث أن الله قد وضع شريعة مقدسه جدا ويريد أن يكون جميع الناس أبرياء وفاعلى الخير، فهل يمكن ألا يغضب حيثما يرى شريعته الخاصة تحتقر والفضيلة ترذل بحثا عن اللذة؟ إنه يسهر على الجنس البشرى حتى ما تكون الحياة أكثر غنى وأفضل وأكثر أمنا، وإن كان الله هو سيد الكون حقا فهو يسر بفضائل البشر ويتأثر لرذائلهم، وعلى ذلك فهو يحب الأبرار ويكره الأشرار، إننا لسنا بحاجة قط إلى الكراهية، لأن الله حدد مرة وإلى الأبد مكافأة للأبرار وعذابا للأشرار، أما إنه يصبر على الأشرار زمانا طويلا فإننا نرى نتيجة ذلك أنهم قد يدينون أنفسهم شرور حياتهم الماضية ويصلحون أنفسهم، وهناك كثير من الناس الصالحين والأبرار بعد أن رفضوا العبادة على الأرض أقروا جلال الله الوحيد، ومهما كان صبر الله عظيما ولا غنى عنه، ومهما تأخر فهو يعاقب الأشرار ولا يسمح بتماديهم أكثر، حيثما يقرر تماما عدم إمكانية صلاحهم وربما يعترض واحد أن الله يغضب رغم انه موصى الإنسان بألا يغضب ونرد على ذلك بأن غضب الإنسان يجب أن يوقف لأنه عادة يغضب بغير وجه حق ولأنه يندفع اندفاعات بين حين وآخر لأنه بشر، وأيضا من أجل تجنب ما يؤدى إليه الغضب لدى الكثيرين من المتواضعين والعامة كما أيضا الملوك العظماء ونعنى به سورة الغضب التى يجب أن تهذب وتضبط لدى الإنسان حتى لا يرتكب أى شر لا يكفر عنه إن كان غير جدير بضبط نفسه أما الله فهو لا يغضب بين حين وآخر لأنه أبدى وفضيلته كامله ولا يغضبُ أبدا إلا لسبب عادل..

الغضب الحقيقى :

لو كان الله قد منع الغضب بتاتا لكان يناقض عمله بصورة ما، وهو الذى منذ البدء وضع الغضب فى كبد الإنسان إذ يعتقد البعض وجوده فى سائل المرارة، فالله لا يمنع الغضب كلية لأن هذا الشعور أعطى لوظيفة ضرورية، ولكنه يمنع أن نبقى فى الغضب،

فغضب البشر ينبغى أن يكون مؤقتا لأنه بافتراض بقائه فهذا يؤدى إلى تقسية عداوتنا من أجل هلاكنا الأبدى ومرة أخرى من حيث أن الله أمر بالغضب مع عدم الخطأ، فهو بذلك لم يمنع الغضب بتاتاً بل ضبطه حتى ما نلتزم ونحن نعاقب الآخرين بحدود الاعتدال.

طبيعة الغضب الإلهى :

وبالتالى فإن من يأمرنا بأن نغضب يغضب هو نفسه، ومن يأمر بأن نهدئ أنفسنا سريعا يمكن بمعنى ما أن يهدأ، لأنه يأمر بما هو عادل ونافع لفائدة الجميع، ولكنا قد ذكرنا أن غضب الله ليس مؤقتا مثل غضب الإنسان الذى فى انفعاله اللحظى، يغلى دون أن يستطيع أن يسيطر على نفسه بسهولة من أجل ضعفه، كما ينبغى أيضا أن نفهم أن الله الأبدى يدوم غضبه أيضا إلى الأبد.

ولكن فى مقابل ذلك فحيث أن فضيلته كاملة فهو يخضع غضبه لسلطانه ولا يخضع هو له بل يعدله حسبما يرى، الأمر غير المتفق بصفة عامة مع ما سبقه لأنه لو صار غضب الله بشريا تماما، لما وجد هناك موضعا للإصلاح أو للنقمة بعد الإيذاء، فى الوقت الذى فيه يأمر الله نفسه الناس أن يتصالحوا قبل غروب الشمس، ولكن الغضب الإلهى يدوم إلى الأبد بالنسبة لأولئك الذين يخطئون إلى الأبد.

هكذا نهدئ الله، ليس عن طريق البخور، وليس بذبيحة، وليس بتقدمات ثمينة أو أى شئ يفنى بل بإصلاح حياتنا.

ومن يكف عن أن يخطئ يجعل غضب الله عليه مؤقتا وإن كان فى الواقع لا يعاقب جميع فعلة الشر سريعا، فإن ذلك يعنى بالتحديد إعطاءهم فرصة إمكانية الإقرار بالذنب وتقويم أنفسهم.

لقد أظهر الله غضبه على مدن بل على البشرية كلها حينما أطلق عليها فيضانا وغطى ماء البحر الأرض كلها. كما نعلم من الكتاب أنه سيأتى اليوم الذى تحترق فيه المسكونة وكل ما فيها وتزول السموات بضجيج، سيحدث هذا بالضرورة حينما تقل من لدى البشر

كرامة وعبادة الله العلى ومع ذلك فإنه يكون من الممكن تهدئه غضب الله بالتوبة وتقويم الحال لأن أحد الحكماء يوصى هكذا : أيها الأشقياء توبوا أيها البشر توبوا الآن ولا تدفعوا الله العظيم إلى أن يغضب عليكم بكل وسيلة.... إنه لن يهلككم ولكنه سيضع نهاية لغضبه إن كان الجميع يزرعون فى قلوبهم التقوى الغالية الثمن جدا عنده.. إن كل سيادة تقوم على المخافة.. والمخافة توجد بالغضب.. لأنه إن كنا لا نثور فى وجه من يرفض أن يطيع فلن نستطيع بعد أن نلزمه بالطاعة. فليفحص كل واحد مشاعره وسيدرك للتو أنه لا يستطيع أحد أن يخضع للقوة العليا دونما غضب أو عقاب وبالتالى فحيث لا يوجد غضب فلن يوجد أيضا سلطة. والله هو صاحب السلطان وله أيضا بالضرورة الغضب الذى تقوم عليه السلطة، فليتنا لا نحتقر وصاياه بل على العكس نحبه ونحترمه لأنه هو ربنا وسيدنا ونكرمه لأنه صانع الخيرات ونخافه لأنه شديد، ولنحترم كل من هاتين الصفتين لديه، ومن ذا الذى يرفض أن يحب خالق نفسه دون أن تنقصه التقوى البنوية ؟

ومن ذا الذى يحتقر ذاك الذى له السلطان على جميع الأشياء وله عليها كل السيادة الحقيقية والأبدية ولا يناله من عقاب؟ فإن كنا نعتبره كأب فانه يهبنا ميلادنا فى النور الذى نتمتع به، وإن كنا نعتبره كسيد فإننا بفضله نعيش وهو الذى يعولنا.. لذا فالأفضل لنا أن نهتم بعبادة ومعرفة الله، وإذ نرفض المسرات الأرضية الدنيئة، نعطى كل اهتمامنا للأمور السمائية الإلهية والأبدية..

إن ما يجلب لنا النعيم، ليس هو اللذات الردية المؤدية إلى الموت ولا الاتساع المثير للشهوات ولا الأطماع الباطلة ولا الكرامات الوقتية التى إن كان الإنسان يقع فى حبائلها ويستعبد للجسد يحكم على روحه بالموت الأبدى بل البراءة والبر فقط، ومجازاتها الحقة والعادلة، هى الخلود الذى أعده الله منذ الابتداء للنفوس القديسة، والكاملة التى تحفظ نفسها غير منثلمة ونقية من الرذائل ومن كل دنس أرضى، ولكن لا يستطيع أن يشارك فى هذه المكافأة السموية أولئك الذين دنسوا ضميرهم بالغش والاحتيال والمكر، أما نحن فلنوقر الله ليس فقط فى الهياكل بل فى قلوبنا لأن ماهو مصنوع بيد بشر إنما يزول

فلنطهر هذا الهيكل الذى لا يوسخه لا الدخان والتراب بل الأفكار الشريرة ، الهيكل الذى لا تضيئة الشموع المحترقة بل تضيئه إنارة الله ونور الحكمة وإن كنا نعتقد أن الله حاضر دائما فى هذا الهيكل وهو الذى تعتبر كل خفايا قلبنا مكشوفة تحت ناظريه فإننا سوف نعيش من أجل أن نقر دائما بمعروفه ولا نهاب قط من غضبه.



فرح التجلى

المحتـويات

(١) تمهيد :

العيد الحاضر

غاية التجلى

سر التجلى

لماذا التجلى

(٢) قوما لا يذوقون الموت :

مجد كلمة الله

وعد المسيح

(٣) وبعد ستة أيام :

بعد ستة أيام

الثمانية أيام التمهيدية

(٤) بطرس ويعقوب ويوحنا :

الرسل، أشعة الشمس المشرقة

إختيار التلاميذ الثلاثة

إختيار الرسل الثلاثة

التلاميذ أصحاب الامتياز

(٥) إلى جبل عال :

الجبل العالى

رؤيتنا للمسيح فى المجد

(٦) موسى وإيليا :

مجىء موسى وإيليا

حضور موسى وإيليا

بطرس وإيمان الكنيسة

(٧) نصنع ثلاث مظال :

إستجابة بطرس

الثلاث مظال

إقامة ثلاث مظال

مظال أو سحابة

(٨) سحابة نيّرة :

السحابة المضيئة والصوت الإلهى

صوت الآب

صوت على النهر وصوت على الجبل

(٩) خافوا جداً :

(١٠) لاتعلموا أحداً :

السر الماسيانى

بين طابور والأردن

بين طابور وسينا

التأكيد المثلث للشهادة

خاتـــمة

(١) تمهيـد

العيد الحاضر :

❖ عجيب هو حفلنا الليتورجى الذى يجمعنا اليوم أيها الأحباء!

❖ عجيب هو إحتفال عيد المظال الحقيقى الذى يفوق القديم!

❖ عجيبة هى خيمة الإجتماع التى لنا أكثر مما لم تكن السابقة،

إنها ليست مصنوعة من أوراق أشجار تقدم طعاما بائداً (لا ٢٣ : ٤٠)، ولكنها مزينة بالأوامر الإلهية التى هى طعام روحى بلا عيب، إنها ليست مظلة زائلة بل خيمة أبدية لا ينقصها سكانها، وهى لم تحترق بالنار بل تثبتت بالنعمة التى يقول عنها النبى : يارب من يسكن فى مسكنك؟ (مز ١٥ : ١)، إنها هيكل ملكى، كنيسة الله الحى، عمود الحق وقاعدته (١ تى ٣ : ١٥)، نحتفل فيها بعيد الفرح ونعلن فيها عجائب الرب.

اليوم يصبح طابور شبيها بالسماء لأنه يرى مجد خالقه، إنه يتزين بسحابة مضيئة وينعم بصوت الآب.

اليوم موسى المشرّع يتوج بشهادة الآب، لأن من تكلم عنه مسبقا : يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون (تث ١٨ : ١٥)، هو الذى يشهد له اليوم الآب قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا (مر ٩ : ٧) لقد تكلم الأول عن المستقبل أى من سوف يأتى، أما الثانى فيشهد عمن هو حاضر، ذاك الذى يأتى (رؤ ١ : ٨)، الذى هو فى وسطكم قائم (يو ١ : ٢٦).

اليوم أيضا يفرح إيليا الذى هو مركبة إسرائيل وفرسانها (٢ مل ٢ : ١٢)، لأن الذى حفظه مع مركبته، فى مكان عجيب يراه اليوم حقا لابسا جسدا، وذاك الذى أعلن له عن خشبة الخلود، يراه اليوم متجها نحو آلامه.

اليوم يتهلل أوائل الرسل لأنهم رأوا محبة الله غير المدركة للبشر، إن كان ملك يعلم خاصته بأسراره، فيفرح بها أولئك الذين حسبوا أهلا لأسرار السيد، فكم بالأولى جدا بطرس وأولئك الذين كانوا معه، الذين أظهر لهم الملك السمائى الرؤية التى لا يعبر عنها والتى لا يستطيع حتى الشاروبيم أن يروها بأعينهم.

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

غاية التجلى :

لقد أظهر لهم حينما صارت هيئة وجهه متغيرة (لو ٩ : ٢٧)، إمكانية أن يتغير، لقد أعلن لهم ذلك مسبقا خشية أن يشكوا حينما يقوم من الأموات ويتغير، فان كان هذا هو بهاء ملكوته بعد القيامة، فلماذا لم يضفيه على الجميع منذ ذلك الحين؟ ذلك أنهم لم يكونوا بعد جديرين بمشاهدته، ومع ذلك فهو قد أراد أن يعرفوا أنهم هم أيضا سوف يتغيرون بالمثل، وهو قد إصطحب هذين الإثنين، موسى وإيليا، حتى ما نؤمن بالقيامة الأخيرة، فأولئك الذين ماتوا مثل موسى سوف يقومون، وأولئك الذين سيكونون أحياء حينئذ سوف يختطفون كمثال إيليا، لأن للرب العلو والعمق [1].

(أفرام السريانى)

سر التجلى :

بعد مانزل الرب وتلاميذه من جبل التجلى، وبعد ماشفى غلام الرجل الذى كان به شيطان، أكد الرب لتلاميذه الذين عجزوا عن إخراجه، أنه : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل إنتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شئ غير ممكن

---

(١) شرح القديس مار أفرام السريانى فى منتصف القرن الرابع نصوص توافق الأناجيل (دياتسرون) التى كتبها تاتيان منذ أواخر القرن الثانى، ونورد هنا شرحه لرواية التجلى، وجدير بالذكر أن مار أفرام يدحض هنا بدعة ماركيون التى ميزت بين إله عادل وإله صالح، إله عادل يتعلق بالعهد القديم كخالق ومشرع ولكن أقل شأنا من إله صالح يختص بالعهد الجديد كإله دخيل يستعلن بواسطة ابنه لبعض خواصه، فأوضح أفرام إن المسيح هو هو نفس الإله العادل والصالح معا.

لديكم (مت ١٧ : ٢٠).

ثم فى حديث لاحق مع المرأة السامرية قرر لها أنه لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب.. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا (يو ٤ : ٢٤). فالرب يثبت لتلاميذه أنه بهذا الإيمان يستطيعون أن ينقلوا جبل التجلى من مكانه، إذن فليس المهم هو الجبل، **إن السجود لله بالروح والحق هو سر تجلى، ونحن بالمسيح نستطيع أن ندخل إلى هذا السر.**

(إكليمندس الاسكندرى)

لماذا التجلى؟

ظهر الرب على الجبل لتلاميذه، ممجدا، ليس من أجل ذاته ولكن من أجل الكنيسة، التى هى الجنس المختار (١ بط ٢ : ٩) حتى ما تختبر L'avancement الإرتقاء [١] الذى أحرزه الرب بعد خروجه من الجسد، لأنه هو النور الذى جاء من فوق، والذى ظهر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) وتراءى للعالم، وهو ليس أقل من ذاك الذى فوق لأنه جاء من فوق إلى الأرض، ولم يكن ذلك فى حالة تقسّم بحيث يكون قد ترك مكانا ليوجد فى آخر، بل أنه موجود فى كل مكان، لدى أبيه وهنا على الأرض فى نفس الوقت معا لأنه قوة الآب.

(إكليمندس الاسكندرى)

---

(١) يلفت النظر أن هذا الإصطلاح لم يرد بالكتاب المقدس ولكن ورد فى القداس الباسيلى فى صلاة سرية للكاهن بعد تقديم الخبز والخمر على المذبح إذ يقول «... وليكونا لنا جميعاً إرتقاء وخلاصاً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا» .

(٢) قوماً لا يذوقون الموت

مجد كلمة الله :

لقد سمعنا الرب يسوع للتو وهو يقول : الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته (مت ١٥ : ٢٨)، ورأينا أن مجد الآب ومجد الابن هما واحد، وقبل ذلك مباشرة كان يقول :

إن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه (متى ١٦ : ٢١)، كما لو كان الأمر يتعلق بملكوت المسيح.

لقد نسب بعض المفسرين القدامى كلمات الرب هذه : (مت ١٦ : ٢٨)، دونما سبب واضح، لمجيئه الثانى فى المجد، لهذا أكدوا أيضا إن يوحنا الإنجيلى لم يذق الموت بل كان ينتظر مجئ الرب فى المجد، لأن الرب قال : إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته، ولكن هل هذا هو المعنى؟ لا يجب اتباع الضلال بل قول الحق وطلبه وخاصة هنا، إنه لا يتكلم هنا عن مجيئه الثانى فى المجد، بل عن تجليه على الجبل، وفى الواقع إنه حينما تجلى المسيح قليلا على الجيل، أظهر لتلاميذه مجد ملكوته الإلهى غير المرئى...

(بروكليوس أسقف القسطنطينية)

وعد المسيح :

هكذا أشار المسيح إلى أنهم سيرفعون أحياء فى الهواء، لقد دعا إيليا الذى سبق أن رفع إلى السماء (٢ مل ٢ : ١٠ – ١٢)، وموسى الذى أقيم (مت ١٧ : ٣) وثلاثة شهود من بين الرسل، ثلاثة أعمدة جديرين بأن يؤيدوا الشهادة عن الملكوت، وتكلم بطرس رغم أميته بحكمة عظيمة، لأنه تعرف على موسى وإيليا، كما تعرف المعمدان سابقا على المسيح بالروح القدس حينما جاء إليه وقد شهد وأنا لم أكن أعرفه (يو ١ : ٣١)، لقد نطق الروح معبرا عن نفسه على فم بطرس بأمر كان هو نفسه يجهله سابقاً، وعلى ذلك ففى هذه

الحادثة الخاصة بموسى وإيليا وبالثلاث مظال (مت ١٧ : ٤) تضافر نور الروح القدس مع الرغبة البشرية فى العمل معا، لأنه ربما لم يعرف بقية التلاميذ موسى وإيليا إلا حينما سمعوا المسيح يقول : إنهما ظهرا لهم يتكلمان معه (مت ١٧ : ٣).

(أفرآم السريانى)

(٣) وبعد ستة أيام

الثمانية أيام التمهيدية :

كان هذا بعد ستة أيام (مت ١٧ : ١) من الأقوال السابقة، ولكن لوقا بدوره يقول إنه : بعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام (لو ٩ : ٢٨).

فليت لا أحد يجهل هذا اليوم من أجل إختلاف الروايتين لأن الإنجيليين قدموا رؤية صحيحة، فمرقس ومتى لا يضمان اليوم الأول، الذى قيل فيه هذا الكلام، ولا اليوم الاخير الذى أضاءت فيه صورة المجد، إنهما يذكران المدة التى بين اليوم الأول والأخير، لذا قالا : وبعد ستة أيام.

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

(٤) بطرس ويعقوب ويوحنا

الرسل، أشعة الشمس المشرقة :

ترسل الشمس أشعتها إلى جميع جهات الكون، وبالمثل فإن شفق ميلاد الرب على الأرض يرسل تلاميذه، كأشعة فى العالم كله، لهذا فإن بطرس ويعقوب ويوحنا كأنوار لامعة يضيئون اليوم هذا المحفل المقدس، وهم الصيادون الذين يصيدون بالشباك، والذين يقودون إلى معرفة الله أولئك الذين كانوا قبلا شاردين، وهم الذين إذ يستعملون الصليب

عوضا عن الريشة والاعتراف الثالوثى للإيمان عوضا عن الشبكة، ويجتذبون الأسماك الروحية خارج لجة الشر إلى الأعالى، وهم الذين إذ يستحقون أن يشاركوا مع الرب فى الأسرار التى لا توصف كانوا شهودا للحقائق غير المنظورة وكانوا هم السامعين للكلمات التى لا يعبر عنها .

(يوحنا أسقف أورشليم)

إختيار الرسل الثلاثة :

ولماذا لم يصطحب جميع التلاميذ؟ ذلك لأن يهوذا كان بينهم، متغربا عن الملكوت، وغير جدير بأن يصحب إلى مثل هذا المكان، ولأنه ماكان لائقا بأن يترك وحده، فقد كان فى الواقع محسوبا فى نظر الناس على أنه كامل من أجل اختيار من اختاره، ولم تكن سرقاته معروفة حتى ذلك الحين! (يو ١٢ : ٦). فلو كان إثمه معروفا لعلم به التلاميذ رفقاؤه . أما الرب فعرف جيدا أنه الخائن حينما قال : إن واحدا منكم يسلمنى (متى ٢٦ : ٢١) فان كان الرب قد تركه وحده : لقيل إنه قد أقصاه عن جماعة رفقائه. فلماذا اختاره أولا ثم رفضه، ولماذا جعله بصفة خاصة مدبرا للصندوق؟ هذا لكى ما يظهر محبته الكاملة ورحمته.

وفضلا عن ذلك فلكى يعلم كنيسته، أنه رغم أنه يوجد فى وسطها معلمون كذبة، فهى جسده الحقيقى، وشبح يهوذا فى الواقع لم يختف مع الخائن، وأيضا كيما يعلمنا أنه رقم المدبرين الأئمة، فالتدبير نفسه صحيح، لهذا غسل الرب قدميه (يو٥ : ١٣، ١٤) اللتين سار بهما وخرج عن العشاء (يو ١٣ : ٣٠) لكيما ينظر إلى من سيقتلونه، لقد قبل فم المسيح معطيا بذلك علامة الموت لمن سيمسكونه (مت ٢٦ : ٤٨ - ٤٩) ومد يسوع يده وأعطاه الخبز، لهذه اليد التى امتدت لتأخذ أجرة وتبيع المسيح إلى الموت (يو ١٣ : ٢٥ - ٢٦).

(أفرآم السريانى)

وفى الواقع إن الرب حينما صعد على الجبل لم يأخذ معه إلا ثلاثة من الرسل، لم يأخذ جميع الرسل ولم يتركهم جميعهم، وهذا لم يكن رفضا للتسعة الذين لبثوا أسفل الجبل لكى لا يظهر لهم مجده، ليس أنه إحتقرهم أو أراد أن يحزنهم، حقا لقد تصرف بإستقامه مع الجميع، وجميعهم كانوا سواسية فى نظره ولم يفصل من شركة المحبة الأخوية أولئك الذين كان قد قبلهم أولا، ولكن كان بينهم واحد غير جدير بالرؤية الإلهية العجيبة، وهو يهوذا الذى كان عتيدا أن يخونه، فمن أجل هذا الأخير تُرك أيضا الباقون، حتى لا يكون له أى عذر فيما بعد، حيث أنه لم يتركه وحده.

إنه لم يأخذ معه عند تجليه إلا الثلاثة شهود الذين يتطلبهم الناموس، أما الآخرون فكانوا معهم بالسر، وهذه هى فى الواقع كلماته : أيها الآب القدوس إحفظهم فى اسمك ليكونوا وحدا كما أننا نحن واحد (يو ١٧ : ١١)، إذن فيهوذا إذ كان يرى اندراوس وتوما وفيلبس ورفاقه الآخرين جالسين، أسفل الجبل، لم يتولاهم التذمر ولا لغضب ولا التهكم، بل كان الجميع يعتبرون أنفسهم بفرح شركاء فى نفس النعمة الفوقانية التى وهبت للثلاثة الغائبين، ولم يكن ليهوذا أى عذر لأنه لم يقص عن أية معجزة ، ومع ذلك فرغم أنه هو الذى كان ممسكا بالصندوق، إعترض بلا مبرر على المرأة التى سكبت الطيب الكثير الثمن وبجرأة دنسة سلم سيده لأعدائه (مت ١٧ : ٢).

(بروكليوس أسقف القسطنطينية)

التلاميذ أصحاب الامتياز :

❖ أيها التلاميذ مثلثو الغبطة، يااللشرف المثلث الذى لكم أكثر مما للآخرين.

❖ ففى مرة أولى إصطحبكم الرب كإنسان وأقام ابنة رئيس المجمع بكلمة منه كإله. (مر ٥ : ٣٥ – ٤٣)

❖ وفى مرة ثانية فى هذه الرؤية المجيدة أخذكم كإنسان على الجبل ليصلى فأضاء بمجد لاهوته. (مر ٩ : ٢ – ٨).

❖ وفى مرة ثالثة إذ كان ماضياً إلى آلامه الخلاصية، من تلقاء ذاته وفى حال تألمه، فى

الليلة التى أسلم فيها ذاته (١ كو ١١ : ٢٣) حينما مضى معهم إلى جثسيمانى كإنسان وقال نفسى حزينة حتى الموت وأثناء الصلاة لما قال : يا أبتاه إن أمكن أن تعبر عنى هذه الكأس (مر ١٤ : ٣٢ – ٣٦)، كان يعد كإله لخلاص وخلود الجميع، حتى ما بالشرف الذى لهؤلاء الثلاثة أشخاص يصبح سر الثالوث موضوعا للإيمان، لأنه هو الممجد فى الثالوث، وهو الذى حل بيننا فى شكل عبد، (ف ٢ : ٧).

وإن كنت أتكلم هكذا لا أقلل من شرف التلاميذ الآخرين، بل إنى أمتدح أولئك الذين عاينوا الأعجوبة، هكذا كان الطوباوى يوحنا اللاهوتى محبوبا أكثر من الآخرين حيث قيل، إنه التلميذ الذى كان يسوع يحبه (يو ١٣ : ٢٣)، ليس إنه لم يحب الآخرين، لأن الآخرين أيضا قبلوا نفس قياس النعمه كما يقول : ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه عن أحبائه وأنتم أحبائى (يو ١٥ : ١٣ – ١٤)، وأيضا : أبى يحبكم (يو ١٦ : ٢٧).

ففى الواقع أن الكلمة لا يلوم الآخرين بل يجعل كلمته أكثر ضياء.

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

(٥) إلى جبل عال

يقينا أنه كان مرتفعا ذلك الجبل الذى تحدث عليه موسى وإيليا مع المسيح، هنا حيث اشترك الناموس والأنبياء فى النعمة.

نعم، مرتفع جدا هذا الجبل الذى اهتدى إليه موسى ذابح خروف الفصح (خر ١٢ : ٣) الذى تخضبت به قوائم أبواب العبرانيين، وإيليا الذى أقام نفس هؤلاء العبرانيين، ذبح ثورا كيما يقدمه ذبيحة (١ مل ١٨ : ٣٣) ، والتهمته نار المحرقة مع المياه، وموسى الذى شق لجج مياه البحر الأحمر وأغلقها (خر ١٤ : ١١) وإيليا الذى أغلق وفتح أبواب أمطار السماء (١مل ١٧ : ١).

حقا هو جبل مرتفع حتى ما يتعلم بطرس ورفاقه يعقوب ويوحنا أنه هو الذى تنحنى أمامه كل ركبة ما فى السموات وما على الأرض وما تحت الأرض (مز ٢ : ١).

(بروكليوس بطريرك القسطنطينية)

رؤيتنا للمسيح فى المجد :

والأمر يتعلق بنا أيها الإخوة إن كنّا نريد أن نرى نحن أيضا ابن الله فى مجده، فإننا نستطيع أن نراه، ليس بعد مثل هؤلاء الثلاثة تلاميذ على الجبل بل بطريقة أسمى جدا، حينما يأتى على السحاب ليدين العالم، حيث لن يكون بذلك المجد الضعيف الذى ظهر به حينئذ، فإنه قد أشفق على ضعف الرسل ولم يعلن لهم مجده إلا بالقدر الذى كانوا قادرين على احتماله، ولكنه حينما يأتى فى نهاية العالم فسوف يجئ بكل مجد أبيه (مت ١٦ : ٢٧).

(يوحنا فم الذهب)

(٦) موسى وإيليا

لماذا ظهر موسى وإيليا لهم؟ (مت ١٧ : ٣) لأنه حينما سألهم :

ماذا يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان قالوا : قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون موسى وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء (مت ١٦ : ١٣ - ١٤) إذن فموسى وإيليا ظهرا معه حتى ما يعلن أنه لم يكن لا إيليا ولا واحداً من الأنبياء بل رب الأنبياء.

لقد غير وجهه على الجبل قبل أن يموت حتى لا يشكوا فى تغير وجهه بعد موته، وحتى ما يعلموا أن ذاك الذى تغيرت هيئته قدامهم (مت ١٧ : ٢)، سوف يقيم الجسد الذى لبسه بالمثل، وفى الواقع أن الذى أعطى جسده الخاص مجدا كما لشخص، يستطيع أن يقيمه من الموت الذى يجوزه .

(أفرام السريانى)

مجئ موسى وإيليا :

فى الواقع إننا قد سمعنا الإنجيلى للتو يقول : وإذا موسى وإيليا قد ظهرا يتكلمان معه، (مت ١٧ : ٣)، فلماذا إذن حضر موسى وإيليا على الجبل؟ ولماذا جرى التجلى بمثل هذه العناصر : سحابة نيرة تغطى الجميع بظلها، وصوت الآب يدوى؟ لماذا إذن الإجابة بالتحديد لأن الرسل ظنوا الرب يسوع كان يتكلم كإنسان بسيط، وليس كإله فى الجسد، ولأنهم ظنوا أنه لم يكن سوى إنسان - من أجل دموعه الخلاصية وخوفه، وصلواته وجهاده لتجنب الآلام - كانوا فى تعجب دائم، لذا فمن أجل إزالة هذا التعجب منهم تماماً، بعد ما اصطحبهم على الجبل وشق باب التجسد قليلا أظهر لهم بوضوح أى مجد عظيم كان مخفياً فيه.

ومن ناحية أخرى كان يعطى للرسل التأكيد بأنه هو رب السموات والأرض وما تحت الأرض، فهو قد أحضر إيليا من فوق وموسى من تحت وأخيرا اصطحب بقربه بطرس ويعقوب ويوحنا، إذن فنحن انطلاقا من هذه القمم أصبحنا نعرف كل شئ..

(بروكليوس أسقف القسطنطينية)

حضور موسى وا يليا :

ولماذا أظهر الرب موسى وإيليا : أولا لأن الشعب كان يقول إن يسوع كان هو إيليا أو إرميا أو واحد من الأنبياء، لقد اصطحب يسوع معه رسله الأساسيين حتى مايروا فى هذا المجد الفرق بين السيد وعبيده، وأنه بحق امتدح بطرس حينما اعترف أنه هو المسيح ابن الله الحى (مت ١٦ : ١٦).

ومن ناحية أخرى نعرف أن اليهود كانوا يتهمون المسيح بأنه قد خالف الناموس وجدف بأن نسب لنفسه مجدا لم يكن له، فقالوا إنه لا يحفظ السبت (يو ٩ : ١٦)، وأيضا إنك تجعل نفسك مساويا لله (يو ١٠ : ٣٣)، فأراد الرب أن يظهر لهم بالتجلى أن هذين الاتهامين لم يكونا إلا عن حسد.

وأراد المسيح أن يوضح أنه هو رب الأحياء والأموات فأحضر واحدا كان ميتا وآخر لم يكن قد مات.

كما أراد الرب أن يظهر لتلاميذه ما سيكون عليه مجد صليبه وأن يعزى بطرس والباقين الذين كانوا يرهبون الآلام العتيدة.

وهكذا يعلن شجاعتهم لأن موسى وإيليا حال كونهما مع يسوع كانا يتكلمان عن خروجه العتيد أن يكمله فى أورشليم. (لو ٩ : ٣١).

لقد أراد الرب أن يقتدى تلاميذه، بالواحد فى محبته لشعبه، وبالآخر فى شجاعته القوية حتى ما يصبحوا جميعهم لطفاء كموسى وغيورين كإيليا، بل أراد إنهم يتفوقون عليهم فى فضائلهم.

(القديس يوحنا فم الذهب) (*)

بطرس وإيمان الكنيسة :

بطرس هامة الرسل، الصخر والثبات يقول : جيد يارب أن نكون ههنا (مر ٩ : ٥)، يقينا إنه جيد البقاء هناك حيث يتعلم معرفة الله، حيث يرى نور اللاهوت وحيث يتحدد ملكوت السموات. ثم يقول : نصنع هنا ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة (مر ٩ : ٥) لأنه لم يكن يعلم ما يقول (لو ٩ : ٣) ولكنه لم يكن يجهل ما يفكر فيه، لك واحدة كما لله والآب أنت الذى هو صورة وبهاء الآب (١ كو ١١ : ٧) كما يقول : إن من رآنى فقد رأى الآب (يو ١٤ : ٩) ولموسى واحدة، لك أيها الابن

---

* نطق القديس يوحنا فم الذهب بعظاته المشهورة على إنجيل متى فى الكنيسة الكبيرة بإنطاكية من سنة ٣١٦ – ٣٩٧، حيث اختير بعد ذلك بطريركا على القسطنطينية، وفى العظة المخصصة لسر التجلى يسهب القديس فى التنديد بالربا، ويذكر أنه إن كان المسيح قد تجلى لأجل خلاصنا فإننا لا نستطيع أن نشارك فى تجليه إلا إن متنا عن الشح وتخلينا عن الربا الفاحش وعشنا فى شركة حقيقية مع إخوة واخوات الرب، وأنه إن كانت لنا ثروات كثيرة فهى ليست إلا للمشاركة فيها مع الآخرين كتعاليم الرب المتجلي فله وحده كل ثرواتنا وهو سيعوضنا بالمجد الوحيد الباقى أى فى شركة الحياة الأبدية فى ملكوت أبيه الصالح.

الوحيد الذى لبس شبهه بالتأنس والتشريع والموت ولإيليا واحدة كما للروح القدس الذى بالمركبة النارية والصعود (٢ مل ٢ : ١١)، وشبه الخلود (٢ مل ٢ : ١٦– ١٧)، صور لك شبها فى كنز لحياة .

إنه بالثلاثة أسماء بنى الخيمة المنظورة التى هى الكنيسة الرسولية الجامعة التى ينادى فيها بالثالوث ورغم أنه يقال ثلاثة إلا أن السحابة تعلن عن الوحدة نفسها كنيسة الحق. لهذا يعلن الرسول رؤية المجد الإلهى ويقول : لأننا لم نتبع خرافات مصنعة... نحن الذين كنا معه على الجبل المقدس (٢ بط ١ : ١٦ – ١٨).

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

(٧) نصنع ثلاث مظال

إستجابة بطرس :

كان بطرس يظن أنه لو سمح له الرب بالبقاء على الجبل وعمل ثلاث مظال فإنه لن يفكر بعد فى العودة إلى المدينة حيث كان ينبغى أن يموت هناك كما كان قد أخبر تلاميذه، فياله من حب وإشفاق من بطرس لسيده.... ولكن ماذا تقول أيها الرسول القديس؟ لقد ميزت للتو فى اعترافك بين الرب وبين عبيده، ثم تعود الآن تخلطهم معا؟ هكذا كان الرسل غير كاملين قبل موت المخلص وغاب عن بطرس ما استعلن له من الآب عن الابن أثناء مفاجأة هذه الرؤية، حتى عبّر مرقس بقوله لأنه لم يكن يعلم ما يقوله (مر ٩ : ٦)، ولكى ما يبين بالأكثر ذهولهم عبر عنه لوقا أيضا بقوله أنهم كانوا قد تثقلوا بالنوم (لو ٩ : ٣٢) وكما تغشى الأعين العادية عادة من النور الشديد هكذا صار التلاميذ كعميان من مجد نور المسيح ولم يقو ضعف عيونهم على احتماله.

الثلاث مظال :

لقد سر بطرس أن يرى الجبل وقد خلا من منازعات الكتبة، وطاب له عبير الملكوت وقد عبق أنفه، لقد رأى مجد الرب عوضا عن عاره، وفرح بوجوده مع موسى وإيليا، وتهلل لأنه

تخلص من قيافا وهيرودس .

وكما أشفق على الرب مرة بقوله : حاشاك يارب (مت ١٦ : ٢٢)، هكذا قال الآن : لنصنع هنا ثلاث مظال، ويضيف الإنجيلى إنه لم يكن يعلم ما يتكلم به (مر ٩ : ٦) لأن الرب كان ينبغى أن يصلب.

كما أننا يجب أن نفهم أن هذه المظال ليست من عالمنا الأرضى بل من العالم الآتى : إصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية (لو ١٦ : ٩)، ومرة أخرى إنه لم يكن يعلم ما يتكلم به حيث أنه قد حسب المسيح فى عداد أصحاب المظال مع موسى وإيليا غير مميز بين الرب وبين عبيده. لهذا أنار عقله صوت إلهى من السموات قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت (مت ١٧ : ٥).

لقد لبس المسيح برحمته جسدنا حتى ما نستطيع أن ننظره ونسمع كلامه، ولا نعانى مما عاناه رؤوس التلاميذ على الجبل الذين تثقلوا بالنوم (لو ٩ : ٣٢)، بسبب مجد الجسد الذى هبط عليهم، وهم أعجبوا وذهلوا من مجده، وفى الوقت الذى كان يليق بهم أكثر من أى وقت مضى أن يسهروا ناموا، وذلك حتى نتعلم لماذا ظهر بدون مجد وجاء فى جسد فإن كانوا إذن لم يروا مجده مجردا، بل فقط بعضا من مجده فى الجسد الذى نزل إليهم، ونام التلاميذ ورؤوس الرسل ونعسوا ولم يعلموا شيئا عما كانوا يرونه ولا ما كانوا يقولونه، وإن كان بطرس قد قال كلمات مختلفة تماما عما كان يجب أن يقوله، فماذا عساه يحدث معنا، لو كان قد ظهر لنا مجردا، فى مجد لاهوته بدون جسد؟! وماذا كنا نقول عن ذلك؟، لو كان قد ظهر لنا بدون جسد وكيف كان يصير ممكنا أن يظهر بدون جسد؟ وكيف كنا نتعلم لغة من لا لغة له؟ وكيف كنا نرى معجزات من لا يرى؟

(أفرآم السريانى)

إقامة ثلاث مظال :

ثم ماذا يقول الإنجيلى؟ كان بطرس متسرعا كعادته فى كل مناسبة سابقة، لقد تعرف بعينى قلبه عمن لم يرهم من قبل، ورآهم أى موسى وإيليا، ورآهم يتحدثان مع الرب، ولم

يتأثر بعضم الأعجوبة، ولا بالاستنارة الإلهية المذهلة، واعتبر ذلك الموضع المهجور حسنا وجيدا، ومن صائد سمك إلى صانع خيام قال للرب : فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة وهو لا يعلم ما يقول (لو ٩ : ٣٣)، وحسنا اكتشف لوقا الحكيم جدا العلة بقوله : وهو لا يعلم ما يقول.

(بروكليوس أسقف القسطنطينية)

مظال أو السحابة :

وبعد أن نظر بطرس مثل هذا المجد، وموسى وإيليا بقرب المسيح كخدام، لا نراه ينتهر الرب بعد بل يسجد ويقدم اقتراحا ويقول كما سمعتم للتو : جيد يارب أن نكون ههنا (مت ١٧ : ٤) وألا نصعد إلى أورشليم، فهناك بيلاطس وقيافا لا يشيعان إلا الموت، وهنا موسى وإيليا لا يعلنان إلا قيامة الرب، جيد أن نكون ههنا، إن شئت فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة، ولكن يا بطرس الطوباوى، لماذا وقد تولاك الخوف وأخذتك الرعدة تسرع لتقيم مظالا مصنوعة بأيدى بشرية؟ فإن من يواكبه السحاب لا تحتويه كوخة، لأن السماء والأرض مملوءتان من مجده....

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

(٨) سحابة نيّرة

السحابة المضيئة والصوت الإلهى :

بعد ما تفوه القديس بطرس بهذه الكلمات، لم يتكلم المسيح ولا موسى ولا إيليا أيضا، بل السلطان الأعظم والأجدر بالتصديق – سمع صوته من سحابة (مت ١٧ : ٥)، ويشير الإنجيل أن السحابة كانت نيرة، وعوضا عن الغمام الذى كان يظهر ويرعد الشعب قديما على جبل سيناء، ظهرت هذه السحابة المضيئة وسمع منها صوت مفرح، هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت، ولئلا نشك لأى واحد من الثلاثة كان الآب يوجه هذا الصوت، كان موسى وإيليا قد اعتزلا فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده (مت ١٧ : ٨).

ولماذا ظللتهم السحابة جميعا وليس المسيح وحده؟ ذلك إنها لو ظللت المسيح وحده لاعتقد البعض بأنه هو الذى نادى بالصوت، لذا أكد الإنجيلى بشدة أن الصوت سمع من السحابة أى من الله، وماذا قال الصوت؟ إن كان المسيح هو ابن الآب الوحيد، فلا تخف بعد يا بطرس من أى شئ، حتى حينما يرتفع على الصليب، ولا تفقد رجاءك فى القيامة.

لقد وجد الآب فى الابن موضوعا مثلثا لمحبته : لأنه ابنه ولأنه ابنه الحبيب ولأن فيه كل مسرته.

صوت الآب :

وماذا يضيف أيضا الإنجيلى العظيم؟ وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السماء قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا (مت ١٧ : ٥)، ولنلاحظ قوله : وفيما هو يتكلم، فالآب يعطيه الإجابة من أعلى السموات : ما هذا يا بطرس؟ لماذا هذا التقلب فى الكلام؟ هل تدعو هذا المكان جيدا؟ هل نسيت ذاتك أو هل تحسد جنسك (على ما أعطى له) غير عالم بما تقوله؟ ألم تعلم وتتيقن من معرفة البنوة الإلهية؟ ألم تكن أنت الذى قلت : أنت هو المسيح ابن الله الحى (مت ١٦ : ١٦)؟ لقد رأيت معجزات هذا عددها يا بار يشوع يا ابن الرعد، وأنت لا تزال سمعان! لقد أقامك ابنى بوابا للسماء، وأنت لم تخلع بعد حلة العيد؟ هوذا للمرة الثالثة تقاوم إرادة المخلص غير عالم بما تقول. لقد أعلن فى الواقع «ينبغى أن أتألم »وأنت أجبته : حاشاك يارب (مت ١٦ : ٢٢)، وقال أيضا : سوف تشكون فىّ وأنت اعترضت : وإن شك فيك الجميع فأنا لن أشك أبداً (مت ٢٦ : ٣٣).

وها أنت الآن تريد أن تصنع مظلة للمسيح وأخرى لموسى وأخرى لإيليا؟

مظلة للمسيح! لذاك الذى بسط السموات معى!

مظلة لذاك الذى أسس الأرض معى وجمع مياه البحار وثبت الجلد؟

مظلة لذاك الذى أضاء النجوم وأنار الفضاء الأزرق وخلق جميع الأشياء معى قبل الدهور!

مظلة لذاك الذى أخذ شبهنا أنا وأنت معا وهو معى ومعك!

مظلة لذاك الذى اختار البطن البتولى كخيمة اجتماع له.

وحيث أنك لا تعلم ما تقوله، فأنت تريد هكذا صنع ثلاث مظال، أما أنا فإنى أصنع أنا بنفسى شبه مظلة من هذه السحابة المضيئة والتى تغطى جميع أولئك الذين كانوا هناك، وأنا أصيح من أعلا السماء هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا، فالذى سررت به ليس هو موسى أو إيليا بل ليس هذا أو ذاك بل هو، واحد فى ذاته، وهو لا يتغير، هذا الذى سررت به له اسمعوا.

فموسى بررته، ولكنى أسر بهذا. إيليا رفعته إلى السماء، أما هذا فقد أرسلته إلى حضن العذراء كما إلى سماء، ثم من العذراء إلى السماء نفسها. ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء (يو ٣ : ١٣).

لهذا فإنه عبثا يكون قد نزل إلى الأرض لو بقى دواما على الأرض، وعبثا يكون قد أخلى ذاته، آخذا صورة عبد (فى ٢ : ٧)، ولو كان قد ظل على ماهو عليه لما صار على ما أنتم عليه، ولو لم يكن، من أجلكم وبسببكم، قد حمل صليبه وفدى العالم بدمه الخاص، لبطل تدبير الخلاص وصار عديم الجدوى، ولتزعزعت أقوال الأنبياء القديمة.

فلتكف عن الكلام يا بطرس، ولا تفكر بحسب البشر، بل بحسب الله، لأن هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت، لقد نطقت فى الحقيقة بهذا القول مرتين عنه : لكم على هذا الجبل وليوحنا على شواطئ الأردن، حتى ما تصدق صيحة النبى قديما : طابور وحرمون يتهللون باسمك، (مز ٨٨ : ٢١٣) بأى اسم؟ هذا هو ابنى الحبيب لأنه هو قد أعطى إسما فوق كل اسم هكذا يعبر بولس (فى ٢ : ٨).

(بروكليوس بطريرك القسطنطينية)

صوت على النهر وصوت على الجبل :

لقد جاء الصوت على الجبل إلى مؤمنين سبق اختيارهم، لهذا دهشوا من الشهادة التى جاءت عن موضوع إيمانهم، بينما كان الصوت الذى جاء على النهر لأولئك الذين كانوا

عتيدين أن يؤمنوا، لهذا لم يلقوا إليه بالا، إذ كانوا لا يزالون خاضعين لمعلمى الناموس.
(إكليمندس الاسكندرى)

(٩) خافـوا جـدا

لماذا سقط التلاميذ على وجوههم وخافوا جدا عندما سمعوا الصوت؟ لقد سمع هذا الصوت نفسه سابقا عند معمودية المسيح على مسمع من شعب كبير ومع ذلك لم يندهل أحد بمثل هذا الخوف... لقد خافوا من كل الظروف المحيطة : الزمان والمكان والعزلة والجبل والصمت الذى ساد هناك من تجلى الرب، والنور الساطع الذى لمع حينئذ، وتلك السحابة التى غطتهم بظلها، فجميع هذه العوامل جعلتهم فى هلع شديد وانطرحوا على الأرض بدافع الخوف كما أيضا كحركة سجود ولكن المسيح أقامهم لئلا ينسوا ما رأوه.

(١٠) لا تعلموا أحداً

لهذا قال لهم الرب لا تعلموا أحدا بما رأيتم (مت ١٧ : ٩)، ومع ذلك فهم قد رأوا النور ليس بعيون الجسد لأنه أية علاقة أو نسبة بين هذا النور الفائق وبين الجسد الأرضى، بل رأوا بقدر ما وهبت قوة ومشيئة المخلص للجسد من قدرة على التأمل : ولهذا السبب، فضلا عن غيره، فإن ما رأته النفس أبلغته للجسد شريكها، من أجل تلاحمهما الشديد، أما عن الأمر : لا تعلموا أحدا فهو خشية أنهم لو أعلموا البعض بمن كان الرب لامتنعوا عن إلقـاء القبض عليه، وهكذا لا يكمل التدبير ويقصى الموت عن الرب كسهم طائر لم يصب هدفـه.
(إكليمندس الاسكندرى)

السر الماسياني :

لقد أوصاهم يسوع بألا يعلموا أحدا لأنه كان يعلم أن الآخرين سوف لا يصدقون بل يعتبرونهم مجانين ويقولون لهم. من أين أتى إيليا؟ وأيضا : لقد مات موسى ودفن ولم ير

أحد قبره (تث ٣٤ : ٦)، وهكذا يكونون قد أثاروا تجديفا وعثرة، لهذا قال الرب : إنتظروا حتى تنالوا القوة (أع ١ : ٨) لأنه حينما تروون لهم ولا يصدقون، وتقيمون الموتى، تخجلونهم ويكون لكم مجد. وأيضا إنتظروا حتى ما تتفتح القبور ويخرج الأبرار الجدد والقدامى، ويأتون إلى أورشليم (مت ٢٧ : ٥٢، ٥٣)، مدينة الملك العظيم (مز ٤٨ : ٣) فها هم سيؤمنون أن الذى أقامهم أقام موسى أيضا : لنرى إن كان إيليا يأتى ويخلصه (مر ١٥ : ٣٦) لقد جاء كثيرون على صوته من وسط الجحيم، من أجل واحد، خرج أبرار كثيرون فإن الأبرار قد سمعوه وجاءوا، فكم بالأولى، إيليا الحىّ...

(أفرآم السريانى)

لقد منعهم الرب عن الكلام عن هذه الرؤية قبل أن يقوم من الأموات، لأنه كلما تكلم عن أمور عظيمة عنه كلما كانت أصعب على الناس فى التصديق وكلما ازدادت عثرة الصليب عليهم... أما بعد القيامة فسيكونوا قد قبلوا ملء الروح القدس (أع ٢) وسوف تؤيد معجزاتهم كرازتهم وسوف يقنعون الناس بسهولة بكل مايريدون توصيله إليهم.

(يوحنا فم الذهب)

بين طابور والأردن :

وفى موضع آخر صعد يسوع إلى الجبل منفرداً ليصلى (مت ١٤ : ٢٣)، وخاصة عند معموديته فى الأردن عندما انفتحت السموات ونزل الروح القدس وشهد له بأنه الحبيب للآب (لو ٣ : ٢١ - ٢٢).

هو نفسه كان يصلى اليوم حينما أضاء ببهاء مجد الآب وشهد له الآب من جديد بأنه الابن الحبيب (لو ٩ : ٢٨ - ٣٦). لم يكن عن طريق الصلاة أنه قبل من الله والآب كرامة ومجدا، ولم يكن بناء على طلبه أنه دعى ابنا (٢ بط ١ : ١٧) لأنه هو الذى يقبل الطلبات من الجميع وهو الذى أمامه تجثو كل ركبة ما فى السماء وما على الأرض وما تحت الأرض (فى ٢ : ١٠) هكذا يعلن عن مشابهة كاملة مع طبيعتنا فيما خلا الخطية

وحدها، ومن أجل أن يكون قائدا لصلواتنا لدى الآب فهو كوسيط ورئيس كهنة يقدم صلواتنا إلى الله ويحمل خطايانا (عب ٢ : ١٠).

فكما أنه فى المعمودية لم يقبل تطهيرا من المياه، بل بالأولى أضفى عليها قداسته، هكذا بهذه الصلاة لم يقبل الرحمة والإكرام بل سمح بالأولى بقبولهما بتبرير أولئك الذين يرجون رحمته. لأن هناك فى المعمودية كان إيليا الجديد (مر ١ : ٢ - ٨) شاهد عيان خادما وخاطئا، أما هنا فإيليا القديم يتحدث ويشارك فى السر متجددا وحاضرا.

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

بين طابور وسينا :

يا للرؤية العجيبة وغير المدركة التى رآها هؤلاء الأنبياء والرسل على جبل طابور، لأنها تتجاوز تلك التى كانت على جبل سينا فهناك لهيب النار (خر ٣ : ٢) وهنا نور اللاهوت (مت ١٧ : ٢)، هناك العليقة وهنا السحابة، هناك موسى مشدوها، وهنا موسى حاضرا ومتحدثا، هناك العبد الممجد وهنا رب المجد، هناك الرمز وهنا الحقيقة، ليس بعد ناموس موسى، بل النعمة والحق بيسوع المسيح صارا (يو ١ : ١٤).

وماذا أيضا؟، إنه ليس موسى بعد الذى يقول : يقيم لك الرب إلهك نبيا تسمعون له (تث ١٨ : ٥)، بل الآب نفسه الذى يشهد : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا (مت ١٧ : ٥).

لأن من يظهر فى المجد هنا هو أعظم من موسى، وهو الذى جعل وجه موسى ممجدا (خر ٣٤ : ٣٠) حتى لم يقدر بنو اسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الزائل (٢ كو ٣ : ٧)، فإن كان هذا العتيد أن يزول فى مجد، بالأكثر ذاك الذى يبقى إلى الأبد يكون فى مجد (٢ كو ٣ : ١١).

يا للتأمل فى هذه القوة الجليلة! اليوم يدعى الأحياء والموتى بواسطة ديان الأحياء والموتى (أ ع ١٠ : ٤٢) لأنه هو الذى له قدرة على الحياة والموت إنه سيمضى طواعية

إلى موت الصليب، وهم سيتحدثون عما ينوى أن يفعله ، إنهم يتأملون أعجوبة اللاهوت ويعلنون آلام الناسوت. (لو ٩ : ٣٠ – ٣١).

يا للعمق الذى لا يسبر غوره الذى للاتضاع الذى لا يعبر عنه! لأن ذاك الذى من البدء هو كلمة الله (يو ١ : ١) وصورة الله غير المنظور (كو ١ : ١٥)، أخلى ذاته آخذا صورة عبد صائرا فى الهيئة كإنسان، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان أطاع حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٧ – ٨).

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

التأكيد المثلث للشهادة :

إنه يقول «نحن الذين كنا معه على الجبل» إن شهادة واحد لا تؤكد شيئا، ولكنه يعلم أنه كان معه تلاميذ حقيقيون.

فيعقوب هو ذلك الرسول المغبوط والشهيد الذى كان يرى ويسمع والذى من أجل هذه الحقيقة مد عنقة لسيف هيرودس (أ ع ١٢ : ٢) لأنه كان يذكر الوعد الذى وعد به السيد إذ قال الكأس التى تشربها أنت أستطيع أنا أن أشربها (يو ٢٠ : ٢٢).

ويوحنا التلميذ المحبوب اللاهوتى الذى اتكأ على صدره (يو ١٣ : ٢٥) وإيمان قلبه قد اكتمل بعمق، إنه يقدم الشهادة الحقة : ورأينا مجده مجدا كما لوحيد لأبيه مملوء نعمة وحقا (يو ١ : ٤).

هذه الشهادات جديرة بالإيمان، وشهادتهم هى حق، لأنه على فم اثنين أو ثلاثة تقوم الشهادة (تث ١٩ : ١٥، مت ١٨ : ١٦).

لهذا يشهد الآب مرات ثلاثة بمجد الابن : أولا على الأردن، كما قلنا فى البداية، ثم على جبل طابور الذى نعيد له اليوم، ثم ايضا فى أورشليم حينما كان الصوت الذى يقول مجدت وأمجد أيضا (يو ١٢ : ٢٨).

خاتمــة

يسوع المقام٠٠٠ متجليا ممجداً

والآن نأتى إلى خاتمة هذا الكلام : «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم أن لا يحدثوا أحدا بما أبصروا إلا متى قام ابن الإنسان من الأموات» (مر ٩ : ٩).

ماذا عساها أن تكون هذه الوصية، وهى التى دونا عن كل ما عداها كان ينبغى أن يكرز بها؟ لعمرى إنه هو نفسه الذى يحدد زمان وشروط الكلام حينما يقول : «متى قام ابن الانسان من الأموات» وحينما أتى هذا الوقت، حينما تهيأ (أن يمضى قال لهم : «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨ : ١٩).

لأنه ليس مسموحاً بالكرازة بالكلمة فى غير وقتها، ولا يليق عمل الخير إلا عند الأمر به، وبدون الخير لا تكون الفضيلة ممكنة، وبدون الفضيلة لا يستطيع أحد أن يدعو إلى الكمال. إذن فالآن نحن نتعلم من الرسول الذى يعلمنا كمرشد صالح أن نختبر ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رو ١٢ : ١٢)، وأخيرا يا آباء الموعد الأحباء ورثة الإيمان، لنثبت أعيننا على شهادة الآب واستعلان الابن ونعمة الروح القدس، الذى له المجد الدائم الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

(يوحنا ٢ أسقف أورشليم)

العفـــــــة

للقديس إغريغوريوس النيسى (*)

١ـ العفة تعلو عن المديح :

تسمو العفة على سائر الفضائل جميعاً إذ توصف بأنها هى حالة عدم الفساد، ويقرر بولس الرسول إنها صفة الكنيسة التى يطهرها المسيح ليحضرها لنفسه «مقدسة وبلا عيب» (أف ٥ : ٢٧)، وهذه هى صفة الله الخاصة كما يعبر عنها الرسول بقوله إنها مجد الله الذى لا يفنى (رو ١ : ٢٣)، إنها تجعل أولئك الذين يشاركون فى أسرارها الطاهرة، شركاء فى طبيعة الله ومجده.

والعفة هى تلك الموهبة الممتازة التى تمتدح أولئك الذين يعيشون ويمارسون الكمال ولها معنى خاص بالنسبة للذين لم يعرفوا قط طريقا للزواج (١)

٢ـ العفه هى الكمال الخاص بالطبيعة الإلهية غير الفاسدة :

ورغم أن العفة تختص بالخلائق غير المتجسدة إلا أن الله يهبها مجانا للبشر – وكما بيد ممدودة – للنفوس التى تقبل الحياة بشركة جسد ودم المسيح الأقدسين للوصول إلى الطهارة الكاملة، تلك هى النفوس التى تظل شاخصة بأنظارها إلى العلا، لهذا تألق ملء

---

* هذا هو الكتاب رقم ١١٩ من مجموعة Sources Chrétiennes (المصادر المسيحية)• وقد صدر من باريس بفرنسا ١٩٦٦ ويقع في ٦٨٠ صفحة ويشمل النص الأصلي لبحث القديس إغريغوريوس النيسي ٣١٥ صفحة منها ، وقد ورد الأصل اليوناني علي الصفحة اليسري والترجمة الفرنسية علي الصفحة اليمني ويسبقهما دراسة علمية شاملة عن تاريخ حياة القديس وتاريخ المخطوطة ثم عرض لأهم ما ورد بها من أفكار في دراسة روحية عميقة من تقديم مصنف الكتاب ميشيل أبيتو مع آخرين •

(١) رأي متطرف ساد في العصور المسيحية الأولي لأنه يمكن تحقيق العفة في الزواج أيضا ، وبصفة عامة فإنه مطلوب من كل إنسان مسيحي حقيقي أن يعيش بقلب راهب وبتول .

اللاهوت فى المسيح بولادته من العذراء مريم البتول الطاهرة.

٣ـ إهتمامات الزواج وأسف أغريغوريوس لارتباطه به : [١]

يعبر إغريغوريوس عن تقديره الكبير للعفة ويقول إنه إذ قد إقترن بزواج أصبحت دراسته عنها باطلة وغير نافعة كالتبن الكثير بالنسبة لثور مكمم أو كالمياه الغزيرة لعطشان يقصر عن البلوغ إليها. البتولية تجعل من يتحلى بها ينعم دائما بثمار التقوى، والبتول إنسان منجمع إلى نفسه وليس له هم يشتته إلى أمور خارجية.

٤ـ البتولية إرتفاع فوق اهتمامات العالم :

البتول يرتفع فوق العالم ويعتبر أن الفضيلة هى الخير الوحيد الجدير بالتقدير فى نظره، حتى أن داود النبى يئن من فترة غربته فى هذا العالم إذ يقول : إن غربتى قد طالت علىَ وسكنت فى مساكن قيدار (مز ١١٩ : ٥).

وقيدار فى العبرية تعنى ظلمة، فأهل العالم بالحقيقة كما لو كان لديهم مثل هذا العمى الليلى إذ لا يدركون زوال هذه الحياة وغرورها.

إن كل من يزهد فى العالم يكون كالمرتحل لا يهمَه إلا إسراع الخطى فى طريقه مهما كانت الظروف التى يعبر وسطها سواء كانت معوقة أو مشجعة. كما كان بولس يثابر فى خدمته ويمجد الله فى جميع الأحوال : بسلاح البر لليمين ولليسار، بمجد وهوان (٢ كو ٦ : ٧ - ٨). أما من تثقلت نفسه بهموم هذا العالم ومن كان نظره متجها إلى أسفل وتعلق بملذات الجسد فيكون كمربوط بسلاسل إذ تجره جميع الشهوات الأخرى لأنها مترابطة معا، ومن المؤكد أن من يسر بسدوم لن ينجو من النار والكبريت ومن خرج منها ونظر إلى خربها سيتحول إلى عمود ملح، وبالأولى فإنه لن ينجو من عبودية فرعون من لم يخرج من أرض مصر ويعبر بحر ظلمات هذه الحياة.

---

(١) حقا إن اغريفوريوس تأسف ولكن ليس معنى هذا أبدا أن المتزوجين أخطأوا بزواجهم، فلكل واحد دعوته.

وحقا قال الرب : إن حركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحرارا (٨ : ٣٢)، وهكذا يكون مثل العصفور الذى ينجو من الفخ على جناح الفضيلة.

فليتنا لا نهمل ما هو أبدى غير متمسكين بما هو لحظوى وزائل، ألا تعلمنا الطبيعة نفسها هذا الدرس إذ نرى الورود الأكثر جمالا أسرع زوالا من زهور الربيع الصغيرة، بل أن الزهور تجدد نموها كل عام مع حلول فصل الربيع، أما الإنسان فيزهر مرة ثم يذبل بعد ربيع الشباب وشتاء الشيخوخة حتى يدفنه النسيان. لقد أعطيت البتولية للإنسان كمعينة ومساعدة من أجل تحقيق إرادة العفة السامية.

٥ ـ البتولية إستعداد النفس لتجاهل إلحاحات الطبيعة تحقيقا لنقاوة القلب :

النفس المنجذبة إلى أسفل بشهوات الجسد لن تستطيع أن تنظر إلى السماء حيث الجمال الفوقانى، كما أن عيون الخنزيرة متجهة دائما إلى أسفل فهى لا تدرك قط أعاجيب السماء. البتولية تقتضى إستعداد النفس حتى ما تضع فى إعتبارها نسيانا وإهمالا للحركات الشهوانية التى للطبيعة، لأنها حالما تحررت من إلزاماتها تجتاحها تلك العاطفة السائدة من أجل تحقيق نقاوة القلب.

٦ـ إيليا ويوحنا خبرا صرامة مثل هذه الحياة :

لقد عاش كل منهما فى عزلته فوق الطبيعة بصورة ما إذ قد عزفا عن أمور الحياة الإعتيادية مكتفين فى سد إحتياجاتهما الضرورية بما وجداه عن طريق الصدفة. كان لإيليا سلطان مطلق ليمنع إنسكاب الخيرات السمائية على الخطاة وليفيضها على التائبين أما يوحنا فشهد للنعمة التى أعطيت له أكثر من أى نبى آخر، ولم يكونا ليبلغا إلى مثل هذه الذرى لو كانا قد إنساقا إلى ميوعة الشهوات الجسدية. ولم يرد هذان المثلان اعتباطا فى تاريخ البشرية بل كقول الرسول أن هذه الأمور قد كتبت لأجل إنذارنا (١ كو ١٠ : ١١) حتى ما نسعى للاقتداء بهما.

وكما أن المياه الخارجة من ينبوع ما، إذا ما تبعثرت إلى مسيلات كثيرة فلن تفيد

شيئاً فى إرواء زروع أو أى غرض آخر، أما إذا تجمعت فى مجرى واحد قوى فحينئذ يمكن الإفادة منها، هكذا أيضاً العقل البشرى الذى ينبغى أن يكون له اتجاه واحد لأنه إذا تبعثر إلى ما يرضى الحواس فلن يكون بقيمة ما من نحو الخير، أما إذا انجمع إلى نفسه بالإنضباط فإنه يكون نافعاً فيما هو ملائم لطبيعته ولن يعوقه شئ عن الإتجاه إلى ما هو فوق حيث يشتهى الخيرات السمائية باستعداده الطبيعى.

٧ـ الزواج بحد ذاته ليس محتقراً :

وليتنا نعتبر أن الرخاوة والاجتراء رذيلتين متقابلتين وتنتج الأولى عن نقص الثقة والثانية عن زيادتها وتقوم الشجاعة فيما بينهما، هكذا الإنسان النقى فهو لا ينحرف إلى الإلحاد من ناحية ولا إلى الخزعبلات من ناحية أخرى.

كذلك بالمثل الإنسان العفيف فهو لا يتردى إلى أهواء الهوان (رو ١ : ٢٦) من ناحية ولا يندفع إلى تعاليم شياطين مثل أولئك الذين خدعوا فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم (١ تى ٤ : ٢).

٨ ـ فنحن كلما اقتربنا من اشتهاء الأمور الإلهية :

ولم نتشبث باهتمامات الزواج سنبلغ سريعاً إلى الطهارة الأمر الذى يتحقق بالتفرغ الكثير من أجل الجهاد فى الصلاة.

٩ـ صعوبة تغيير العادات في أى مجال :

ونعلم كيف تتحكم العادات فى أسلوب حياة الأفراد والجماعات والشعوب حتى نجد أنها هى التى تعطى الحياة معنى وقيمة لدى مختلف الأفراد. وهناك أناس إستعبدوا لشهواتهم زماناً حتى كفت لديهم أية حركة نحو الطريق الفوقانى، وجفت شهوتها تماماً. لهذا يهرع من يحسون بضعفهم إلى ميناء العفة كقلعة حصينة لأن بولس يقول إن من لا يتزوج يهتم فيما للرب (١ كو ٧ : ٣٢ - ٣٣). ومهما كانت حرب الشهوات مضجرة، فالاهتمام بالتعود على العادات الصالحة هو خير معين لنا إذ نجد عند

المشبارة عليها خيراً يفوق كل عقل (فى ٤ : ٧).

١٠ـ الجمال الفائق هو الغاية الجديرة بأن تنشد حقاً :

ونعنى الجمال الذى لا يعبر عنه ولسنا نستطيع أن نصفه أو نقارنه بشئ لأنه من يستطيع أن يقابل الشمس بالشرارة أو يوازى قطرة صغيرة بخضم كبير لانهائى، لقد ذهل داود النبى العظيم نفسه فى تأمله له حتى قال : أنا قلت فى حيرتى أن كل إنسان كاذب (مز ١١٥ : ٢).

١١ـ كيف نبلغ إلى الجمال الحقيقى :

لهذا ينبغى من أجل هذا الضعف أن نسير عقلنا عن طريق المعارف المنظورة إلى الجمال غير المنظور. نحن بحاجة شديدة إلى أن نكون من أولئك الذين لهم : الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر (عب ٥ : ١٤) ولا ينبغى أن نتجاهل فى أنفسنا أية قوة للإرادة أو أى هاتف للخير ولا أن نظل فى جمود عقيم بل ننقاد إلى اشتهاء ذلك الجمال الذى قيل عنه : السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه (مز ١٨ : ٢ - ٣)، ولا تحتاج النفس فى انطلاقتها إلى السماء إلا إلى تلك الأجنحة التى اشتهاها قبلا داود النبى حينما قال : من يعطينى جناحاً كالحمامة فأطير (مز ٥٤ : ٧) والتى عبر بها عن قوة الروح القدس.

أن النفس لا يمكن أن تتحد بالله غير الفاسد إلا بأن تصبح هى ذاتها أيضاً نقية. حتى يبلغ المثيل إلى مثيله. إنها تتدرب على أن تطلب الجمال فقط من ذلك الذى هو مصدر الجمال الذى هو جميل من ذاته وبذاته وفى ذاته، أى جميل بطبيعته. وكما أن العين القوية الإبصار تستطيع أن تنظر الأشياء من بعيد، هكذا النفس العفيفة حقاً بما لها من غيرة على عدم الفساد تستطيع أن ترى الله.

١٢ ـ كل من تطهرت نفسه يرى الجمال الإلهى :

ونحن نعتقد أن الخير ليس غريباً على طبيعتنا وليس بعيداً عمن يبحثون عن الله، بل

إنه فى كل منا على الدوام، وإن كان مكتوماً ومطموراً بسبب هموم وملفات هذه الحياة، ويعلمنا الرب هذا من مثل الدرهم المفقود (لو ١٥ : ٨ - ١٠) الذى فيه يطلب الرب أولاً من النفس التى ترملت بعيداً عنه أن تشعل مصباح العقل الذى يضئ ويكشف الأمور المخفية من أجل الاهتداء إلى الفضيلة المخبأة فى داخلها، ولا نقول المفقودة تماماً بل المختفية تحت قاذورات الجسد، فحينما نكنسها باجتهادنا وسهرنا على حياتنا تظهر إلى النور وتفرح النفس مع سائر ملكاتها (جيرانها) إذ تلمع من جديد صورة الملك السماوى المطبوعة منذ الابتداء فى القلب.

١٣ـ البتولية أمّ لبنين كثيرين :

فإن كنا نشتهى منذ الآن أن نكون مع المسيح فلنعلم أنه كما إن المولود من الجسد يحمل معه عوامل الإنحلال فبالمثل المولود من الروح يحمل معه القوة المحيية. لذا علينا أن ننهج فى نمط حياة لا تجلب الموت فيما بعد، إنه نمط الحياة فى العفة، إن كل اقتران جسدى يثمر أبناء جسديين أما الاقتران بالله فيثمر حياة وعدم فساد. هذه هى الأم (البتولية) التى تفرح بولادة البنين الكثيرين (الروحيين) والتى كانت عاقراً فقط من أجل بتوليتها (مز ١١٢ : ٩).

١٤ـ البتولية تخرج عن عبودية الولادات المؤدية إلى الموت :

البتوليون يكسرون هذه الحلقة المفرغة التى تؤدى بكل مولود حسب الجسد إلى الموت وينهون إمتداد سلطانها عليهم ويتفوقون عليه إذ يقال بحق إنهم معصومون من الفساد إذ لا يعمل جسدهم من أجل خدمة الحياة الفاسدة لأنهم لم يقبلوا أن يصبح جسدهم آلة لمتابعة مسلسل الموت. لقد صنعت البتولية حاجزاً يستحيل إختراقه كما حدث مع العذراء القديسة مريم والدة الإله إذ قد ملك الموت من آدم إلى المسيح (رو ٥ : ١٤) حينما اصطدم الموت بثمرة بتوليتها، كما بصخرة وتحطم عليها وهكذا يحدث مع كل نفس بشرية تتجاوز الحياة الجسدية بالبتولية، إذ لا يجد الموت أن يغرز شوكته فيها (١ كو ١٥ : ٥٥).

ونعلم أن النار إذا لم نلق فيها وقوداً تنحسر وتطفأ، وهكذا لن يكون للموت فاعلية لو لم يهيئ له الزواج أناسا كما لو كانوا مدانين. البتول إنسان ابتلع فيه المائت من الحياة (٢ كو ٥ : ٤). وهذه صورة للجمال الذى فى الدهر الآتى، وينطبق عليهم القول لا يسود عليه الموت... والحياة التى يحياها فيحياها لله (رو ٦ : ٩، ١٠). لقد وضع نقطة نهائية بنفسه ولم يعد بعد يثمر للموت بل ليعيش من أجل الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم (تى ٢ : ١٣)، فى بهاء قديسيه (مز ١٠٩ : ٣).

١٥ـ العفة الحقيقية تتحقق رغم جميع الظروف :

والنفس المتحدة بالرب فى طهارة كاملة لكى ما تصبح روحاً واحداً معه (١كو ٦ : ١٧) والتى تعهدت بأن تحبه من كل القلب... (تث ٦ : ٥) تحرص على ألا تتسخ بأى رذيلة لئلا تتدنس النفس كلها، بل تنال جميع الفضائل لأنها مترابطة أيضاً معاً. يوضح ذلك مثال بركة ماء هادئة إذا ما ألقينا حجراً فيها يضطرب كل السطح بتموجات دائرية تتسع متدرجة إبتداء من المركز حتى الأطراف، هكذا سلام وهدوء النفس يضطرب كله من شهوة واحدة.

فإذا ما تملكت رذيلة أو فضيلة معينة على النفس فإنها تجر معها بالضرورة باقى الرذائل أو الفضائل، كما يقول الرسول : إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه وإن كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه (١ كو ١٢ : ٢٦).

١٦ـ الخطر يحدق بكل من يخرج عن نطاق الفضيلة :

إن أى رذيلة تعتبر زنا وعلى ذلك فهناك زنا الغضب والطمع والحسد والحقد والعداوة والنميمة والبغضة لأنها تكون بذلك قد حلّت أختام زيجة النفس الروحية. وإن كان الكتاب يعلمنا أن الحكمة لا تحل إلا فى النفوس الطاهرة (حك ١ : ٤)، فإن عريسنا السماوى لا يأتى ويسكن فى أى نفس بها عيب أو غضن أو شئ من مثل ذلك (أف ٥ : ٢٧)، وليس هنا إلا طريق واحد مستقيم ضيق حقاً وكرب ولكن الخروج منه يعرض سريعاً للسقوط.

١٧ـ إنه من الخطأ التحرر من سيد من أجل الاستعباد لآخر :

فالبعض يتحرر من الشهوات المخزية ولكنه يقع فى فخ الكرامات وحب الرئاسة، أيضاً البعض يهرب من اللذة ولكن يطغيه الحزن، وهناك من يتحول عن التجرؤ والإندفاع ثم يتسفل بالرخاوة، أو من يجاهد ضد الغضب ولكنه يقع فى عبودية الخوف. وهذا هو تعليم الرب نفسه لتلاميذه أن يعيشوا كحملان وسط ذئاب (لو ١٠ : ٣)، وأن يكون لهم ليس فقط بساطة الحمامة بل أيضاً حكمة الحية (مت ١٠ : ١٦) التى تتمثل فى إخفاء رأسها عند مواجهة الخطر حتى لا تفقد حياتها.

١٨ـ التطلع إلى الفضيلة بكل قوى النفس :

إذن فليت تعليم الرب هذا يكون مبدأ للحياة ونحن نقترب إليه متسلحين بالعفة، أعنى أن نهتم بالأعمال الفاضلة جميعاً دون إهمال لما يقابلها، كالجندى الذى يحصن كل أجزاء جسمه عند التقدم للحرب لأن الضربة فى أى جزء عار مهما كان صغيراً كفيلة أيضاً بأن تقضى عليه. فالإرادة يجب أن تصدر عن نفس نقية جداً وتتكرس مرة إلى الأبد فتحفظ نقية من دنس هذا العالم :

- **أما عن الغيرة والغضب والبغضة فينبغى أن تسهر هذه القوات على الباب ككلاب حراسة حارسة ضد الشر والخطية.**
- وأما عن الشجاعة والجسارة فيجب إصطحابها كأسلحة ضد الخوف.
- وأما عن الرجاء والصبر فيجب الإستناد عليها كما على عصا عند التعب.
- وأما عن الحزن فيجب أن تتزود به فى لحظات التوبة وهذه هى فائدته الوحيدة.
- وأما عن البر فيجب أن يكون أساساً لتقويمنا هاديا لنا فى كل قول وفعل بحيث لا نعثر فى شئ.
- وأما عن الزهد أو القناعة فهو كقمة لكل هذه الفضائل يعتبر بمثابة الحكومة المنظمة لكل قوى النفس.

١٩ـ القديسة مريم عذراء وأم :

إن كانت الذرية وكثرة البنين تعتبر بركة فالبتولية تبدو ذات قيمة أعظم أيضاً، يعبّر عن ذلك كل من إشعياء وبولس العظيمين فالأول يقول : كما إن الحبلى التى تقارب الولادة تتلوى وتصرخ فى مخاضها هكذا كنا قدامك يارب (إش ٢٦ : ١٧)، والآخر يفتخر بأنه ولد كثيرين فى المسيح (١ كو ٤ : ١٥) من أورشليم إلى الليريكون (رو ١٦ : ١٩).

وقد طوبت أليصابات ثمرة بطن العذراء القديسة مريم التى ولدت بلا دنس لأنه ولا الولادة أفسدت بوليتها ولا البولية أعاقتها عن الحبل والولادة. فحقاً حيثما وجد روح خلاص كقول إشعياء (إش ٢٦ : ١٨) تبطل بالتأكيد مشيئة الجسد (يو ١ : ١٣).

٢٠ـ وهناك نوعان متعارضان من الزواج حسب الجسد وحسب الروح :

ولا يمكن الجمع بينهما كالعين التى لا يمكن أن ترى هدفين فى وقت واحد، أو اللسان الذى لا يمكن أن يتكلم بلغتين معاً. وما يؤهل للزواج الروحى هو الزهد والإماتة واحتقار الأرضيات وتجديد الذهن (رو ١٢ : ١٢)، واشتهاء الكنوز السماوية التى يقول بولس الرسول عنها : فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله... فى طهارة... (٢ كو ٦ : ٤).

٢١ـ التغرب عن ملذات الجسد :

وحيث قد أوضحنا أنه من أجل الاقتراب من الله لابد أن نكون فى طهارة مثله، لذا لابد لنا من الإنفصال عن الشهوات كما بسور عال، ويوصينا الرب فى هذا الصدد أن كل من نظر واشتهى فقد أفسد قلبه (مت ٥ : ٢٨). والإنسان العاقل هو الذى يضع حدوداً دقيقة عند إشباعه لأى غريزة بحيث يجعل استعمالها من أجل الانتفاع بها وليس من أجل اللذة المصاحبة لها. تماماً كما إن الفلاح يفصل الحنطة عن التبن ويستعمل الأولى لغذاء الإنسان أما الثانية فلغذاء الماشية، فلنترك إذن للحيوانات لذتها أما نحن

فلننتفع بالتبر.

٢٢ـ ويقول الحكيم أن كثرة الدرس تعب للجسم (جا ١٢ : ١٢) :

لذا يلزم الحرص من أجل تجنب خطر آخر وهو الاستغراق فى الدرس والتأمل الذى يرهق الجسم من أجل تحقيق التوازن بين مختلف الأنشطة وحفظ صحة الجسد للاستمرار فى الجهاد، كقائد العربة الذى يحرص على تسيير الخيل التى تجرها بسرعة متوازية وبهذا التوازن يتحقق ما هو مكتوب إن الذى جمع كثيراً لم يفضل والذى جمع قليلاً لم ينقص (٢ كو ٨ : ١٥). وهذه أسمى غاية للزهد حتى لا يثقل على الجسد بل ليعمل من أجل تسهيل وظائف النفس.

٢٣ـ وعلى راغبى البتولية أن يتعلموا ممن نجحوا فى اختبارها :

فلدينا طبعا التعاليم الكتابية التى تقدم لنا تفاصيل دقيقة عنها، ولكن الأمثلة الحية بلا شك تكون أكثر فاعلية، وإن كنا نحتاج إلى رحلات طويلة بحثاً عن المعلمين ولكن هوذا الكلمة قريبة منك كما يقول الرسول (رو ١٠ : ٨)، لأن النعمة يمكن أن تبلغ إليك فى دارك الذى يمكن أن يصبح معملاً للفضيلة.

وهناك فى الواقع نماذج رائعة ورائدة فى حياة البتولية وهناك أناس رغم حداثة سنهم أصبحوا شيوخاً بنقاوة عفتهم فتجاوزوا الزمان بصورة ما وبرهنوا على حب شديد للحكمة لأنهم قدروا القول المكتوب أن العفة هى شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط (أم ٣ : ١٨).



من رسائل كبريانوس

الأسقف والشهيد (*)

حث على الاستشهاد : (رسالة إلى فورتيناوس وثيقة ١١) :

أرسل القديس كبريانوس رسالة إلى فورتيناوس سنة ٢٥٢م يعبر له فيها عن بركة ومجد الإستشهاد ويذكر فيها :

جدير بنا أيها الحبيب أن نستثير همم جنود المسيح بتهيئة وتقوية أذهانهم بالأقوال الإلهية من الكتب المقدسة حيث أن نير الاضطهادات والشدائد قد وضع علينا. فإنه لا يحسب جندياً مهيأ للحرب من لم يتدرب أولاً فى ميدان الجهاد. وخصمنا الذى نصارعه عدو قديم وله الآن ستة الآف سنة منذ بدأ يعتدى على الإنسان متَبعاً حيلاً وطرقاً متعددة لإسقاطه. فإن وجد جندى المسيح غير مستعد وغير منتبه بكل قلبه يصرعه، أما من يحفظ وصية المسيح ويلتصق به بشجاعة فسوف يقهره لأن المسيح إلهه لا يقهر...

وإنى إذ أقدم لك هذه الوصايا الكتابية أدعوك أن تصنع منها خبرتك الخاصة لئلا

(*) ولد القديس كبريانوس نحو سنة ٢٠٠م وكان تلميذاً لترتليانوس، واشتغل مدرساً للخطابة حيناً، وقد تحول إلى المسيحية سنة ٢٤٦ واختير أسقفاً لمدينة قرطاجنة سنة ٢٤٨م وظل يرعى شعبها حتى استشهد سنة ٢٥٨ وكتابات كبريانوس فضلاً عن قيمتها الذاتية فهى ذات دلالة تاريخية كبيرة إذ تصور المشاعر الدينية والإجتماعية لمسيحيى هذا العصر، وخاصة ما كانوا عليه من اقتناع شديد بإيمانهم وحماس شديد له، ومع جو الاضطهادات والموت البطئ الماثل أمامهم إحتقروا الآلام والمسرات العالمية. وحينما أبتدأ اضطهاد ديسيوس سنة ٢٥٠م إعتزل كبريانوس مختفيا إلى حين حيث كتب معظم رسائله لتشجيع المؤمنين، وقد راسل كرنيليوس أسقف روما بشأن البدع السائدة آنئذ، وبلغ مجموع رسائله ثمانون رسالة هذا عدا ١٢٠ وثيقة أخري فى مختلف المواضيع. مترجمة من A . N . F Vol v p 5795

أكون مثل من يقدم لإنسان معطفا جاهز الصنع فربما يكون غير ملائم لقامته الخاصة، ولكن ها أنا أقدم لك عين الصوف والأرجوان من الحمل الذى به افتدينا وحيينا، الذى حينما تقبله ستصنع منه معطفاً ملائماً لك بإرادتك الخاصة. وتفتخر به أمام الآخرين ليقتدوا بك، وهكذا نستر عرينا القديم ونلبس جميعاً ثوب المسيح بتقديس النعمة السموية وليتنا نحن الذين قدمنا المعمودية الأولى للمؤمنين نستعد أيضاً لهذه الثانية، أعنى الإستشهاد، مصممين ومنادين أنها ذات نعمة عظيمة أثمن وأكبر، معمودية بعدها لا يخطئ أحد قط، وحينما نخرج بعدها من العالم نتحد للتو بالله. فإن معمودية الماء بها نقبل المغفرة، أما معمودية الدم فإكليل الفضائل.

رجاء الشهداء ومجازاتهم :

إن الروح القدس ينطق بفم سليمان الحكيم ويتنبأ عن الأبرار والصديقين بقوله : مع أنهم قد عوقبوا فى عيون النـاس فرجـاؤهم مملوء خلوداً وبعد تأديب يسير لهم ثواب عظيم (حك ٣ : ٤ – ٨) كما يعبر داود النبى عن مقدار مجازاة عذاباتهم هذه بقوله : كريم أمام الرب موت قديسيه (مز ١١٦ : ١٥)، وليست هذه المجازاة من أجل من قتلوا فقط من أجل المسيح، بل أيضاً من أجل كل من يظل ثابتاً فى إيمانه وقد ترك واحتقر كل ممتلكاته، فالمسيح يكرمه مثل الشهداء، يعبر عن ذلك سفر الرؤيا بقوله : ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، ونلاحظ هنا أنه يقدم ذكر من قتلوا أولا، ثم يضيف : والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة (رؤ ٢٠ : ٤). فهو يذكر أن هؤلاء جميعاً عاشوا وملكوا مع المسيح وليس من قتلوا من أجله فقط.

المجازاة أعظم جداً من المعاناة :

ويؤكد الرسول المبارك بولس هذه الحقيقة بقوله : إن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا (رو ٨ : ١٨). فمن ذا الذى لا يجاهد بكل قوته ليبلغ إلى مثل هذا المجد ويصير صديقاً لله ويفرح سريعاً مع المسيح، لأنه بعد احتمال العذابات هنا

على الأرض يقبل المكافأة السمائية. وإن كان الجنود المحاربين فى هذا العالم يعودون مكللين بمجد بعد ما يقهروا أعداءهم فكم بالأكثر جداً يعود الذين قهروا الشيطان بمجد عظيم إلى الفردوس حاملين معهم أوسمة الفخار ليقدموا لله هدايا مقبولة جداً أعنى إيماناً نقياً وفضيلة ثابته وتسبيحاً دائماً، إنهم سيرافقونه حينما يأتى لينتقم من أعدائه، وسيكونون عن يمينه حينما يجلس للدينونة، ويرثون مع المسيح ويفرحون فى ملكوت السموات. فأى اضطهاد يفوق مثل هذه الأمجاد، وأى عذابات تغلبها؟!

إن القلب الشجاع الثابت المؤسس على التأملات الروحية هو وحده الذى يستطيع أن يتحملها وتظل الروح راسخة إزاء كل أهوال الشرور وتهديدات العالم حينما تتقوى بالإيمان الصلب اليقينى الذى للعالم العتيد، ففى الاضطهادات :

- تغلق أبواب الأرض ولكن تنفتح السموات.
- ضد المسيح يهدد ولكن المسيح نفسه يدافع عنا.
- يأتى الموت ولكن يتبعه الخلود يقيناً.
- نفارق هذا العالم ولكننا نسترد الفردوس.
- تنطفئ الحياة الحاضرة ولكن تتحقق الحياة الأبدية.

فأى امتياز هو وأى تأمين لنرحل فرحين من هنا ونرحل بمجد وسط الشدائد والضيقات، إذ نغمض العين فى لحظة ونفتحها لننظر إلى الله والمسيح! فكم هو هين جداً هذا الرحيل المبارك، إننا سوف ننتزع بغتة من الموت لنوجد فى المملكة السمائية. لذا يليق بنا أن ننشغل بهذا الأمر نهاراً وليلاً فإن كان الاضطهاد يأتى على جنود الله وهم مستعدين للمعركة فلن يقهروا قط وحتى لو لم تتح لهم فرصة الإستشهاد، لن يكون إيمانهم بلا مجازاة لأنهم يحفظون أنفسهم فى حالة الاستعداد له، وهكذا ينالون مجازاتهم من عدل الله، فهم فى الإضطهادات يحاربون وفى السلم يكلّلون من أجل نقاوة سيرتهم .

تشجيع على تقديم الشهادة للمسيح : (الرسالة ٥٥)

وقد أرسل كبريانوس أيضاً رسالة إلى شعب مدينة تيباريس يبلغهم فيها أنه كان يود أن يزورهم سريعاً ولكن إذ عوقته بعض الأعمال الهامة كتب لهم ما يعوضهم عن حضوره ثم يقول لهم : أن أيام المحنة قادمة، ونهاية العالم ومجئ جند المسيح على الأبواب، لذا علينا جميعاً أن نكون مستعدين للمعركة، غير مهتمين بشئ إلا بمجد الحياة الأبدية وأكليل الإعتراف بالرب. وإن كان الرب يسوع قد أوصانا : إفرحوا إذن وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات (لو ٦ : ٢٢ ، ٢٣) فذلك لأنه فى أوقات الاضطهادات تعطى أكاليل الإيمان ويتزكى جنود الله وتفتح السموات للشهداء، لأن المسيح نفسه معلم التواضع خاض مثل هذه الآلام من أجلنا وعمل أولاً ما علم به، ووعد أن يعترف أمام أبيه بمن يعترف به هنا وأن ينكر من ينكرونه.

فليت لا أحد منكم أيها الإخوة المحبوبون، يضطرب حينما يرى الشعب مطروداً مبعثراً خوفاً من الاضطهاد، أو حينما يرى الأساقفة معوقين عن الوعظ والتعليم، فرغم تفرق الاخوة بالجسد ولكنهم متحدون معاً بالروح. ومن يكون المسيح رفيقه فى أثناء الهرب لا يكون وحيداً.. فإن كنا نعانى من كراهية العالم واضطهاده فالمسيح إحتمل هذا قبلنا : إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم (يو ١٥ : ٢٠) هكذا أخبرنا مسبقاً حتى لا يكون لنا عذر ولا نستعفى منه.

وليت لا أحد منكم أيها الإخوة المحبوبون، يرتعب من خوف الاضطهادات القادمة أو يخشى تهديدات ضد المسيح الآتى، إذ يوجد غير مسلح بالوعود والوصايا الإنجيلية، فإن كان ضد المسيح يأتى فالمسيح أيضاً يأتى فوقه..، وإن كان العدو يطوف ويزأر فالرب يأتى سريعاً بعده لينتقم لعذاباتنا وجراحاتنا وإن كان المضاد يضطرم حنقا وتهدداً فالله الواحد ينقذنا من يده.

مجـد الاستشهاد :

... ولا ريب أن الاستشهاد يعتبر تاج كل سعى وقمّة كل كمال، إنه أساس الحياة

والإيمان وضامن الخلاص وطريق الحرية والكرامة، لذا يهمنا هنا أن نقدر ماهية الاستشهاد، وما هى عظمته وما هى بركاته...

الاستشهاد هو نهاية الخطايا ومانع الأخطار ومرشد الخلاص ومعلم الصبر وموطن الحياة. ولعل عظم قدر الاستشهاد يتضح من أن أولئك الذين كانوا يعذبون الشهداء وجدوا أنفسهم مدفوعين لأن يعترفوا بإيمانهم ويعلنوا أنهم قد ساروا مسيحيين (١)

فإن كان الرب يمتحننا بالتجارب الأرضية ويمحصنا بالأمراض العالمية فعلينا أن نهنئ أنفسنا ونفرح لأنه لم يرصدنا للهلاك الأبدى بل يفرح بنا كمطهرين من كل دنس. أن جميع آلامنا الحاضرة تحتقر بإزاء يقين البركات العتيدة. لأنه إن لم تكن هناك معركة أولا فلا يمكن أن تتحقق النصرة، والربان الماهر يُعرف فقط أثناء العاصفة. كذلك الجندى الشجاع أثناء الحرب، كما أن الصراع مع المضاد هو الذى يظهر الحق، والشجرة الراسخة عميقة الجذور لا تهتز من الرياح. فنحن إن كنا نستعفى من الآلام الحاضرة، لماذا نطلب ونصلى قائلين : ليأت ملكوتك؟ إن كانت الرباطات الأرضية تجتذبنا!

فموت الاستشهاد ليس هو نهاية الحياة بل عبور إلى الأبدية عبر رحلة هذا العمر، ومن ذا الذى لا يسرع إلى ما هو أفضل؟ ولا يشتاق إلى التغير والتجديد إلى صورة المسيح ليبلغ سريعاً إلى كرامة مجد السماء... وإن كانت جدران مسكنك الذى تقيم فيه تهتز بسب طول الزمان وأسقفه فوقك متداعية وقد صار متهدماً وآيلاً للسقوط مهدداً بخراب سريع، فكيف لا ترحل عنه بكل سرعة لتنجو من حطام وشيك؟

تمجيد شهداء المناجم بمديح رائع : (الرسالة ٧٦)

من كبريانوس إلى غسيانوس وفيلكس ولوكيوس وفيلكس الآخر ولوبس ويوليانى

---

(١) أوضح مثال لذلك أريانوس والى إنصنا الذى بعد ما عذب مسيحيين كثيرين نال هو نفسه إكليل الإستشهاد.

وفكتور وبادر وداتيفس وزملائهم الأساقفه والقسوس والشمامسة، وسائر الإخوة فى المناجم شهداء الله الآب ضابط الكل والرب يسوع المسيح والإله المحافظ علينا سلام أبدى:

حقا إن مجدكم أيها الإخوة المحبوبون والمباركون جداً جدير بأن آتى أنا شخصياً لأراكم وأقبلكم، لولا أن قيود المكان المحدد لى تمنعنى [1]، إذ إنى منفى هكذا من أجل الإعتراف بالاسم الحسن. وإن كنت لا أستطيع الحضور إليكم شخصياً إلا إنى أعبر عن نفسى فى خطابى بالمحبة والروح حاسباً نفسى شريكاً لكم، إن لم يكن فى المعاناة لكن فى وحدة المحبة، لأنى لا أستطيع أن أصمت وقد علمت بالأمور المجيدة التى تتصل بالله وأنعم بها عليكم أيها الأصدقاء الأعزاء جداً، إذ سبق البعض وأكملوا إستشهادهم ومضوا ليقبلوا من ربهم إكليل إستحقاقهم والبعض لا يزال فى خبايا السجون أو فى المناجم والقيود مظهرين أعظم الأمثلة بعذاباتهم البطيئة لتقوية وتشديد الإخوة، نائلين بأتعابهم الشاقة أسس درجات الكرامة ليقبلوا الكثير من المجازاة السموية بقدر عدد أيام عقوباتهم الحاضرة وإنى لا أعجب أن يحدث لكم مثل هذا فى مقابل استحقاق عقيدتكم وإيمانكم، وإذ أنتم تعرضون أنفسكم كقادة فى الفضائل، وبينما سائر القطيع يتبع رعاته ويقتدى برواده، فيقينا أن الرب سوف يكلله بإستحقات طاعته اللائقة.

حث للمعترفين على الشهادة للمسيح بالأعمال كما بالأقوال : (رسالة ٦)

من كبريانوس إلى روجاتيانوس القس ولسائر المعترفين إخوته. سلام. لقد أرسلت لكم خطاباً أيها الإخوة الأعزاء البواسل مهنئاً على إيمانكم وفضيلتكم بكلمات طيبة. لأنى ماذا أشتهى فى صلاتى أعظم وأفضل من أن أرى قطيع المسيح مستنيراً بشرف اعترافكم وإن كان جميع الإخوة يبتهجون بهذا إلا أن فرح الأسقف به يكون أعظم جداً. لأن مجد الكنيسة هو مجد الأسقف. وبقدر ما نحزن من أجل المنكسرى الخاطر من الاضطهاد بقدر ما نفرح من أجل من لم يقو عليهم الشر.

---

(١) نستنتج من هذه العبارة أن القديس كبريانوس كتب هذه الرسالة وهو فى المنفى سنة ٢٥٧م.

وها أنذا أحثكم بإيماننا المشترك وبمحبة قلبى الحقيقية نحوكم، إذ قد غلبتم المضاد فى هذه المعركة الأولى، أن تثبتوا مجدكم بفضيلة شجاعة ومثابرة. إننا لا نزال فى العالم وفى ميدان المعركة، ونحارب كل يوم من أجل حياتنا. وبعد هذه البدايات المباركة علينا أن نكمل أيضاً. فربما إنه من اليسير أن نحصل على شئ ما ولكن الأصعب هو إمكانية المحافظة عليه، وأعنى بذلك حتى إيماننا.

فعلينا أن نثابر فى الطريق الضيق المستقيم. وإن كان يليق بجميع المسيحيين الحياة السلامية الهادئة المتضعة فهى أولى بكم أنتم المعترفين إذ قد صرتم مثالاً لباقى الإخوة... فليتنا نثبت بعضنا بعضاً بالتشجيع الأخوى، وليتنا ننمو أكثر فأكثر فى الرب. حتى ينعم على الكنيسة بالسلام كوعده الصادق ونعود إلى الكنيسة متجددين متغيرين إلى الأفضل، وحتى أن من أعجبوا أولاً بشجاعتنا يعجبون أيضاً بنظام حيـاتنا. أستودعكم سلامى القلبى. أذكرونى.

العفو عن الذين ضعفوا أثناء الاضطهادات : (رسالة ١٠)

..... إنه فى الواقع يمكن مسامحة الذين زلوا أثناء عذاباتهم، لأنه لماذا لا يسرع الشخص الميت ليصير حيا؟ ومن ذا الذى لا يكون شغوفاً ليكمل خلاصه الخاص؟ وهذا بالحرى من واجب أولئك القائمين على تعليمهم حتى لا يعتبروا ذابحين لهم عوضاً عن أن يكونوا رعايتهم.

وحيث إنى أسمع منكم أيها الإخوة الشجعان والمحبوبون، أنكم قد أجبرتم على الزلل بازاء عنف العذابات، فإنى أستعطفكم كأصدقاء للرب وأمناء مخلصين للإنجيل أن تعتبروا كيف سلك الشهداء قبلكم بكل حرص، وهكذا تقدرون جيداً كل ما يطلب منكم حتى لا ندان أمام الله وحتى لا تخزى الكنيسة أمام الوثنيين. لهذا كتبت إلى كل من الإكليروس والشعب كيما تحذروا بالإسم من هم الجديرون بأن يمنحوا سلام الكنيسة، حتى لا يكون ذلك مشاعا لجماعات كبيرة بلا تحديد، بل تعطون حق الشركة لمن تعرفونهم بالإسم وتوافونا برسائل منهم طبقاً للنظام والإيمان المتبع بالكنيسة.

الاعتكاف الأخير قبل الإستشهاد : (رسالة ٨٢)

من كبريانوس إلى القسوس والشمامسة وكل الشعب. سلام، حينما أُخبرنا أيها الإخوة الأعزاء أن جنوداً أرسلوا ليحضرونى إلى أوتيكا، شجعنى الإخوة أن أنسحب إلى حين من حراسى، ووافقتهم لأنى وجدت سببا وجيها، إذ إنه يليق بالأسقف الذى يتصدر كنيسة الرب فى مدينة ما أن يعترف بالرب فيها، وأن يتمجد كل الشعب باعتراف مقدمهم أمامهم. لأن مهما يتكلم به الأسقف المعترف فى لحظة الأعتراف هذه إنما يتكلم بفم الجميع بإلهام من الله. ولكن ينتقص شرف كنيستنا المجيدة إن كنت أمضى شهيداً للرب وأنا مقام على كنيسة أخرى لأقدم اعترافى فى أوتيكا، فى الوقت الذى فيه أصلى حقاً بطلبات كثيرة، سواء من أجلى أو من أجلكم، وأتوسل بكل اشتياقاتى أن أعترف وأتألم بينكم ثم أرحل للرب، كما ينبغى تماماً. لذا فإنى أنتظر هنا فى عزلة خفية وصول الحاكم عائدا إلى قرطاجنة حتى أسمع منه ماذا أمر الأباطرة بشأن المسحيين العلمانيين والأساقفة وأقول ما يريدنى الله أن أقوله فى تلك الساعة.



الكتاب الثالث

كتابات لآباء محـــدثين

١- السيادة والملوكية — للأب فلاديمير لوسكى

٢- أذكر يارب — للأب إغريغوريوس شممن

٣- دراسة روحية عن المعنى الحقيقى
لتعبير خضوع الإبن — للقديس إغريغوريوس النيسى

٤- كلية الطهر — للأب فلاديمير لوسكى

السيادة والملوكية

لـلأب فلاديمـير لوسكى (*)

تمهيد:

الحديث عن نهاية العالم أو ما يسمونه بالأخرويات يؤدى بنا إلى تحديد بعض المفاهيم اللاهوتية بصورة صحيحة. وإن كان العلم الطبيعى يراجع نظرياته دائما، فكم بالأولى علينا أن نتفهم جيدا ما يتعلق «بما لم تره عين ولم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه» (إش ٦٤ : ٤، ١ كو ٢ : ٩). لذا لا بد لنا هنا من أن نتعرض لموضوع«إكتمال سيادة الله» على الخليقة والكون ثم نعرض للمفهوم السليم للحياة الأخروية.

السيادة تقوم على المحبة والرحمة :

الله فى الكتاب المقدس هو الرب، رب القوات السمائية، وسلطانه «من جيل إلى جيل» ويمتد «إلى كل مكان» مما يؤكد سلطانه المطلق أكثر من كل الآلهة. وفى الواقع إننا نلاحظ أن الله قد برر أيوب الصديق الذى حاججه وجها لوجه بينما اشتعل غضبه ضد أليفاز التيمانى وأصحابه الذين تكلموا عن قضائه الذى لا يرد إذ قال لهم : لم تتكلموا فىّ الصواب كعبدى أيوب» (أى ٤٢ : ٧) إن سيادة، الله لدى أيوب تقبل المحاورة، لأن رفض المحاورة تعتبر شهادة سلبية عن الطبيعة الحقيقية لسيادة الله. سيادة الله رب السماء والأرض على خليقته تقتضى إقامة علاقة مع المخلوقات من البشر والملائكة الذين يدعوهم خضوعهم الطوعى إلى التمجيد الدائم للخالق الضابط الكل.

(*) In the Image And Likness of God. F . Lossky ch . 12.

الله فى الكتاب المقدس ليس كإله الفلاسفة والعلماء الذين يتبعون منهج السبب والنتيجة بل يعلن نفسه حتى فى غضبه على الإنسان الذى كان ينبغى أن توصله حريته إلى الكمال، لأنه خلقه على صورته ومثاله. **وهذه هى قمة قوتة الضابطة للكل، بل هى قمة ضعفه الإرادى الذى قبله على نفسه «لأن ضعف الله أقوى من الناس»** (١ كو ١ : ٢٥)، نعم كان لابد من هذه المغامرة الإلهية لأن من لا يغامر لا يحب. الإله الغيور فى الكتاب المقدس ليس هو الإله الغيور على مجده الخاص، بل الإله الذى محبته لخاصته «قوية كالموت». إننا نتكلم عن سيادة الله بتعبيرات محبة الله الشخصية التى توجه حرية خلائقه إلى تحول كامل إليه فى وحدة تكمل بحرية مطلقة وبتعاون من إرادة المحبوب. لقد بلغ الله فى حبه إلى «جهالة الصليب» لأنه «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣ : ١٦).

المفهوم السليم لسيادة الله وملوكيته :

إن إكمال سيادة الله تتوافق مع غاية مشاركة الكائنات البشرية فى الطبيعة الإلهية بواسطة المسيح آدم الثانى (١ كو ١٥ : ٤٥) الذى يجمع فى نفسه كل شئ، وفى مقابل ناموس الخطية والموت (رو ٨ : ٢) الذى يتحدث عنه معلمنا بولس الرسول والذى أدى بالإنسان إلى حالة شقية هناك التدبير الذى لا يخيب الذى يحكم به الله وسط فوضى العالم الساقط، حافظا إياه من الخراب الكلى، وواضعا به حدودا لسيادة قوات الظلمة. الله هو السيد الوحيد، وسوف تخضع له كل الأرواح المقاومة، ورغم أن الشيطان يسعى ليفسد تدبير الله **فإنه سيجد نفسه أخيرا يخدمه**. هنا يجد الرمز النبوى لإسرائيل معناه الكامل، فهو لا يعنى فقط بابل وكل القوات الشيطانية التى اضطهدت كنيسة الله فى طول تاريخها، بل على مستوى أعمق فيما وراء التاريخ يعنى الشيطان نفسه والمكائد التى حاكها ضد آدم والعالم الأرضى منذ معصية آدم.

هنا أيضا يظهر لنا سفر أيوب مشكلة الشر فى صورتها الحقيقية، فالشيطان المدعى على جنسنا وهو يريد أن يجرب أيوب البار كان ملتزما بقول الله له : «هوذا كل ما له

فى يدك» (أى ١ : ١٢) ويقول القديس إغريغوريوس الكبير تعليقا على ذلك : «جدير بالملاحظة أن الشيطان لا يدعَى لنفسه القوة على الضرب وهو الذى لا يكف عن الإدعاء ضد خالق جميع الأشياء، ينبغى أن نعلم أن إرادة الشيطان شريرة دائما، ولكن قوته لا تكون قط بغيرحق، لأن إرادته من ذاته أما قوته فمن الله. وما يريد أن يفعله بخبثه، يسمح له الله ببره أن يكمله....»، فلا يجب علينا أن نخشى قط ممَن لا يستطيع أن يفعل شيئا بدون إذن. إننا نخشى فقط من قوة ذاك الذى، إذ يسمح للشيطان أن يمد يده، يجعل إرادته الخبيثة تخدم أحكامه البارة [1].

ونحن نلاحظ فى إجابة الرب على كلام أيوب الذى «بلا معرفة»، أنه أورد فى آخرها وصفا لبهيموث الذى «اعتبره أول أعمال الله ، (أى ٤٠ : ١٩)، لويثان الذى دعى «ملك على كل بنى الكبرياء»(أى ٤١ : ٣٤)، كرمز لقوات الظلمة المقاومة لله، وإذ يهزأ بسطوتها التى أخضع الإنسان نفسه لها طواعية، يقترح الله على أيوب أنه بإمكانه أن يكسر عنه كبرياء الشيطان وأن يلوى لويثان كدمية لفتياته، حينئذ فقط يعرف الله أن الإنسان يستطيع أن يكمل خلاصه بقوته كما يتضح من قوله : «فأنا أيضا أحمدك لأن يمينك تخلصك» (أى ٤٠ : ١٤).

لقد آمن أيوب أفضل من أصدقائه بإله الوعد والمحبة وليس بإله الناموس، لهذا كان سفر أيوب هو أول أسفار العهد القديم فى التقليد اليهودى ليفتتح أفقا أخرويا، إذ يضع سيادة الله وحالة الإنسان فى موضعهما الحقيقى اللائق بهما. يتكلم العهد الجديد كثيرا عن ملكوت الله ولكنه نادرا ما يورد ذكر السيادة بالنسبه لله. فإننا نعرف الله كملك لحياتنا معرفة شخصية وثيقة فضلا عن كونه سيداً للآخرين. وخاصة أن الملكية لا تقوم على أعماله السيادية التى أتمها أو لم يتمها، بل حتى حينما يصعد على صليب نصبه له خاصته ليموت، فهو يظل ملكا. السيادة الإلهية تستعلن بصورة لا تخطر على بالنا بل ومذهلة لكل الناس والملائكة، حتى قال عنها القديس يوحنا ذهبى الفم : «**أنا أدعوه**

---

(١) Moralia II , 16 - 17

ملكا لأنى أراه مصلوبا، لأنه يليق بملك أن يموت عن رعاياه».

ولكن المسيح يقوم ثانية ويصعد إلى السموات ويجلس عن يمين أبيه، رافعا الطبيعة البشرية التى أخذها «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة» (أف ١ : ٢١). وهذه الدرجات الأربعة للسلم الرئاسى السمائى التى اختارها القديس بولس ليوضح إنهيار النظام العالمى، تعبر جميعها عن فكرة السيادة. إذن فنحن نتجاوز الصورة الخارجية للملوكية لدى الله، فإن العلاقة القائمة بين رأس الكنيسة السموى وأعضائه الأرضيين تتجاوز نوعية السيادة، وهذا يعبر عنه القديس بولس بقوله : «جرد الرئاسات وأشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه (فى الصليب) (كو ٢ : ١٥). حقا إن كل ما للسيادة يتحطم على عتبة الكنيسة، تلك الحقيقة الجديدة التى ظهرت فى العالم بعد صعود المسيح وحلول الروح القدس. إن أبناء الكنيسة هم فى منأى عن لهيب السيف المتقلب الذى يغلق به الملاك بوابة الفردوس فى وجه ذرية آدم.

المفهوم السليم للحياة الأخروية :

ولكن فى نظر العالم الخارجى كل شئ باق كما هو، ولا يزال أولئك المستهزئين الذين تكلم عنهم بولس الرسول يسألون : «أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شئ باق هكذا من بدء الخليقة» (٢ بط ٣ : ٤). إننا لا نزال نرتدى «أقمصة الجلد» التى ألبس بها الله آدم وحواء حينما طردا من الجنة، أى الحالة الطبيعية المعرضة لضرورة الموت التى صارت ناموسا جديدا لوجود الخليقة الأرضية بسبب خطية آدم، ولا زالت هذه الإرادة الشيطانية تعمل فى العالم فى أبناء المعصية. إن البعض لا يزالون ينظرون إلى مسيح الأناجيل على أنه يسوع الناصرى الذى لا نراه كابن الله الحى إلا على المستوى الأخروى الإسخاتولوجى، وهذه إسخاتولوجية مزيفة متعارضة مع الفكر اللاهوتى. والإسخاتولوجية المعنوية (أو المجردة Abstract) يمكن أن تتخذ صورا متعددة ويمكن أن نصادفها إلى حد ما فى كل مكان إن لم يكن على المستوى النظرى فعلى الأقل فى الممارسة العملية. وينبغى أن نلاحظ أن الإسخاتولوجية العصرية لا تمثل قط

لإنتظار الوشيك لمجئ المسيح الثانى الذى ألزم الرسل وتلاميذهم بأن ينادوا اليهود والأمم بانقلاب النظام العالمى الذى أنهى المسيح عليه عندما إنتصر على الموت والخطية، كما أنها لا تمثل الفكر المتجه إلى الغرض الذى من أجله أقتنى آباء الكنيسة بانتصار كل بذور الحق المبعثرة فى الفكر البشرى، حتى ما يجعلوها جميعا تنمو إلى قياس قامة ملء المسيح (أف ٤ : ١٥)، بل على العكس إن هذه الإسخاتولوجية الكاذبة ليس فيها شئ حيوى (ديناميكى)، إنها تقوم على المناداة بإسخاتولجية معرفيه Epistomological تسمح لنا بهدوء أن نكمل أنشطتنا الأرضية دون أن نعتبر أنفسنا ننتمى إلى«صعيد آخر» فهل نتحدث عن الصعوبات اللاهوتية أو الهرطقات أو الانقسامات بين المسيحيين. إنها جميعا سوف تجد حلا لها فى النظام الإسخاتولوجى، أو بالأولى إنها جميعا قد وجدت لها حلاً فى العالم الآخر الذى لإسخاتولوجيا ليست ولن تكون قط باروسيا (أى مجرد ظهور للمسيح) أو حضورا له.

إننا نجابه اليوم نفس الخطـأ الذى يرى فى نظرة واحـدة معا المستويات المختلفة التى لاحظنـاها لدى أصحاب أيوب. فهناك تكلموا عن مستويات مختلفة للسيـادة الشرعيـة خلطت معا ونسبت إلى الله، أما هنا فنجد الوعد الأخروى - الذى تحقق ولا يزال يتحقق على مستويات مختلفة - والذى نحاول إن ننظر إليه من بعيد كما فى تلسكوب، برؤية كاذبة دون أن يكون هناك شئ ينظر، لقد فشل أصحاب أيوب الذين حاججوه فى أن يلمحوا المغـامرة المتضـمنة فى محبة الله الذى أخـذ على عاتقـة كليـة تدبير خـلاص خـلائقه.

الإسخاتولوجيا تصبح حائرة حالما يصبح الإنسان قادرا على التعاون مع القصد الإلهى، إن تحيقيق الوعد الإسخاتولوجى يبدأ عند نقطة إكمال تدبير الخلاص بعد موت وقيامة وصعود المسيح. فى الترتيب التاريخى، (التكميل) البشرى يتبع (التكميل) الإلهى. إن إسخاتولوجيا الأنبياء نظرت فى لمحة واحدة إلى الموعد الماسيانى بالفداء، وإنسكاب الروح القدس، والدينونة الأخيرة وتجلى العالم. إنه فقط بعد أربعين يوما من صعود الرب، بدأ

العصر الإسخاتولوجى بحلول الروح القدس، «موعد الآب» (أع ١ : ٤، ٥) النـار التى جاء المسيح ليلقيها على الأرض (لو ١٢ : ٤٩) **الإسخاتولوجيا (الحيـاة الآخرة) يمكن فقط أن «تبدأ» فى النهـاية، ولكن هذه النهاية ليست محطة نهائيه ثابتة، أو حـدا، إنها البداية المتجددة دائما لطريق الوحـدة التى تشترك مع الله فى طبيعته**، والتى فيها تكمل سيادة الله ودعوة الخليقة. وهذا التحقيق للنهـاية الأخيرة، بنعمة الروح القدس، وبالحرية البشرية، هو السر الداخـلى للكنيسة، السر الذى أكمل وتتعجب منه الملائكة، ولكن الذى يظل غير مفحوص بالنسبة لمن هم من خـارج – أى للشياطين، وأبنـاء هذا الدهر، ولنا نحن أنفسنـا حينما نتفلسف «حسب أركان هذا العـالم وليس حسب المسيح» (كو ٢ : ٨). هذا السر الذى للدعوة الأخيرة قد تحقق فعلا فى إنسان بشرى واحد، فى مريم والـدة الإله : فهذه التى أعطت الحيـاة البشرية لابن الله، قبلت من ابنها ملء الحيـاة الإلهية. إن سر الشركة فى الطبيعة الإلهية الذى يكمل فى الكنيسة هو الإسخاتولوجيا القائمة حاليا، إنه المحور الخفى ولكن الجديد تماما الذى يغير كل تاريخ العـالم.

ولكننا يجب أن نتكلم عن مراكز كثيرة، لأن الدعوة الأخيرة تبدأ من الآن، بدرجة متفاوتة فى كل شخص مسيحى. ويخبرنا معلمنا بولس الرسول : «أن إنتظار الخليقة يتوقع إستعلان أبناء الله، إذ أخضعت الخليقة للباطل. ليس طوعا بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء لأن الخليـقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله» (رو ٨ : ٢١).

حينما تكف دورات الزمن المتعاقبة عن حركتها الرتيبة حينئذ يبدأ عهد ربيع أبدى تنتصر فيه كل قوى الحياة على الموت حيث يكون الله هو مصدر حياة كل الأشياء.

ولكنا لازلنا مع كل الخليقة «ننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى»، إن نصرة المسيح وتغير النظام العالمى ليس بمثابة إعادة تأسيس للحالة الأولى قبل خطيئة آدم، لأن النهاية الأخيرة ليست هى الفردوس الأرضى، ولكن السماء الجديدة والأرض الجديدة.

الحالة الأخروية هى إنطلاقة جديدة تبدأ من آدم الجديد (الثانى) إلى نهاية جديدة دائما، ولكن هذا الطريق الجديد يبدأ فى ظروف العالم القديم الذى يمضى إلى الفناء»، فى جسد آدم الأول» الهزيل والقابل للموت، بالرغم من النعمة غير المخلوقة الساكنة فيه. لقد قبلنا المسحة الملوكية التى للروح القدس ولكنا لم نبلغ بعد إلى الملك مع المسيح. مثل داود الصغير، الذى بعدما مسح بواسطة صموئيل كان عليه أن يحتمل عداوة شاول قبل أن يحصل على المملكة. ونحن يجب أن نقاوم عساكر الشيطان، الذى قد خُلع من عرشه مثل شاول، «ولكن رئيس هذا العالم» لا يزال يعمل.

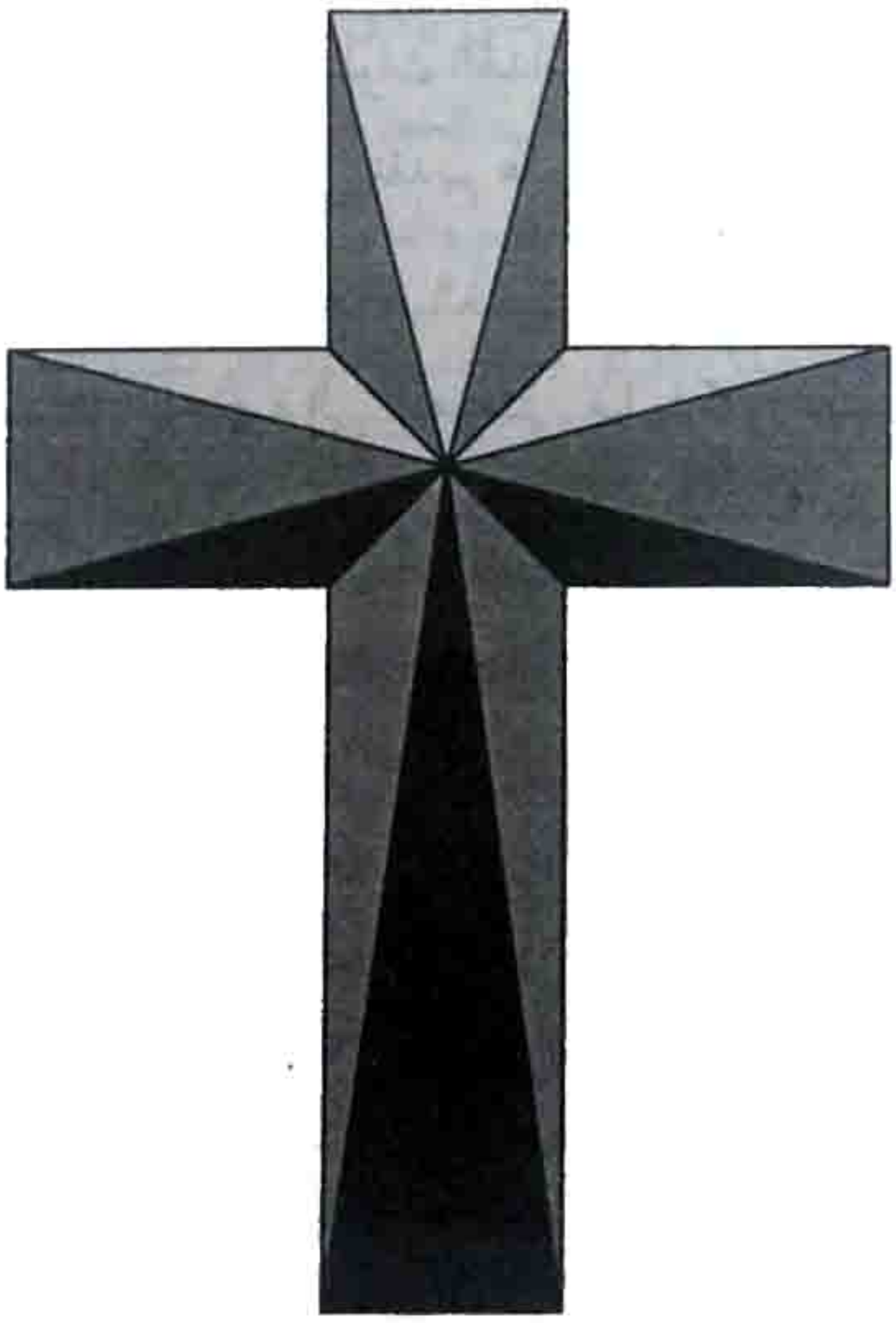
المسيح رأس الكنيسة، قد جلس عن يمين أبيه حتى يخضع أعداءه تحت قدميه (مز ١٠٩ : ١)، ولا يمكن أن نخوض الحرب ضده هنا على الأرض إلا بأسلحة المسيح، لأن «مصارعتنا ليست مع لحم ودم، بل مع أجناد الشر الروحية فى السماويات» (أف ٦ : ١٢). هذه الحرب أعمق جدا من الطبقات التى نتناولها بالتحليل، كالعلوم البشرية. فإنه ولا واحد من العلوم – لا علم النفس ولا علم الإجتماع ولا الإقتصاد ولا العلوم السياسية – يمكنه أن يفحص الأصل الحقيقى للشرور المختلفة التى تلاحقنا ويحاول تعريفها، فى محاولاته لطردها أو على الأقل لتقليص الأضرار الناجمة عنها، ولا حتى الفلسفة التى تبحث فى النفس والطبيعة تحدثنا عن مصير الإنسان، لأنها ليست إسخاتولوجية.

ونحن نعلم أن بوابات الجحيم لن تقوى على الكنيسة..... الكنيسة تصمد فقط من أجل تحقيق هذه الغاية النهائية الموضوعة أمام الخليقة. هذا هو المبدأ المرشد لنضالها، ويزداد مجالها إتساعا بقدر ما يصبح توغلنا الإسخاتولوجى أكثر كثافة. وماذا يكون هذا التوغل الكثيف إلا القداسة؟ ولا يجب أن ننسى أن كمال سيادة الله الذى هو أيضا التقديس النهائى لكل الخليقة، إنما يتحقق على مستويات متعددة لسنا نستطيع أن ندركها جميعا. إن كمال دعوتنا النهائية يرتبط أولا وقبل كل شئ بمصير العالم الأرضى الذى خلق فيه البشر أناسا على صورة الله ومثاله. فعلى هذا المستوى الذى هو

مستوى لاهوت الكنيسة، يعتبر الشيطان هو العدو الوحيد، والذى على الكنيسة أن تظل نصارعه إلى نهاية الزمان.

و نعلم أن هذا الصراع سينتهى بمجئ المسيح. حينما يخضع جميع أعدائه تحت قدميه، وأن هذه الدينونة الأخيرة ستحدث حينما تصير ممالك العالم لربنا ومسيحه (رؤ ١١ : ١٥).

ولكن ليتنا لا ننسى فى حضرة الوجه المخوف للمسيح الديان أن أسمى إمتياز له كملك هو الرحمة.



أذكر يارب

للأب اللاهوتى الكساندر شممن (*)

تمهيد :

أذكر يارب [1] ..... فى ملكوتك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور.

تتردد هذه الكلمات مرارا خلال صلوات القداس الإلهى وفى صلاة التقدمة خاصة، وينادى الشماس على الشعب ليشارك فى تقديم هذه الطلبات كاستجابة للكاهن الخديم.

أذكر يارب .... يمكننا أن نقول بلا مبالغة أن التذكير أى عملية إيراد كل أمر فى الذاكرة الإلهية، والصلاة الموجهة إلى الله حتى ما يذكر، تكون الفكرة المركزية فى الليتورجية وحياة الكنيسة كلها، وحتى بدون أن نتعرض الآن للإفخارستيا التى أمرنا الرب

(*) عن مقالة بمجلة Le Messager Orthodoxe عدد ٩٦ ٣، ٤ سنة ١٩٨٤. ولد الأب الكساندر شممن سنة ١٩٢١ واستقرت عائلته فى باريس حيث تلقى علومه اللاهوتية وحيث أسس معهداً لاهوتيا أرثوذكسيا وألقى محاضرات فى جامعة السربون، وفى سنة ١٩٤٣ تزوج من يوليانا وأنجب منها ثلاثة أبناء، وتخصص فى دراسة تاريخ الكنيسة البيزنطية، وفى سنة ١٩٤٦ سيم كاهنا قبل دعوته للعمل كأستاذ لليتورجية فى معهد القديس فلاديمير فى أمريكا الذى صار مديرا له فيما بعد، نشر كتابا بعنوان الطريق التاريخى للأرثوذكسية فى روسيا، ورسالة لنيل الدكتوراه من معهد القديس سرجيوس بعنوان : مقدمة فى اللاهوت الليتورجى، كذا نشر كتاب من أجل حياة العالم وكتاب أسئلة أخيرة وكتاب الصوم الكبير وكتاب من الماء والروح وكتاب الكنيسة عالم وإرسالية وسنة ١٩٨٢ بدأ يعانى من مرضه الأخير حتي توفي سنة ١٩٨٣، وسنة ١٩٨٤م نشر له كتاب الإفخارستيا.

(٢) تتكرر هذه العبارة، أذكر يارب ..... حوالى ٢٥ مرة فى صلوات الأواشى بالقداس الإلهى.

يسوع المسيح بأن نقيمها لذكره (ولعل المعنى الدقيق لهذه الذكرى يكون موضوع دراسة مستقلا) فالكنيسة لا تكف كل يوم ونكاد نقول كل ساعة عن أن تذكر حادثة ما، أو قديسا معينا، حتى يعتبر هذا التذكار الملح هو جوهر كل احتفال ليتورجى .

وإن كان الأمر كذلك، فينبغى علينا أن نتساءل عن جوهر هذا التذكار وخاصة لأن اللاهوت المدرسى يلتزم بالصمت الكامل تقريبا عنه ربما لأن هذا اللاهوت الذى لا يقر إلا الطريقة العلمية، لا يقيم وزنا حتى لفكرة التذكار كغاية فى حد ذاتها، ويعتبرها كظلال لذاتية ونفسية غريبة عن العلم، أوكتفسير بديل لإيمان الكنيسة تحت صورة تعليم موضوعى، قائم على بعض النصوص، ولا يفسح مجالا بكل بساطة للذكرى، وبتعميم أكثر للخبرة، فالتذكار مرفوض خارج مجال اللاهوت النظرى، ومهما كان هذا الأمر يبدو غريبا جداً فإن هذا النسيان للذكرى الذى يؤدى بالتحديد باللاهوت إلى تفسير نفسى لليتورجية، هو تفسير يقوم على حساب الحط من شأن الليتورجية إلى رمزية خارجية ومظهرية ويكون عقبة كبرى للإدراك السليم والتفسير الأصيل فى المجال الليتورجى.

فمن ناحية إن كان العمل الليتورجى الذى للتذكار لهذه الحادثة أو تلك يدرك اليوم على أنه تأمل بسيط فى الحادثة موضوع التساؤل بمساعدة رمزية الطقس، وإن صلاة التذكار من ناحية أخرى تشبه بكل بساطة بالصلاة من أجل الآخرين، فإننا ننسى المعنى الحقيقى للتذكر والتذكار، المعنى الذى يعلن لنا فى الكنيسة، ولهذا علينا أن نذكر هذا المعنى قبل أن نحاول فهم المركز الذى يشغله التذكار فى صلاة التقدمة.

أبعاد معنى الذاكرة :

إن الكتب التى تحلل من جميع وجهات النظر الممكنة هذه الموهبة السرية، التى يختص بها الإنسان وحده أى ما هى الذاكرة؟ تعد بالآلاف : ولعله يكون من العبث أن نطلب تعداد جميع الشروحات والنظريات عنها، ولعل ذلك من ناحية أخرى يكون عديم الجدوى لأننا عبثا نجهد أنفسنا لفهم وشرح معنى وميكانيكية هذه الظاهرة، فموهبة الذاكرة تظل دائما غير قابلة للشرح وسرية، بل ويمكننا القول إنها ذات جانبين متساويين.

وهناك أمر واحد مؤكد هو أن الذاكرة هى الملكة التى يملكها الإنسان كيما يستعيد بها الماضى، وأن يحفظ بها فى نفسه المعرفة، ولكن هنا بالتحديد يتمثل الجانبان المتساويان، إن جوهر الذاكرة هو أن نجعل الماضى يحيا ثانية، وبفضلها نرى ثانية الشخص الذى رحل عن هذا العالم منذ زمن طويل، إنى استرجع بجميع التفاصيل اليوم الذى كنت قد قابلته أو تركته فيه بالتحديد، وهكذا فأنا أستطيع أن أجمع حياتى جاعلا منها وحدة، ولكن، ألا يولد الماضى ثانية بالتحديد كماضى وكغير قابل للعودة، تماما كما إن معرفة هذا الماضى التى تهيؤها لى الذاكرة هى فى نفس الوقت الإقرار بغيابه فى الحاضر؟ ومن هنا يأتى الأسف الذى يصاحب دائما التذكر، لأننا أخيرا نأخذ فى اعتبارنا أن الذاكرة ليست شيئا آخر سوى الوعى الذى يختص به الإنسان وحده، عن موته، والوعى لهذا الأمر أن الموت والزمان يسودان على الأرض (كما يقول سولوفيف) لهذا تعتبر موهبة الذاكرة ذات جانبين متساويين فإنه بفضل الذاكرة يستطيع الإنسان أن يجعل الماضى يولد ثانية، ويعى فى نفس الوقت خاصية حياته الزائلة التى إذ تهب عليها العاصفة تختفى فى الظلمات إنه يعى الخاصية العابرة وغير العائدة التى للزمان والذى ينتهى إن عاجلا أو آجلا بأن يظلم ويطمس ويطفئ تماما حتى الذاكرة نفسها كيما تسود فى النهاية إمبراطورية الموت.

إنه فقط بالمقابلة مع هذه الذاكرة الطبيعية، نجد هذه الموهبة التى من الواضح أنها خاصة بالإنسان وحده، ولأجل هذا السبب نفسه من الواضح أنها غامضة، الموهبة التى تعطى الإنسان الوعى بخلوده حتى قبل أن يختبر الموت، والتى تظهر له الحياة كمسيرة نحو الموت، إننا يمكن أ ن نفهم أو بالأولى نحس بكل الخبرة التى للذاكرة أو التذكر، الذى يليق أن نعتبره كجوهر الحياة الجديدة التى وهبت لنا فى المسيح.

ولنذكر هنا أن لاهوت العهد القديم يطلق كلمة ذكر على المعونة التى يحبو بها الله خليقته وعلى قوة المحبة والعناية الإلهية التى تعول العالم وتهبه حياة، تماما كما إن الحياة نفسها يمكن أن تعتبر كحضرة فى ذاكرة الله، بينما إن الموت يعتبر مقبرة النسيان، وبخلاف ذلك يقال إن الذاكرة، كما فى كل أمر يتعلق بالله، إنما هى حقيقة، إنها الحياة

التى يهبها الله والتى يتذكرها إنها النصرة الأبدية على العدم، الذى يعزلنا الله عنه كيما يجعلنا فى نوره العجيب.

موهبة الذاكرة هذه، كقوة تغير المحبة إلى حياة ومعرفة وشركة ووحدة إنما هى معطاة من الله للإنسان، ذاكرة الإنسان هى المحبة التى يستجيب بها الإنسان لمحبة الله واللقاء والشركة مع الله الذى هو حياة الحياة. **الإنسان وحده قبل موهبة استطاعة تذكر الله والحياة من هذه الذاكرة**. إن كانت جميع الأشياء فى الكون تشهد لله، وتعلن مجده وترتل بتسابيحه فالإنسان وحده هو الذى يتذكره، وبفضل هذه الذاكرة، وهذه المعرفة الحية لله يرى العالم كأنه عالم الله، ويستقبله بيديه ويصعده إليه. إن كان حضور الإنسان فى ذاكرة الله هو عطية حياة، فإن حضور الله فى ذاكرة الإنسان هو قبول عطية الحياة هذه، والرضا الدائم بهذه الحياة والنمو فيها.

نفهم إذن أن كل عمق وكل رغبة حتى جوهر الخطية يتمثل بالأولى فى التعبير العام إن الإنسان قد نسى الله عما هو فى التعاريف العلمية واللاهوتية التى لا تحصى، لأنه فى المفهوم الكتابى للذاكرة الذى ذكرناه للتو، وفى مفهومها الكيانى، إن صح القول وليس بعد فى مفهومها السيكولوجى، نعنى بالنسيان قبل كل شئ إستثناء ما ننساه من حياتنا، والكف عن الحياة والانفصال عنه، ليس فقط الكف عن التفكير فى الله، لأن الملحد المقاوم تسيطر عليه دائما الكراهية لله، ونحن نرى صنفا من الناس مندفعين بصدق ليكونوا متدينين، بينما هم يبحثون فى الواقع فى الديانة عن شئ آخر غير الله، ولكن الانفصال عنه مع كونه هو الحياة هو الكف عن الحياة منه وفيه، وإنه من مثل هذا النسيان لله تتكون وتتكون دائما الخطية الأساسية والأصلية للإنسان، لقد نسى الإنسان الله لأنه أعطى محبته وبالتالى ذاكرته وحياته كلها لأمر آخر، وقبل كل شئ لنفسه، لقد تحول عن الله وقد كف الله عن أن يوجد لأجله فالرعب وخاصية عدم القابلية للإصلاح التى للنسيان تأتى من أنه كالذاكرة، كيانى فإن كانت الذاكرة تحيى فالنسيان هو الموت أو بالأولى بدء الموت، وسم الخلود إنه يعدى الحياة ويحولها بصورة نهائية ولارجوع فيها إلى مسيرة موت، إن الشئ

الذى أنساه يعتبر غائبا حقا بالنسبة لى. هذا الشخص - وإن كان قد كف عن أن يكون ذاكرتى وحياتى، فإن حياتى نفسها تصبح مسيرة موت والذاكرة التى كانت معرفة الحياة وقوة حيوية تتحول إلى معرفة الموت وإلى تمثيل (هضم) دائم لسم الخلود.

وكما أن الإنسان ليس فى مقدروه أن يهلك نفسه، وكما أنه ليس فى مقدوره أن يعود إلى العدم الذى اجتذبه الله منه، فهو لم يعط بالمثل أن يهلك ذاكرته، أى المعرفه التى يملكها من حياته، ولكن كما أن حياة الإنسان، بعد انفصاله من الله قد امتلأت بالموت وقد تحولت إلى مسيرة موت كذلك أصبحت ذاكرته علما للموت، ومعرفة لإمبراطورية الموت على العالم، بالذاكرة يتطلع الإنسان أن يقيم الماضى وأن يعيق الماضى من أن يبتلع كله فى هوة الزمان.

ولكن هذه القيامة تستعلن بالتحديد كالفكر المؤرق الناتج من عدم قابلية الماضى للعودة، ومن رائحة الفساد الذى يغرق العالم، وفى ثقافة وفن وعقيدة هذه البشرية الهابطة بالحقيقة حيث أنها قد انفصلت عن الحياة، نجد أن الحياة تشبه الطائر الذى أصابه سهم، يحاول أن يرتفع ولا يستطيع (كما يقول تيوتشيف) هذه النزعات يمكن أن تكون رائعة (وفى هذا العالم يمكن فقط التطلع إلى الحياة الحقيقية ويمكن فقط للذاكرة التأسف على ما فقد ويمكن فقط للحزن الراقى أن يبلغ إلى الجمال الحقيقى)، هذه النزعات يمكن أن تبقى فى ذاكرة الناس كعطش، كنداء، كتوبة أو صلاة ومع ذلك ففى نهاية الأمر تنتهى هى أيضا بأن تسقط فى النسيان، مثل عندما يموت آخر الأبوين، وآخر من يحتفظ بالذكرى، حينئذ تغطى الأعشاب البرية المقبرة التى كانت سابقا ولا تزال تسمع صوت غناء الذاكرة الأبدية ليت النصب التذكارى يتفتت، وليت حروف شاهد المقبرة تنمحى، وتصبح غير مقروءة ومخيفة ومجردة من كل معنى، ويبقى فقط تاريخان ليتميز بهما وجود نسيه الجميع ولم يعد أحد هناك لينشغل بهما .

الذاكرة والتجسد الإلهى :

ولهذا يتضمن خلاص الإنسان والعالم وتجديد الحياة، إستعادة الذاكرة كقوة للحياة

والتذكر، وكنصرة على الزمن الذى بمروره تنحل الحياة وتحل سطوة الموت، هذا الخلاص يتم فى المسيح، المسيح هو التجسد فى الإنسان ومن أجل الإنسان، فى العالم ومن أجل العالم ، تجسد الذاكرة الإلهية، تجسد محبة الله المحيية للعالم إنه أيضا الإعلان والتحقيق الكامل للحضرة الإلهية فى ذاكرة الإنسان كمحتوى وقوة وحياة الحياة.

تجسد للذاكرة الإلهية، لأنه إن كان الإنسان قد نسى الله، فإن الله نفسه لم يتحول عن الإنسان وحتى مرور الوقت المائت الزائل حوّله من الداخل ليجعل منه تاريخا للخلاص، واستعادة تدريجية للذاكرة فى الإنسان وبهذه الذاكرة، إستعادة المعرفة والرجاء والإلهام والمحبة، لكى حينما يأتى ملء الزمان أى إكتمال هذا الإعداد، يستطيع الإنسان أن يتعرف على الله فى المخلص، وأن يتفكر ثانية فى ذاك الذى نسيه واستعاد فيه حياته المفقودة، إن استعادة الحضور الإلهى فى ذاكرة الناس عن طريق حضور الإنسان فى ذاكرة الله، هو معنى العهد القديم، وإنه من غير الممكن أن نفصل عنه المسيح، أو أن نعرف المسيح بطريقة أخرى إلا من خلال العهد القديم، الذى هو كله ليس إلا إكتشاف وإقرار تدريجى بالمسيح، وذكر للمسيح قبل مجيئه فى الزمان، وحينما حمله سمعان الشيخ ودعاه الخلاص المهيأ قدام وجه جميع الشعوب، وحينما كان فى برية الأردن، وصفه يوحنا السابق بحمل الله الذى يرفع خطية العالم، وحينما كان فى الطريق إلى قيصرية فيلبس إعترف بطرس بأنه المسيح ابن الله، فهذا ليس تتابع أسرار وعجائب غير قابلة للتأويل، بل قمة، وكمال هذه الذكرى التى للمخلص والخلاص، لهذا الإقرار التدريجى الذى فيه يتحقق حضور الإنسان فى ذاكرة الله كما يتحقق حضور الله فى ذاكرة الإنسان.

الخلاص يقوم فى أنه فى المسيح، الإنسان الكامل، والإله الكامل، إستعيدت الذاكرة وتأسست كقوة حياة فنحن حينما نتذكر، فلسنا بعد نتذكر خبرة الانحلال والموت التى يقبل إليها الإنسان بل النصرة على هذا الإنحلال عن طريق «الحياة المحيية»، لأن المسيح هو تجسّد وهبة الذاكرة الإلهية فى ملئها للإنسان، للحب الإلهى لكل إنسان والبشرية بكليتها، للعالم ولأجل كل الخليقة. إنه هو المخلص، وهذا يعنى بالتحديد أن ذاكرته هى

ذاكرة الجميع، وإنه **يجمع جميع الكائنات فى حياته الخاصة وأن حياته الخاصة، يعطيها للجميع حتى ما يستطيعوا أن يجمعوا المسيح فى حياتهم فى أنفسهم**، ولكن إن كان هو تجسد الذاكرة الإلهية، فهو أيضا إستعلان للذاكرة الإلهية، إنه أيضا إستعلان واستكمال للحضور الإلهى الكامل فى ذاكراة الإنسان، حيث أنه فى هذه الذاكرة، المحبة، وإخلاء الذات، والشركة مع الآب تقوم كل حياته، كل كمال بشريته.

ذاكرة المسيح التى تتحقق فينا بحضور المسيح فى ذاكرتنا تكون جوهر إيماننا والحياة الجديدة التى وهبت لنا بواسطتها، ومنذ الأيام الأولى للمسيحية كان الإيمان بالمسيح يعنى تذكره وذكره، ليس فقط أن تكون لنا معرفه عنه وعن تعليمه، بل المعرفة الحية والباقية وسط أولئك الذين يحبونه، منذ البدء، كان إيمان المسيحيين ذاكرة وتذكرا ، ولكن الذاكرة المستعادة فى جوهرها المحيى حيث أنه على العكس من الذاكرة الجديدة الاكتشاف والإقرار بالفرح بالمقام بالحى بذاك الذى هو حاضر والذى يبقى، وليس فقط الإقرار به، بل لقاء وخبرة لشركة حية معه.

وإذ نتجه إلى الماضى إلى حياة وموت وقيامة يسوع المتأنس على عهد بيلاطس البنطى، لا يكف الإيمان عن الإقرار بأن ذلك الذى نتذكره إنما هو حىٌ، وإنه الكائن والذى سيكون بيننا، إنه لن يستطيع أن يكون ذلك القرار إن لم يكن ذكرى، ولكن من أجل أن يكون ذكرى ينبغى بالمثل أن يكون معرفة لذاك الذى نتذكره، إننا لم نعش، فى أيام جسده على عهد بيلاطس البنطى، وبالتالى لا نستطيع الاحتفاظ بالذاكرة التى فيها ذكريات الأحداث التى حدثت عندئذ، وفضلا عن المعرفة البسيطة لهذه الأحداث التى نقلت إلينا عن طريق النصوص، إن كنا نحتفظ ونثير ذكره، إن كان، فى هذه الذاكرة وفى هذه الذكرى جوهر حياتنا وإيماننا، فإن ذاك الذى نتذكره حىٌ وكل ما فعله من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، حياته وموته وقيامته وتمجده، جعل لنا منه هبة وهو يستمر فى أن يجعل لنا منه هبة وأن يعطينا المشاركة فيه، إذن إنه ليس بعد ماضيا الذى نتذكره بل المسيح نفسه، وهذا التذكار يعمل على دخولنا فى نصرته على الزمن وتجزئة الزمن إلى ماضى

وحاضر ومستقبل، دخول ليس فقط فى أبديه جامدة، ومجردة بل فى الحياة المحبية، حيث يعيش الكل فى ذكرى الله المحيية، وحيث يكون كل شئ لنا – العالم والحياة والموت والحاضر والماضى، حيث أننا للمسيح والمسيح لله (١ كو ٣ : ٢٢ ، ٢٣).

هذا هو جوهر هذه الذكرى، التى كما قلنا سابقا، تكون أساس حياة الكنيسة والتى تتحقق قبل كل شئ فى الليتورجية، **فالليتورجية هى دخول الكنيسة فى الزمن الجديد الذى للخليقة الجديدة، فى هذا الزمن الذى يتجمع ويتوحد فى ذاكرة المسيح**، الذى يتغير بواسطته إلى حياة وهبة حياة متخلصة من التجزئة، فى ليتورجية الكنيسة التى هى جسد المسيح الحى بحياته وبتذكاره، أعطى لنا أن نتذكر خليقة العالم وخلاصه بواسطة المسيح وملكوت الله الذى ينبغى أن يأتى فى مجد ولكن الذى استعلن سابقا فى المسيح، أى إدراك والإقرار بهذه الحقائق بإعتبارها قد اكتملت من أجلنا وفينا ومعنا باعتبار أنها أعطيت لنا، وبتعبير آخر نقول، لقد أعطى لنا فى الليتورجية أن نتذكر الماضى والحاضر بقدر ما إنهما حيّان فينا، وبقدر ما قد أعطيا لنا، وبقدر ما إنهما يتغيران فى حياتنا ويجعلان من حياتنا حياة فى الله.

الذاكرة والحياة الأبدية :

إننا فقط فى ضوء ما قيل للتو نستطيع أن نفهم معنى هذا التذكار الذى يبدو كتعبير لفظى للتقدمة الكبرى، للتحول الذى يجرى على المذبح فى التقدمات الإفخارستية، بهذا التذكار نحن نشمل المذكورين فى الذاكرة المحيية التى للمسيح، **حضور الإنسان فى ذاكرة الله، وحضور الله فى ذاكرة الإنسان، ذاكرة مزدوجة وواحدة التى هى بالذات الحياة الأبدية.**

نحن فى المسيح، نقدم أنفسنا بعضنا بعضا إلى الله ونثبت بهذه التقدم أن ذاك المذكور والمقدم هى حىّ، حيث أنه يبقى فى الذاكرة الإلهى .

إن التذكار يصحب التقدمة ويكون واحدا معها تماما، إنه التحقيق اللفظى لها، لأن المسيح قد قدم نفسه لأجل الجميع ولأجل كل شئ.. لقد قدمنا جميعا إلى الله فى نفسه.

لقد وحدنا جميعا فى ذاكرته، إن تذكر المسيح يعنى الدخول فى حبه الذى جعل منا إخوة وأقرباء، ويعنى المشاركة فى خدمة إخوته. فقط حبنا بعضنا نحو بعض ونحو كل من يرسلنا الله إليهم والذين يجعلهم يدخلون فى حياتنا يشهد بأن المسيح حاضر، وبأنه يحيا فينا وفى وسطنا ، هذا الحب حاضر قبل كل حضور للآخرين فى ذاكرتنا وقبل ذكرهم فى المسيح، لهذا فعند تقديم ذبيحته نصنع تذكارا بعضنا لبعض، ونقر فى أنفسنا بالتبادل كأحياء فى المسيح وموحدين فيه بعضنا بعضا.

فى الذكرى لا يوجد فرق بين الأحياء والأموات، لأن الله ليس إله أموات بل إله أحياء، (مت٢٢ :٣٢) ، بهذا بالتحديد يقوم فرح وقوة هذه الذكرى: حينما نضمن الأشخاص المذكورين فى ذاكرة الله المحيية، فهذا يزيل الحدود بين الأحياء والأموات، لأن الجميع فيها مستعلنين ومقررين كأحياء فى الله، وهكذا لم يكن ولاواحد فى زمان الكنيسة الأولى يفكر فى أن يحتفل بليتورجية خاصة للأموات (وبالاكثر بزينات سوداء)! هذا كان أمرا غير وارد التفكير فيه، لأنه فى كل إحتفال ليتورجى، وبالأصح إنه بهذا التضمين للجميع فى ذاكرة الله ، يكمل اتحاد الجميع، الأحياء والأموات فى الحياة المحيية .

وبهذا المعنى تكون كل ليتورجية للأموات ، لأنه فى كل ليتورجية هبة ذاكرة وحب المسيح يظفران بالموت والانفصال والنسيان ، ليس من انفصال بعد يا أحبائى....

وهكذا فاننا بتذكرنا أنفسنا بعضنا البعض، فى كل حياتنا، وبتقديم حياتنا لله فى فعل التفكير هذا، نكمل تقدمنا، انها نقدمتنا فى المسيح لله، وفى واقع الأمر إننا مقدمون بالمسيح، هو الذى يجعل تذكارنا ممكنا ويكمله.

الذاكرة فى الطقس الكنسى :

والآن، يقبّل الكاهن الخديم التقدمات ويضعها على المذبح ويغطيها بالأبروسفارين، وهذا يعنى أن الحركة المنظورة للخبز والخمر، الحركة التى بها قدمنا عطايانا إلى الله قد انتهت ومن ثم تبدأ التقدمه (الأنافورا) غير المنظورة لهذه العطايا وحياتنا فيها إلى السماء، على هذا المذبح المساوى حيث المسيح قد رفع بشريته المؤلهة، وكما أن حياتنا الحقيقية هى مستترة

مع المسيح فى الله هكذا أيضا تكون مغطاة ومستترة تقدماتنا وطعامنا وشرابنا الأرضى، ملكوت الله ليس من هذه الأرض، إنه غير منظور للعين الأرضية، وغير ممكن للمنطق الأرضى البلوغ إليه، ولكن من هنا على الأرض بالتحديد، نبدأ صعودنا الآن نحو هذا الملكوت الفوقانى، نحو المائدة التى يحتفل المسيح عليها، بفصح أبدى بصحبة أولئك الذين يحبونه .

إذن فالكاهن الخديم يضع التقدما ت على المذبح، الذى هو صورة هذه المائدة التى للملكوت، ويغطيها ويبخر عليها، ثم يخاطب الله بصلاة التقدمة ويطلب أن ترفع هذه التقدمات على مذبح الله المقدس... وأن تكون لائقة بالله وأن يحل علينا روح النعمة الإلهية وعلى هذه القرابين وعلى هذه التقدمات المقدمة هنا وعلى كل الشعب.

بهذه الصلاة يختتم التقدمة ونعبر مع الكنيسة إلى الخطوة التالية التى هى رفع القرابين.



دراسة روحية
عن المعنى الحقيقى
لتعبير خضوع الإبن

«للقديس إغريغوريوس النيسى»(*)

«ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه سيخضع له الكل»

(١ كو ١٥ : ٢٨)

هذا المقال يتناول بالشرح الآية المشهورة للقديس بولس الرسول الخاصة بخضوع الابن والتى طالما كانت موضوع استفسار الكثيرين، واستغلها قديما أريوس وأتباعة للتقليل من مركز الابن بالنسبة للآب. ونحن نعرض هنا المفهوم السليم للخضوع وكيف يتممه المسيح فينا ونتائجه المباركة للبشرية.

تمهيد فى معنى خضوع الإبن :

غنى عن البيان أن خضوع الابن لا ينبغى أن ندركه تبعا لفهمنا البشرى البسيط، كما أننا يجب أن نميز بين الخضوع الذليل الذى يحتمله الأسرى مثلا الذين قهروا عنوة من أعدائهم والذين يسعون ويتمنون لو أتيحت لهم الفرصة للتحرر منه، وكذا خضوع العجماوات لبنى البشر إذ ليس لها إستطاعة بطبيعتها لرفضه أو التمرد عليه، وبين خضوع الابن الذى هو الخضوع المبارك والذى تنبأ عنه النبى بقوله «أليس لله تخضع نفسى لأن من قبله خلاصى» (مز ٦١ : ٢)، لقد شاركنا المسيح فى طبيعتنا البشرية الساقطة لذا أصبح على طبيعة الإنسان غير العاقلة أن تخضع لله، وهى التى يقول عنها النبى : «أخضع

(*) (مجموعة مينى م ١٣٠٤ - ١٣٢٦ ب ج ٤٤).

الشعوب لنا والأمم تحت أقدامنا» (مز ٦٤ : ٤) بينما يذكر أيضا الذين خلصوا عن طريق المعرفة فيقول الله بفم النبى«أخضع شعوبا أخرى تحتى» (مز ٥٩ : ٦).

خضوع الابن فى طبيعتنا البشرية المتقلبة :

أما فى ما يتعلق بمشاركة [1] الطبيعة البشرية المتقلبة فى عمل الخير، فإنه يلزم لمثل هذه الطبيعة أن تخضع لله وبذلك تكون لنا مشاركة [2] فى هذا الخير. الخضوع لا وجود له فى قوة الله غير المتقلبة وغير المتغيرة، لأننا نتأمل فيها فقط كل اسم صالح وكل فهم وكل عدم فساد وكل طوباوية. وهذه القوة تبقى دائما كما هى، فليس فى إمكانها أن تصبح أفضل أو أسوأ مما هى عليه. وكذا فهى لا تقبل أى زيادة فى الخير ولا أى ميلان نازل إلى حالة أردأ، بل بالأولى تفيض قوة الله الخلاص للآخرين إذ ليس لها أية وظيفة أخرى إلا إعطاء الخلاص.

كيف يخضع الإبن وهو كامل :

فما هو إذن الكلام المعقول الذى يمكن أن يقال عن معنى الخضوع؟ كل ما بحثناه وجدناه بعيدا عن الفهم والنقاش السليمين عن (الابن) الواحد مع الآب فى الجوهر وإن كان من الضرورى أن ننسب نوع الخضوع الذى تكلم عنه إنجيل لوقا (فالرب كان مطيعا وخاضعا لأبويه حتى بلغ الثانية عشرة من عمره) (لو ٢ : ٥١). ولا يكون معنى هذا النص صحيحا بالنسبة لله الكائن قبل كل الدهور، ولا يكون صادقا حينما نطبقه على أبيه الحقيقى، فالمسيح قد جرب فى طبيعتنا البشرية ولكنه «مثلنا فى كل شئ بلا خطية» (عب ٤ : ١٥)، وكان يتقدم خلال المراحل الخاصة بكياننا البشرى – فالمسيح كطفل صغير تماما قبل غذاء طفل مولود حديثا أعنى زبدا ولبنا. وهكذا إذ تقدم إلى البلوغ لم يتجنب المسيح أى شئ يتعلق بتلك المرحلة من الحياة بل كان نموذجا [3] للسلوك الحسن [4] فى تلك المرحلة.

---

(1) Μετοχία
(2) Κοινωτια
(3) Τυπος
(4) Ετταζια

فوظيفة حداثة المسيح هى أن تقودنا إلى حال أفضل عن طريق ماهو أكثر كمالا. من أجل هذا كان يسوع طفل الثانية عشرة من عمره خاضعا لأمه، لقد أظهر لنا المسيح ما يتم خلال التقدم رغم أنه كان كاملا فعلا. لقد إتخذ بحق الخضوع كوسيلة للخير. فإنه وهو الكامل فى كل خير بل ولم يكن قابلا لأن يبدى أ ى نقص من أجل أن طبيعته مكتفية بذاتها ولا يمكن أن تتناقص – خضع لسبب لا يستطيع الأشخاص غير المفكرين التعبير عنه. لقد إصطحب [1] المسيح طبيعتنا البشرية معه واختبر مرحلة الطفولة التى فيها أكمل الطاعة (أى الخضوع) الخاص بتلك المرحلة من العمر. فمن الجلى أن المسيح تقدم من تلك الحالة إلى سن كامل حينما لم يعد بعد يعتمد على سلطة أم.

خضوع الإبن مرحلة مؤقتة فقط :

لقد ألزمته أمه أن يظهر قوته فى قانا الجليل حينما كانت هناك حاجة إلى الخمر فى وليمة العرس، وكان الخمر مطلوبا للإحتفال. وهو لم يرفض طلب أولئك المحتاجين، ولكنه رفض سؤال أمه لأنه لم يكن مناسبا لمرحلته [2] من العمر آنئذ. لقد قال لأمه : «مالى وللك يا امرأة» (يو ٢ : ٤)! هل تريدين أن تكون لك السلطة علىَ الآن فى هذه المرحلة من حياتى؟ ألم تأت ساعتى بعد التى يظهر فيها أن لى عقلا وإرادة حرة خاصة بى؟ فإن كان حينئذ يهتز المقياس العادل للخضوع لآبائنا حسب الجسد فى هذه الحياة – لأن هذا الخضوع له وجود فى كياننا الحاضر – فلا يستطيع أحد (بعد) أن يأمر المسيح الذى ربوبيته دائمة إلى الأبد – لأن الحياة الإلهية والمباركة هى خاصته وهى قائمة فيه دائما ولا تقبل قط أى تحول ناتج عن أى تغيير.

فمن حيث أن (الابن) الواحد مع الآب فى الجوهر منذ البدء، بعيد عن أى انحراف وتغيير، فكيف يمكن لما هو ليس حقيقيا الآن أن يوجد فيما بعد؟ لأن الرسول لا يقول أن الابن خاضع دائما، بل إنه سيخضع فى النهاية الأخيره لكل الأشياء. فإن كان يقال إن

---

(1) Συναπτρεφω

(2) Καιρος

الخضوع خير وهو جدير بالله فكيف يمكن أن يكون هذا الخير بعيدا عن الله؟ فالخير إنما هو فى كلا الأقنومين بالتساوى - فى الإبن الذى خضع وفى الآب الذى يقبل خضوع ابنه. مثل هذا الخضوع ناقص بالنسبة لكل من الآب والإبن فى الوقت الحاضر. فما ليس للآب قبل كل الدهور، وما ليس للابن أيضا- سيكون هذا الخير فى ملء الزمان حاضرا فى كل من الآب والإبن، ونعنى به حقيقة خضوع (الإبن للآب)، ومن ناحية أخرى، فسوف تكون هناك إضافة خاصة وزيادة فى مجد الله الخاص، الأمر غير الموجود حاليا، فكيف يمكن أن ينسب هذا لما هو غير متغير؟ إن ما سيكون موجودا فيما بعد، ولكن ليس موجودا الآن، يشير إلى الطبيعة البشرية المتقلبة، فإن كان الخضوع خيرا، فالخير الآن يشتمل على الإيمان بالله، وإن كان مثل هذا الخير جديرا بالله، فلا يمكن أن يوجد الآن ولا فى المستقبل، ومع ذلك، فالرسول ينادى بأن الابن عليه أن يخضع وهو ليس كذلك فى الوقت الحاضر.

فى خضوع الإبن إبادة للشر والموت :

يمكننا الآن أن نفهم تعبير الخضوع بعيداً عن أية إنحرافات هرطوقية، وبمقارنة هذا النص من كلمات بولس ببقية الفصل الوارد فيه الحديث عن قيامة الأموات (١ كو ١٥ كله) نرى الرسول يقدم لنا برهانا قويا على أن الله سوف يقيم أجسادنا المائتة فى جسد عام كونى بقيامته الخاصة من الأموات وهذا هو سر القيامة الذى يترجاه جميع المؤمنين ويصلون لأجله.

الرسول يعلمنا أن الشر سوف يأتى إلى العدم ويباد كلية. وخيرية الله النقية الإلهية سوف تحتوى فى ذاتها كل طبيعة موهوبة فعلا، ولن يستثنى أى شئ خلقه الله من ملكوته حالما يحترق، بواسطة التطهير بالنار، كل شئ يكون مختلطا ببعض عناصر مادته الدنيئه. فمثل هذه الأشياء تستمد أصلها من الله، وما خلق من البدء لم يكن فيه شر، ويقول بولس إن اللاهوت الطاهر غير الدنس الذى (للإبن) الواحد مع الآب فى الجوهر، أخذ طبيعة الإنسان البشرية الفاسدة، ومع ذلك، فمن كليّة الطبيعة البشرية التى اختلط بها اللاهوت فإن

الإنسان المتكون مثل المسيح إنما هو نوع من الباكورة التى للعجين كله، وعن طريق هذا الإنسان الذى يشترك فى الطبيعة الإلهية سيشترك كل الجنس البشرى باللاهوت [1]

نتيجة خضوع الإبن المتأله والاقتداء بالباكورة :

وحيث أنه لا يوجد أى شر فى المسيح – لأنه لم يفعل خطية – إذ يقول عنه النبى : «ولم يوجد فى فمه غش» (أش ٥٣ : ٩) فقد باد الشر مع الخطية، كما أيضا الموت الذى نتج عنهما، لأن الموت ماهو إلا نتيجة للخطية. لقد أخذ المسيح على عاتقه من الموت كلا من بداية هدم الشر وكذا إبادة الموت، فالأمر إذن يبدو كما لو كان قد أضيف بالتالى بترتيب خاص. إن نقص الخير ينتج دائما من الانحراف عن مصدره، بينما إن الخير قريب منا بقدر ما نبقيه فى تقديرنا واستطاعتنا، وهكذا فكل فعل يؤدى بنا إلى نتيجة ما تتبعه، على ذلك فالإنسان فى المسيح، الذى أصبح باكورة طبيعتنا البشرية، بعد ما يقبل فى نفسه شركة الطبيعة الإلهية يصبح باكورة أولئك الذين رقدوا وبكراً من الأموات، طالما أن طلقات الموت قد انحلت عنه. إذن فبعد ما ينفصل هذا الإنسان كلية عن الخطية وينكر فى نفسه تماما قوة الموت ويحطم سيطرته وسلطانه وقوته.... إن أمكن أن يوجد أى واحد مثل بولس الذى صار متمثلا قديرا بالمسيح فى رفضه الشر... مثل هذا الإنسان سيكون مركزه تاليا للباكورة فى مجئ المسيح [2] مثل تيموثاوس الذى كان يقتدى قدر إستطاعته بمعلمه... فالنمو فى الخير يكمل فى إبادة الشر .... إن غاية رجائنا هو ألا ندع فينا شيئا مخالفا للخير، بل أن تتخلل الحياة الإلهية جميع الأمور. إنها تحطم الموت بالتمام، إذ قد أزالت فيما سبق الخطية حتى يقال إنها سادت على كل الجنس البشرى. وعلى ذلك فكل سيطرة رديئة وكل سيادة غريبة علينا قد إنمحت، ولن تسود فيما بعد أية شهوة رديئة من شهواتنا على طبيعتنا (البشرية)، وحيث أنه لن تسود ولا واحدة منها بالضرورة، فالكل سيخضع للواحد الذى يسود على الكل. **الخضوع لله هو التغرب الكامل عن الشر**. فحينما نبتعد

---

(1) Θιοτ Δπαρχι Ϯιστοτ νοτ Φπραματος

(2) Παροτβία

عن الشر إقتداء بالمسيح الباكورة، تختلط طبيعتنا كلها بنفس هذه الباكورة، ويتكون جسد واحد بالخير كعنصر سائد، وتتحد طبيعة جسدنا كلها بالطبيعة الإلهية النقية. هذا هو ما نعنية بخضوع الابن- حينما خضع المسيح بحق فى جسده، وهو يكمل فينا نعمة الخضوع.

وفى كلمات بولس الخاصة بخضوع الابن (١ كو ١٥ : ٢٢ - ٢٨) يتكلم الرسول بوضوح : عن عدم وجود [1] الشر بتقرير أن الله حال فى جميع الأشياء وحاضر فى كلّ منها، وواضح أن الله يوجد حقا فى جميع الأشياء حينما لا يوجد فيها شر. لأنه ليس من خواص الله أن يوجد فى الشر، وعلى ذلك فهل لن يوجد الله فى كل شئ طالما أنه يوجد فيها بعض الشر، وإن كان يلزم أن نؤمن حقا بأن الله موجود فى كل شئ، فحينئذ لا يمكن أن يرى الشر موجودا باستمرار مع الإيمان، لأن الله لا يمكن أن يكون موجودا فى الشر، ومع ذلك، فمن أجل أن يكون الله موجودا فى جميع الأشياء، يظهر بولس أنه، وهو رجاء حياتنا، أنه بسيط ومتناسق. ولا يمكن فيما بعد أن يقارن الآن وجودنا الجديد بالنماذج العديدة المتنوعة التى لهذه الحياة الحاضرة. إن بولس يظهر بكلمات النص السابق أن الله يصبح كل شئ بالنسبة لنا. إنه يظهر فى صورة ضروريات حياتنا الحاضرة، أو كنماذج للمشاركة فى الألوهية. **وعلى ذلك فمن أجل أن يكون الله طعامنا يلزم أن نفهمه على أنه يؤكل، وهكذا أيضا بالنسبة للشراب والملبس والمأوى والهواء وألوان والثروة والتمتع والجمال والصحة والقوة والفن والمجد والطوباوية** وأى شئ آخر يعتبر خيرا مما تحتاجه طبيعتنا البشرية. مثل هذه الكلمات تعنى ماهو خاص بالله.

وعلى ذلك فنحن نتعلم من الأمثلة المذكورة سابقا إن الإنسان فى الله له كل شئ مما لله نفسه، **وأن نملك الله لا يعنى شيئا آخر سوى أن نتحد به. فالوحدة إذن هى أن نصير جسدا واحدا معه** كما يقرر بولس، لأن جميع الذين يقتربون بجسد المسيح الواحد بالمشاركة يكونون واحدا معه. حينما يتخلل الخير كل شئ، حينئذ سيخضع عموم جسد المسيح بقوة الله المحيية.

---

(1) Ἀντιφάσεις

خضوع الابن يقتضى خضوع الجسد العام المتحد به :

وهكذا فخضوع هذا الجسد سيقال إنه خضوع الإبن نفسه باعتباره متحداً بجسده الخاص أى الكنيسة. وفيما يتعلق بهذه النقطة، يقول بولس لأهل كولوسى : «الآن أفرح فى آلامى لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة، التى صرت أنا خادما لها حسب تدبير نعمة اللة» (كو ١ : ٢٤)، و ويقول بولس فى رسالته إلى كورنثوس» وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادا » (١ كو ١٢ : ٢٧)، ويقدم بولس هذا التعليم بأكثر وضوح إلى أهل أفسس حينما يقول : بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح الذى منه كل الجسد مركبا معاً ومقترنا بمؤازرة كل مفصل حسب عمل قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة» (أف ٤ : ١٥ - ١٦).

فالمسيح يبنى نفسه إلى الأبد بواسطة أولئك الذين يقرنون أنفسهم به بالإيمان. إن الإنسان يكف عن أن يبنى نفسه حينما يبلغ نمو وتكميل جسده إلى قامته الخاصة. وحينئذ لا يحتاج فيما بعد إلى أى شئ يضاف إلى جسده بالبناء، حيث أنه يكون قد بنى تماما على أساس الأنبياء والرسل. فحينما يزداد الإيمان يقول الرسول : إلى أن ننتهى جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤ : ١٣)... الخضوع لله هو خيرنا الأساسى حينما تترنم كل الخليقة كما بصوت واحد حينما يجثو له كل شئ ما فى السماء وما على الأرض وما تحت الأرض وحينما يعترف كل لسان بأن يسوع المسيح رب» (فى ٢ : ١٠). حينئذ حينما تصبح كل الخليقة جسدا واحداً وتقترن بالمسيح عن طريق الطاعة بعضها لبعض، سيخضع جسده الخاص للآب.

فليت ما قيل هنا لا يبدو غريبا لأى أحد، لأننا ننسب للنفس وسيلة معينة فى التعبير خاصة بالجسد. فما نقرأه ويتعلق بخصوبة الأرض يمكن أيضا أن ينطبق على نفس كل واحد الخاصة : «كلى وأشربى وافرحى» (لو ١٢ : ١٩) .هذه العبارة يمكن أن تشير إلى امتلاء النفس وهكذا فخضوع الكنسية يقدم إليه الذى هو ساكن فى النفس وحيث أن كل

شئ مخلوق إنما يعتمد عليه، لذا فإن الخلاص يفسر عن طريق الخضوع كما يوحى إلينا سفر المزامير، ونتيجة لذلك فنحن نتعلم أن الإيمان يعنى ألا نكون بعيدين عن أولئك المخلصين وهذا نتعلمه من الرسول بولس.

بولس يعنى بخضوع الإبن إبادة الموت. وعلى ذلك فحيثما لا يكون الموت موجودا وحينما يتغير كل شئ إلى الحياة يأتى المسيح بجسده الكلى إلى الآب حينما يسلم الملك لإلهنا وأبينا. جسد المسيح يتكون من الطبيعة البشرية فى كليتها، والتى اتحد هو بها، ولهذا فبولس يدعو المسنيح الرب باعتباره وسيطا بين الله والإنسان (١ تى ٢ : ٥). فمن هو فى الآب وقد عاش مع الناس يستطيع أن يكمل الشفاعة فيهم. المسيح يوحد كل الجنس البشرى بنفسه، وبالآب كما يقول الإنجيل : «ليكونوا هم أيضا واحداً فينا» (يو ١٧ : ٢١)، فهو قد وحد نفسه بنا وهو الذى وهو فى الآب يكمل وحدتنا مع هذا الآب نفسه.

خضوع الإبن هو أن نتمجد فيه بالروح القدس :

وأنا أعتقد أن مجد المسيح الخاص الذى أعطاه لنا (يو ١٧ : ٢٢) المقصود به هو الروح القدس الذى أعطى لتلاميذه حينما نفخ فى وجوههم، لأن ما قد توزع لا يمكن بالأولى أن يتجمع إلا حينما يقترن معا بوحدة الروح القدس : «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك ليس له» (رو ٨ : ٩)، الروح هو المجد كما يقول المسيح عن الآب (يو ١٧ : ٥)... وتتضح هذه النعمة التى للوحدانية بأكثر جلاء من الكلمات التالية : «وأنا أحببتهم كما أحببتنى» (يو ١٧ : ٢٣) خضوع الإبن لأبيه يعنى أنه يعرف طبيعتنا البشرية كلها وأنه قد صار خلاصها...

وحينما يصبح جميع الأعداء تحت موطئ قدميه، سوف يقبلون سمة الألوهية فى أنفسهم. وحالما يكون الموت قد أبيد - لأنه إن لم يكن هناك أناس سيموتون، فحتى الموت لن يوجد بعد- حينئذ سيخضع له - ومع ذلك فخضوعنا قوامه ملكوت وعدم فساد وحياة طوباوية فينا، وهذا هو ما يعنيه بولس بالخضوع لله. والمسيح يكمل فينا خيره بنفسه. ويتمم فينا ما يرضيه.

كلية الطهر

العـذراء مـريم

القديسة فى كل شـئ

للأب فلاديمير لوسكى (*)

تمهيد :

الكنيسة الأرثوذكسية لا تجعل من علم المريميات Mariology موضوعا عقائديا مستقلا بذاتة، بل يظل متكاملا مع مجموع التعليم المسيحى كحقيقة أنثروبولوجية ثابتة والإعتقاد بوالدة الإله بإعتباره قائم على أساس Christology، متأثر كثيرا بالتعليم عن الروح االقدس Pneumatology ومن خلال التدبير المزدوج الخاص بالإبن والروح القدس نجده يرتبط بشدة بحقيقة التعليم عن الكنيسة Ecclesiology .

وفى الحقيقة، نحن إن كنا نحصر أنفسنا فى حدود المعطيات العقائدية بالمعنى المحدد للكلمة، وإن كنا نعالج فقط معتقدات أقرتها المجامع المسكونية، فإننا لن نجد شيئا سوى تعبير ثيؤطوكوس (Θεοτοκος)، والذى أكدت به الكنيسة على توقير الأمومة الإلهية للقديسة مريم (١) . والإصرار العقيدى على إصطلاح الثيؤطوكوس. كما تأكد ضد نسطور، إنما هو قائم فوق كل شئ على أساس التعليم بالمسيح. والأمر الذى ندافع عنه ضد تجار الكلام بشـأن موضوع الأمومة الإلهية هو الاتحـاد الأقنـومى الذى لابن الله الذى

(*) In the image and likness of god , by vladimer lossky ch .11 Panagia.

(١) إن تعبير دائمةالبتولية «Αειπαρθενος» الذى يرد فى قوانين المجامع المسكونية، لم يوضح قط بصورة دقيقة بواسطة المجامع التى استعملته.

صار إبنـا للبشر.

وإن كان الحديث هنا يتركز مباشرة على التعليم بالمسيح إلا أن هناك فى نفس الوقت تأكيد على تكريم الكنيسة لتلك التى ولدت الله حسب الجسد، حتى أنه ليقال إن جميع أولئك الذين يقاومون تعبير الثيؤطوكوس، وجميع من يرفضون قبول ما يعطى لمريم من إكرام، ليسوا مسيحيين حقا، لأنهم يقاومون التعليم الحقيقى الخاص بتجسد الكلمة. وهذا يظهر العلاقة الوثيقة التى بين العقيدة والعبادة والتى لا يمكن فصلها فى ضمير الكنيسة.

ومع ذلك فنحن نعرف أمثلة من المسيحيين الذين يترفعون عن كل التكريم الخاص بوالدة الإله بينما هم يقرون لأسباب خالصة تتعلق بالتعليم عن المسيح، الأمومة الإلهية لوالدة الإله لنفس الأسباب، راغبين فى ألا يعرفوا وسيطا آخر بين الله والناس إلا الإله المتأنس يسوع المسيح. وهذا يكفى ليشير إلى أن الاعتقاد بالثيؤطوكوس على أساس التعليم بالمسيح حينما نأخذه فى حد ذاته، بدون العلاقة الحيوية بينه وبين التطويب الذى تقدمه الكنيسة لوالدة الإله، لا يكون كافيا ليبرر المركز الفريد، فوق جميع الخلائق، المخصص لملكة السمائيين والتى تعطيها الليتورجية الأرثوذكسية التمجيد الخاص بالله (Θεοπρεπις δοξα). إذن فليس من الممكن أن نفصل المعطيات العقيدية بالمعنى الضيق عن مدلولات عبادات الكنيسة فى العرض اللاهوتى الخاص بوالدة الإله. فالعقيدة هنا يمكن أن تلقى ضوءاً على العبادة. إذ تجعلها على إتصال بالحقائق الأساسية لإيماننا، فى الوقت الذى فيه ينبغى أن تغنى العبادة العقيدة بخبرة الكنيسة الحية.

التقليد يمجد والدة الإله :

ونجد أنفسنا فى موقف مشابه فيما يتعلق بالمدلولات الروحية. فلو أردنا أن نقيم اعتبارا للحقيقة الكتابية منفصلة عن الصلوات الكنسية الخاصة بوالدة الإله، نكون ملزمين بأن نحصر أنفسنا فى الفصول القليلة المتعلقة بمريم أم يسوع وفى المرجع الوحيد المباشر فى العهد القديم أى النبوة عن الميلاد البتولى للمسيا فى إشعيا. ولكن إن نظرنا إلى الكتاب المقدس بمنظار العبادة الكنسية – أو بتعبير أصح أخيرا – فى تقليد الكنيسة، فالأسفار

الإلهية التى للعهدين القديم والجديد حينئذ سوف تمدنا بالعديد من النصوص المستعملة بواسطة الكنيسة لتمجيد والدة الإله.

وخارجا عن التقليد تبدو بعض نصوص الأناجيل متعارضة تماما مع هذا التمجيد الكثير والتوقير الفائق لوالدة الإله. ولنضرب لذلك مثلين : فحينما كان المسيح يشهد للمعمدان بأنه أعظم مواليد النساء (مت ١١ : ١١ ، لو ٧ : ٢٨)، فإنه قد اختصه هو لا مريم بأسمى مركز بين الكائنات البشرية، وحقا نجد فى تقليد الكنيسة المعمدان مع مريم والدة الإله على جانبى الرب فى الأيقونات.

ولكن الكنيسة لم تعلّ قط القديس يوحنا السابق الصابغ فوق السارافيم، ولا وضعت قط أيقونته على قدم المساواة مع أيقونة المسيح على يمين مدخل الهيكل كما فى حالة أيقونة والدة الإله.

وفى فصل آخر نرى الرب يسوع يعارض تطويب أمه علانية ويجيب على صيحة المرأة التى صرخت وسط الجمع «طوبى للبطن الذى حملك والثديين الذين رضعتهما» بقوله : «بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها» (لو ١١ : ٢٧ - ٢٨)، ولكنه هذا الفصل بالتحديد من إنجيل لوقا الذى يبدو فيه تقليل قيمة مريم فى اللاهوت الكنسى بالمقارنة مع أولئك الذين يقبلون ويحفظون الإستعلان الإلهى، هو الذى تقرأه الكنيسة فى أعياد والدة الإله، كما لو كان **يخفى تحت صورته السلبية الظاهرة قدرا أعظم من المديح.**

ومرة أخرى نحس بإستحالة فصل العقيدة عن حياة الكنيسة، والأسفار المقدسة عن التقليد. فالتعليم عن المسيح يلزمنا بأن نعترف بالأمومة الإلهية للعذراء، والحقيقة الكتابية تعلمنا إن مجد والدة الإله لا يقوم فقط على أمومتها الجسدية، حيث أنها ولدت وأرضعت الكلمة المتجسد، ففى الحقيقة إن تقليد الكنيسة، أى الذاكرة المقدسة لأولئك الذين «يسمعون ويحفظون» كلمات الإستعلان يعطى الكنيسة الضمانة التى بها تعلى والدة الإله، إذ تنسب لها مجدا لانهائيا. لهذا فإن الجماعات الكنسية التى ترفض فكرة التقليد نجدها أيضا بعيدة عن توقير والدة الإله.

والعلاقة الوثيقة بين التقليد وكل ما يتعلق بوالدة الإله ليس ببساطة راجعا إلى أن أحداث حياتها الأرضية – مثل ميلادها وتقديمها للهيكل وصعود جسدها - يحتفل بها فى الكنيسة دون أن تذكر فى الكتاب المقدس. فإن كان الإنجيل يصمت عن هذه الحقائق وإن كان توضيحها فى صورة شعرية يرجع إلي كتب أبوكريفا من عهد متأخر، فلا يزال الموضوع الأساسى الذى تشير إليه يتعلق بسر إيماننا ولا يمكن أن يؤخذ بعيداً عن وعى الكنيسة، وفى الحقيقة إن فكرة التقليد إنما هى أغنى مما نظن ، فالتقليد لا يتكون فقط من منقولات شفهية للحقائق الجديرة بأن تلحق بالقصص الكتابية ، بل إنه مكمل للكتاب المقدس، وفوق كل شىء، إنه تكميل للعهد القديم فى الجديد ، إذ تصبح الكنيسة واعية له.أنه التقليد الذى ينقل إدراك معنى الحقيقة المعلنة (لو ٢٤) . **التقليد يخبرنا ليس فقط بما ينبغى أن نسمعه، بل بما هو أهم من ذلك، كيف يجب أن نحفظ ما نسمعه.**

وبهذا المعنى العام، يتضمن التقليد عملية مستمرة للروح القدس، الذى يمكن أن يحدث كل إنسكابه ويمكن أن يحمل أثماره فقط فى الكنيسة، بعد يوم البنطيقستى. إننا نجد أنفسنا فقط فى الكنيسة جديرين بتتبع العلاقات الداخلية بين النصوص المقدسة التى تجعل العهد القديم والجديد جسدا واحدا حيا للحق، يكون المسيح فيه حاضرا فى كل كلمة. إنه فقط فى الكنيسة لا تكون البذور المزروعة بالكلمة عقيمة، بل تأتى بأثماره، وهذا الإثمار الذى للحق، كما أيضا القوة التى تجعلها تحمل ثمرا، يسمى تقليدا. **إن تكريم الكنيسة «غير المحدود لوالدة الإله، قد يبدو إذا نظرنا إليه من الخارج، متعارضا مع معطيات الكتاب المقدس بينما هو منتشر فى طول وعرض التقليد الكنسى بل إنه أشهى ثمراته.**

ولكن تكريم والدة الإله ليس فقط ثمرة التقليد، بل إنه أيضا بذرة وأصل التقليد. ونستطيع أن نجد علاقة وثيقة بين شخص والدة الإله وبين ما نسميه تقليد الكنيسة. دعنا نحاول ونحن نوضح هذه العلاقة، أن نرى مجد والدة الإله تحت ستار صمت الأسفار الإلهية، وذلك عن طريق فحص العلاقة الداخلية بين النصوص.

وفى الفصل المقابل للنص المذكور آنفا والمقتبس للتو، يرينا القديس لوقا الرب يسوع رافضا أن يرى أمه وإخوته ومعلنا أن : «أمى وإخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» (لو ٨ : ١٩ - ٢١).

والمعنى واضح : ففى الوقت الذى فيه تريد والدة الإله أن ترى ابنها، كان قد إنتهى للتو من مثل الزارع [٢] . وكما أنه فى الأرض الجيدة، الذين يسمعون الكلمة يحفظونها فى قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر... كذلك فإن من له أذنان للسمع فليسمع... فانظر إذن كيف تسمع أنت الآن، لأن من له سيعطى ويزاد والذى ليس له فالذى عنده سوف يؤخذ منه». (لو ٨ : ٨، ١٥، ١٨).

فالآن إنها بالتحديد هذه المَلكة التى لحفظ الكلمات المسموعة الخاصة بالمسيح فى قلب جيد صالح - وهى المَلكة التى يرفعها المسيح أكثر من حقيقة الأمومة الجسدية (لو ١١ : ٢٨) - وهى التى لا ينسبها الإنجيل إلا لأم الرب. ويصر عليها القديس لوقا إذ أنه يذكرها مرتين فى روايته عن مرحلة الطفولية : «أما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها» (لو ٢ : ١٩، ٥١). فالتى ولدت المسيح بالجسد حفظت فى ذاكرتها كل الشهادات عن ألوهية ابنها. ونستطيع القول أن لدينا هنا تشخيصا لتقليد الكنيسة، إن لم يكن القديس لوقا قد حرص على أن يخبرنا بأن مريم ويوسف لم يفهما قول الصبى بأنه ينبغى أن يكون فيما لأبيه (لو ٢ : ٤٩ - ٥٠). **ويمكننا إذن أن نربط بين والدة الإله وهى تحفظ وتجمع الأقوال النبوية، والكنيسة حارسه التقليد. فالواحدة بذرة الأخرى. والكنيسة فقط، كمال بشرية المسيح، هى الجديرة بأن تحفظ كمال الإستعلان الذى إن كتب عنه فالعالم نفسه لا يسع الكتب المكتوبة.** فقط والدة الإله التى اختيرت لتحمل الله فى أحشائها إستطاعت تماما أن تحقق فى ضميرها كل مضمون تجسد الكلمة بما فى ذلك حقيقة أمومتها الإلهية.

---

(٢) فى بشارة القديس متى (١٣ : ٢٣) والقديس مرقس (٤ : ١ - ٢٠) يأتى بعد مثل الزارع مباشرة موضوع والدة الرب وإخوته والعلاقة هنا أيضا واضحة.

أقوال المسيح هذه التى تبدو صعبة هكذا لأمه إنما هى أقوال ترفع من قيمتها التى نشترك فيها مع أبناء الكنيسة. ولكن بينما هم يستطيعون فقط، كحراس للتقليد أن يصبحوا واعين للحق وأن يجعلوه مثمرا فى أنفسهم إلى حد كبير أو صغير، فإن والدة الإله، بفضل علاقتها الفريدة بين شخصها والله، الذى يمكن أن تدعوه ابنها، تستطيع فقط أن ترقى من هنا على الأرض إلى وعى كامل لكل ما يقوله الروح القدس للكنيسة، محققة هذا الملء فى شخصها الخاص. ولكن هذا الوعى الكامل لله، وهذا الاكتساب لملء النعمة الخاص بالدهر الآتى، يمكن فقط أن يحدث لكائن حى يشترك فى الطبيعة الإلهية. وهذا يضع أمامنا تساؤلا آخر، سنحاول الإجابة عليه حتى يمكن أن نفهم أكثر السمة الخاصة لتكريم الأرثوذكسية للملكة العالية التى للسمائيين.

قداسة مريم الفائقة :

حينما شهد المسيح للقديس يوحنا المعمدان دعاه أعظم مواليد النساء (مت ١١ : ١١، لو ٧ : ٢٨)، ولكنه أضاف «ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه. فقداسة العهد القديم هنا تقابل بالقداسة التى يمكن أن تتحقق حينما أكمل عمل المسيح الفدائى وحينما ملأ الآب الكنيسة بالروح القدس حسب موعد الآب (أع ١ : ٤). والقديس يوحنا المعمدان، برغم أنه أكثر من نبى» لأنه عمد الرب ورأى السموات مفتوحة والروح مثل حمامة نازلا على ابن الإنسان، مات دون أن يقبل الموعد، مثل جميع الآخرين الذين شهد لهم بالإيمان «الذين لم يكن العالم مستحقا لهم» والذين تبعا للقصد الإلهى قيل عنهم : «لكى لا يكملوا بدوننا» (عب ١١ : ٣٨ - ٤٠)، أى بدون كنيسة المسيح، **إنه فقط من خلال الكنيسة يمكن أن تقبل قداسة العهد القديم كمالها فى الدهر الآتى، كمالاً لم يكن ممكنا للبشرية قبل المسيح .**

ولا مراء فى أن تلك التى اختيرت لتكون والدة الإله تمثل قمة قداسة العهد القديم، فإن كان القديس يوحنا المعمدان يدعى «أعظم جميع الذين كانوا قبل المسيح، فلأن عظمة كلية القداسة والدة الإله لا تخص فقط العهد القديم، حيث كانت مختفية ولم

تظهر، بل أيضا الكنيسة، التى حققت فيها ملئها وصارت ظاهرة، لكيما تمجدها جميع الأجيال (لو ١ : ٤٨). شخصية القديس يوحنا المعمدان تظل فى نطاق العهد القديم، أما فائقة الطهر العذراء فتعبر من القديم إلى الجديد، وهذا العبور فى شخص والدة الإله، يرينا كيف أن العهد الجديد هو تكميل للقديم.

وليس العهد القديم مجرد مجموعة من الرموز المسبقة عن المسيح، تنكشف دلالاتها بمجئ الأخبار السارة، بل أنه فوق كل شئ تاريخ إعداد البشرية لمجئ المسيح، وهى القصة التى تمتحن فيها الحرية البشرية دائما بواسطة إرادة الله. إن طاعة نوح وذبيحة إبراهيم، وخروج شعب الله عبر البرية بقيادة موسى، والناموس والأنبياء، إنما هى مجموعة إنتخابات إلهية، ظلت فيها الكائنات البشرية أحيانا أمينة للوعد الذى أعطى لها، وفشلت أحيانا أخرى وعانت العقوبات (مثل الأسر، وخراب الهيكل الأول) **إن كل التقليد اليهودى المقدس هو تاريخ الرحلة البطيئة والمضنية التى للبشرية الساقطة نحو «ملء الزمان»**، حينما أرسل الملاك ليبشر العذراء المختارة بتجسد الله ويسمع من شفتيها الموافقة البشرية حتى ما تكمل الخطة الإلهية للخلاص. وهكذا كما يقول القديس يوحنا الدمشقى: **«إن اسم والدة الإله يتضمن كل تاريخ التدبير الإلهى لهذا العالم»** (٣).

هذا التدبير الإلهى الذى يهيئ الظروف البشرية لتجسد ابن الله، ليس من طرف واحد : فالأمر لا يتعلق بإرادة إلهية تصنع طبقات من تاريخ البشرية. فى هذا التدبير الخلاصى، تحورت حكمة الله عبر العصور لتلائم تقلبات إرادات البشر، لتلائم الاستجابات المختلفة للناس للمطالب الإلهية. وهكذا فإنه من خلال أجيال أبرار العهد القديم «الحكمة بنت بيتها» : أى بنت طبيعة كلية الطهر القديسة مريم العذراء التى سيصبح كلمة الله مشتركاً معنا فيها. إن إجابة مريم لبشارة الملاك : «هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك» (لو ١ : ٣٨) إنما تنطوى على الحل لمأساة البشرية الساقطة. فكل ما يتطلبه الله من الحرية البشرية منذ السقوط قد أكمل، والآن يمكن أن يجرى عمل الفداء الذى

---

(3) Defide Orthodoxa III. /2; p. G . 94 cols . 1029 - 32

يستطيع أن يكمله فقط الكلمة المتجسد. لقد قال نيكولاس كاباسلاس، فى عظته على البشارة : «لم يكن التجسد فقط من عمل الآب وقونه وروحه، بل كان أيضا من عمل إرادة وإيمان العذراء. فلولا موافقة كلية الطهر ومعاونة إيمانها، لكان التصميم غير قابل للتحقيق كما لو كان بدون تدخل الثلاثة أقانيم الإلهية ذاتها.

فإنه بعد تعليمها وتشجيعها إتخذها الله أما له وقبل منها جسداً أرادت هى أن تقدمه له. وتماما إنه صار طواعية متجسدا، هكذا أراد أن تحمله أمه بحريتها. بكل موافقتها الحرة الخاصة (٤).

وابتداء من القديس يوستينوس والقديس إيرينئيوس درج الآباء على توجيه النظر إلى المقابلة بين حواء والعذراء مريم، فإنه بعصيان الأولى دخل الموت إلى البشرية وبطاعة الثانية صار معطى الحياة بشرا ودخل إلى عائلة آدم (٥). **وبين حواء والعذراء القديسه مريم يكمن كل تاريخ العهد القديم**، الماضى الذى لا يمكن أن تنفصل عنه تلك : التى صارت والدة الإله. فإن كانت قد اختيرت لتحتل مركزا فريدا فى عمل التجسد، فهذا الاختيار قد تبع وتضمن مجموعة كاملة من المختارات الأخريات اللائى أعددن لها الطريق. وليس من فراغ أن تتلو الكنيسة الأثوذكسية فى ليتورجيتها نصوصا تدعو فيها داود بأنه «جد المسيح»، وأنها تطلق نفس التعبير : «أجداد المسيح القديسين والأبرار» على يواقيم وحنة (٦). إن التعليم الرومانى الغربى عن الحبل بلا دنس يبدو أنه يكسر هذا التسلسل المستمر الذى لقداسة العهد القديم الذى يبلغ إلى كماله فى لحظة البشارة، حينما نزل الروح القدس على العذراء ليؤهلها لتقبل كلمة الآب فى أحشائها.

الكنيسة الأرثوذكسية لا تقبل فكرة إن القديسة العذراء كانت هكذا معصومة من جملة

---

(4) Ed . M. Jugi , patroiogia Orientalis 19.2.

(٥) (من أجل حواء أغلق باب الفردوس ومن قبل مريم العذراء فتح لنا مرة أخرى) ثيئوطوكية الخميس، القطعة الثانية (بالإبصلمودية المقدسة) تعليق للمترجم.

(٦) سنكسار ٧ برموده.

باقى البشرية الساقطة بمقتضى فكرة امتياز يجعلها إنسانة مفدية بل عملية الفداء تتم بفضل إستحقاقات إبنها المستقبلية. إننا نكرم والدة الإله أكثر من أى مخلوق آخر ليس عن إمتياز قبلته فى لحظة الحبل بها من والديها، بل أنها كانت طاهرة ونقية من كل خطية (لما حل الروح القدس عليها إعداد للتجسد)، ولكن هذه القداسة لا تضعها خارج نطاق البرية قبل المسيح. إنها لم تكن فى لحظة البشارة، فى حالة مشابهة لحواء قبل السقوط. فحواء الأولى «أم كل حى»، أمالت أذنها لكلمات المخادع وهى فى حالة الفردوس، فى حالة البشرية البريئة (قبل السقوط). وحواء الثانية التى اختيرت لتصبح والدة الإله – سمعت وأدركت الكلمة الملائكية وهى فى حالة البشرية بعد السقوط..

هذا هو السبب الذى لأجله لا يجعلها الاختيار الفريد منفصلة عن باقى البشرية، عن جميع آبائها وأمهاتها وإخوتها القديسين أو الخطاة الذين تمثل هى أفخر أعضائهم.

وكسائر الكائنات البشرية، مثل يوحنا المعمدان، الذى يعتبر الحبل به وميلاده، أيضا أعيادا لدى الكنيسة، ولدت القديسة العذراء تحت ناموس الخطية الأصلية، مشتركة مع الجميع فى المسئولية العامة للسقوط. ولكن ما أمكن للخطية أن تصير كيانها فى شخصها، **فميراث السقوط الخاطئ ليس له سيادة على إرادتها الصالحه. هنا كانت قمة القداسة التى يمكن أن يبلغ إليها أحد من ذرية آدم قبل المسيح**، وفى ظروف العهد القديم، لقد كانت بلا خطية فى وقت السيادة الشاملة للخطية، كانت نقية من أى إغراء وسط أناس مستعبدين بواسطة رئيس هذا العالم. إنها لم توضع فوق التاريخ حتى ما تخدم قضاء إلهيا خاصا، بل حققت دعوتها الفريدة وهى بعد تحت قيود التاريخ، مشتركة فى المصير العام لكل الناس المنتظرين الخلاص. ونحن إن كنا نرى فى شخص والدة الإله قمة قداسة العهد القديم، فإن قداستها الشخصية ليست محددة بها، لأنها تجاوزت بالمثل القمم العالية التى للعهد الجديد محققة أعلى قداسة يمكن أن تبلغ إليها الكنيسة.

لقد أخذت حواء الأولى من آدم، وكانت حينما خلقها الله إنسانة إتخذت طبيعة آدم لتكون له، ونجد علاقة معكوسة فى حالة حواء الجديدة : فمن خلالها صار ابن الله آدم

الأخير حينما إتخذ الطبيعة البشرية. لقد كان آدم قبل حواء، أما آدم الثانى فكان بعد حواء الجديدة. ومع ذلك فلا نستطيع القول إن البشرية التى إتخذها المسيح فى رحم القديسة العذراء كانت إمتداداً لبشرية أمه. إنها حقا بشرية الأقنوم الإلهى، بشرية «الإنسان الثانى الرب من السماء» (١ كو ١٥ : ٤٧) الطبيعة البشرية لوالدة الإله تختص بشخص مخلوق من نتاج «الإنسان الترابى» إنها ليست والدة الإله، بل ابنها، الذى هو رأس البشرية الجديدة، «وإياه جعل رأسا فوق كل شئ للكنيسة التى هى جسده» (أف ١ : ٢٢). وعلى ذلك فالكنيسة هى تكميل بشريته. لذلك فإنه من خلال إبنها وفى كنيسته، إستطاعت والدة الإله أن تبلغ إلى الكمال المحفوظ لأولئك الذين يحملون صورة «الإنسان السمائى».

أشرنا للتو إلى العلاقه الوثيقة بين شخص والدة الإله والكنيسة حينما تكلمنا عن التقليد المشخص فيها، كما كان قبل أن توجد الكنيسة، فالتى حملت الله جسديا حفظت أيضا فى قلبها كل الأقوال التى أعلنت ألوهية ابنها. وهذه شهادة تتعلق بالحياة الروحية لوالدة الإله. ويظهر لنا القديس لوقا كيف أنها لم تكن ببساطة آلة، أودعت نفسها طواعية لتستعمل فى التجسد، بل بالأولى شخصية سعت بوعيها الخاص، إلى أن تحقق معنى حقيقة أمومتها الإلهية.

فبعد أن قدمت طبيعتها البشرية لابن الله، طلبت أن تقبل من خلاله ما لم يكن لها بعد شركة معه فيه أى المشاركة فى الطبيعة الإلهية. إنه فى ابنها يحل ملء اللاهوت جسديا (كو ٢ : ٩). إن العلاقة الطبيعية التى ربطتها بالله المتأنس لم تضفى بعد على شخص والدة الإله حالة المخلوق الشريك فى الطبيعة الإلهية، بالرغم من أن نزول الروح القدس يوم البشارة جعلها لائقة لتقييم عملها الفريد. وبهذا المعنى فوالدة الإله ظلت تنتمى قبل يوم البطيقستى وقبل الكنيسة، إلى بشرية العهد القديم، إلى أولئك الذين كانوا ينتظرون موعد الآب «متوقعين أن يتعمدوا بالروح القدس» (أع ١ : ٤ – ٥).

إن التقليد يرينا والدة الإله فى وسط التلاميذ فى يوم البنطيقستى وهى تتقبل معهم الروح القدس، الذى وصل إلى كل واحد منهم كلسان نارى مستقل. وهذا يوافق شهادة

لأعمال، بعد الصعود إذ كان الرسل «يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته» (أع ١ : ١٤) «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة» (أع ٢ : ١) لقد قبلت والدة الإله مع الكنيسة آخر شئ بل والشئ الوحيد الذى كان ينقصها حتى ما تنمو إلى «إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤ : ١٣).

حلول الروح القدس الوظيفى والشخصى على مريم :

إن تلك التى قبلت بقوة الروح القدس الأقنوم الإلهى لابن الله فى أحشائها، تقبل الآن الروح القدس المرسل بواسطة ابنها ويمكننا أن نشبه الحلولين الذين للروح القدس على العذراء القديسة، بصورة ما، بالمرتين اللتين أعطى فيهما الروح القدس للرسل، فالواحدة فى مساء يوم القيامة والأخرى فى يوم البنطيقستى. فالأولى منهما أعطت للرسل السلطان للربط والحل.

وهذه الوظيفة مستقلة تتعلق بصفتهم العامة، وترجع فقط إلى أمر إلهى إنتخبهم ليقوموا بهذا الدور الخاص فى الكنيسة. والثانية فى البنطيقستى أعطت لكل منهم الإمكانية لتحقيق قداسته الشخصية – الأمر الذى يتعلق دائما بعوامل موضوعية – **ولكن مرّتى إعطاء الروح القدس، الوظيفية والشخصية يكملان بعضهما بعضا بالتبادل**. فواحدة يمكن أن نراها فى الرسل وخلفائهم، ولا يستطيع أحد أن يكمل وظيفته حسنا فى الكنيسة إن لم يكن يجاهد من أجل إقتناء القداسة، ومن ناحية أخرى، فإنه يصعب على أى واحد أن يبلغ إلى القداسة إن كان يهمل الوظيفة التى وضعه الله فيها. فالإثنان يجب أن يتوافقا أكثر وأكثر عبر الحياة، فدعوة المرء عادة تصبح الطريق الذى يختبر فيه إنكار الذات والقداسة الشخصية. ويمكننا أن نرى بالأولى أمرا مشابها فى الحالة الفريدة التى لوالدة الإله : الوظيفة الموضوعية التى لأمومتها الإلهية، التى وضعت فيها منذ يوم البشارة، ستكون أيضا الطريق الموضوعى لقداستها. إنها ستحقق فى ضميرها وفى كل حياتها الشخصية، معنى حقيقة كونها حملت فى أحشائها، وكونها أرضعت من ثدييها إبن الله. هكذا يمكن أن نفهم

كلمات المسيح، التى يبدو أنها ترسى أمه بالمقابلة مع الكنيسة على قاعدة واحدة، على أنها أسمى مديح : فمباركة هى التى لم تكن فقط والدة الإله بل أيضا حققت فى شخصها درجة القداسة اللائقة بهذه الوظيفة الفريدة. شخصية والدة الإله مرتفعة أكثر من وظيفتها، وتكميل قداستها يمتدح أكثر من بداياته.

لقد إكتمل دور الأمومة الإلهية فى الماضى، ولكن القديسة العذراء وهى باقية على الأرض بعد صعود ابنها، ظلت دائما والدة ذاك الذى فى بشريته الممجدة، المأخوذة من العذراء، جلس عن يمين الآب، «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضا » (أف ١ : ٢١).

فأى درجة من القداسة يمكن أن تتحقق هنا على الأرض ويمكن أن تعتبر أهلا لتلك العلاقة الفريدة التى لوالدة الإله مع ابنها رأس الكنيسة الذى يسكن فى السموات؟ فقط قداسة الكنيسة الكلية، كمال بشرية المسيح الممجدة، المحتوية على ملء النعمة المكملة إلى ملء قياس قامة المسيح التى تصل بلا إنقطاع إلى الكنيسة منذ يوم البنطيقستى بواسطة الروح القدس. يستطيع أعضاء الكنيسة أن يدخلوا إلى علاقة عائلية مع المسيح، يستطيعون أن يصيروا «أمه وأخوته وأخواته » (مت ١٢ : ٥٠)، بقدر ما يكملون دعواتهم ولكن فقط والدة الإله، التى بواسطتها صار الكلمة جسدا، تستطيع أن تقبل ملء النعمة وأن تبلغ إلى مجد لا نهائى، بتحقيق كل القداسة، الجديرة بالكنيسة فى شخصها.

العبور إلى القداسة إقتداء بالعذراء :

لقد جاء ابن الله من السماء وصار بشرا من خلال القديسة العذراء، لكى ما يستطيع البشر أن يرتقوا إلى المشاركة فى الطبيعة الإلهية بواسطة نعمة الروح القدس «ليمتلكوا بالنعمة ما لله بالطبيعة» : هذه هى أسمى دعوة للكائنات المخلوقة، والمصير النهائى الذى يتطلع إليه أبناء الكنيسة هنا على الأرض، فى التطور التدريجى للكنيسة فى التاريخ. هذا التطور قد إكتمل فعلا فى أقنوم المسيح الإلهى، رأس الكنيسة الذى قام

وصعد، فإن كانت والدة الإله قد استطاعت حقا فى شخصها البشرى المخلوق أن تحقق القداسة التى تليق بدورها الفريد، فهى لأنها لم تفشل فى أن تبلغ هنا على الأرض بالنعمة إلى كل ما لابنها بطبيعته الإلهية ولكن إن كان الأمر هكذا، فالتطور التاريخى للكنيسة والعالم يكون قد اكتمل، ليس فقط فى شخص ابن الله غير المخلوق بل أيضا فى الشخص المخلوق الذى لأمه وهذا هو السبب الذى لأجله يدعو القديس إغريغوريوس بالاماس والدة الإله : «الحدود بين ما هو مخلوق وما هو غير مخلوق» فإلى جانب الأقنوم الإلهى المتجسد هناك شخص الإنسان الشريك فى الطبيعة الإلهية».

ذكرنا سابقا أنه فى شخص والدة الإله يمكن أن نرى العبور من أعلى قداسة فى العهد القديم إلى قداسة الكنيسة. ولكن إن كانت كلية القداسة و الدة الإله قد أكملت قداسة الكنيسة وكل القداسة الممكنة لكائن مخلوق، فإننا نكون الآن بصدد عبور آخر – عبور من عالم ما هو آت إلى أبدية اليوم الثامن، عبور من الكنيسة إلى ملكوت الله. هذا المجد الأخير الذى لوالدة الإله – الآخرة التى تحققت فى شخص مخلوق قبل نهاية العالم – يضعها إذن فيما وراء الموت، فيما وراء القيامة، فيما وراء الدينونة الأخيرة.

إنها تشارك فى مجد ابنها، وتحكم معه، وتجلس بجانبة فوق مصائر الكنيسة والعالم الذى يمتد فى الزمان، وتتشفع لصالح الجميع أمام ذاك الذى سيأتى ثانية ليدين الأحياء والأموات.

هذا العبور الفائق الذى به تلحق والدة الإله بابنها فى مجده السموى، يحتفل به فى الكنيسة فى يوم عيد صعود جسدها. فى ذلك اليوم تفكر الكنيسة فى موت – حسب إقتناعها الداخلى – لا يمكن إلا وأن تتبعه قيامة وصعود لكلية القداسة. إنه من العسير التحدث ومن العسير بالأكثر التفكير فى الأسرار التى تحفظها الكنيسة فى الأعماق الخفية التى لضميرها الداخلى. هنا يعجز اللفظ عن التعبير، وتبدو كل محاولة لتركيب الجمل عالمية. إن مؤلفى الكتب الأبوكريفا أشاروا كثيرا بوقاحة إلى أسرار إلتزمت تجاهها الكنيسة بصمت وحذر عن حكمة بإزاء أولئك الذين من خارج. ووالدة الإله لم تكن قط موضوع

وعظ علنى من الرسل بينما إن المسيح كان يكرز به على السطوح، وكان ينادى به الجميع ليعرفوا عنه فى وعظ موجه لكل المسكونه، **سر والدة الإله إستعلن فقط لأولئك الذين من داخل الكنيسة**، للمؤمنين الذين قبلوا الرسالة والذين كانوا يعبرون باجتهاد إلى جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع (فى ٣ : ١٤) وأكثر من موضوع إيمان يعتبر هذا السر أساسا لرجائنا وثمرة لإيماننا، وقد أنضجه التقليد.

دعنا إذن نلتزم الصمت، وليتنا لا نحاول أن نفلسف التمجيد الفائق الـذى لوالدة الإله، وليتنا لا نكون كلاميين، مثل الغنوسيين الذين يبتغون الكلام أكثر مما ينبغى، وبالحقيقة أكثر مما يستطيعون، فيخلطون هرطقاتهم التافهة بحنطة التقليد المسيحى النقى. **ليتنا بالأولى نصغى إلى القديس باسيليوس الذى وصف ما يتعلق بالتقليد بقوله : «أنه التعليم غير القابل للنشر والذى لا يعبر عنه، الذى حفظه آباؤنا فى صمت، حتى لا يكون عرضة لكل حب إستطلاع وتطاول، لأنهم قد تعلموا حسنا كيف يحافظون بالصمت على قداسة السر**، فليس من الصواب أن ننشر كتابة التعليم المعطى لنا عن أمور لا ينبغى أن ترى بواسطة أعين غير المدربين. وفيما عدا ذلك، فسبب التمسك بالتقليد غير المكتوب هو أن كثيرا من الناس الذين يفحصون محتوى هذه التعاليم يكونون فى خطر فقدان احترامهم لهذه الأمور بتجرؤهم عليها. لأن التعليم شئ والوعظ شئ آخر. فالتعاليم يجب أن تحفظ فى صمت، والوعظ يجب أن يستعلن، **ولعل الأسفار المقدسة تتبع أحيانا غموضا معينا** كوسيلة أخرى لحفظ الصمت، وعلى ذلك فمعنى التعاليم يكون أصعب للفهم، من أجل الفائدة الأعظم لأولئك الذين يقرأونها (٦).

وإن كان التعليم عن والدة الإله يختص بالتقليد، فإنه فقط من خلال خبرتنا للحياة فى الكنيسة نستطيع أن نؤيد التطويب غير المحدود الذى تقدمه الكنيسة لوالدة الإله، **وسوف تحدد درجة مساهمتنا فى هذا التطويب إلى أى حد ننتمى إلى جسد المسيح.**

(6) De spiritu sancto 27. P.G. 32 col 189



ملحـــــق

مقـالات للمترجـم

١- مولودين ثانية.

٢- تسربلوا بالتواضع.

٣- الاثنا عشر سبطا ورسولا.

٤- الإدمان على الصلاة.

« مولودين ثانيـــة »

تمهيـــد :

جميعنا ولدنا يوما من بطون أمهاتنـا حسب الجسد، وأتينا إلى الحياة وبدأنا نعيش فى هذا العالم الحاضر، ولكن عندما نشبّ لابد أن نتواجـه يوما ما أيضا مع رسالة معلمنا بطرس الرسول الأولى، حيث نقرأ هذا التعبير الذى اتخـذناه رأسا وعنوانا لموضوعنـا هذا، إذ يقول «مولودين ثانيـة، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحيـة البـاقيـة إلى الأبد». (١ بط ١ : ٢٣).

هذه هى الولادة الثانية. وكتعبيرات الإنجيل والآباء أيضا، إنها الولادة من فوق،

الولادة من الماء والروح (فى جرن المعمودية)،

الولادة الروحية (لنعيش حسب الروح)،

الولادة الجديدة (بالتوبة الدائمة)،

الولادة الثمينة لنوال الحياة الأبدية،

الولادة العظيمة القدر جدا للعضوية فى ملكوت الله والمسيح،

الولادة التى بها ندخل إلى شركة الطبيعة الإلهية وشركة ميراث القديسين فى النور..

تاريخ الميلاد الخاص بكل إنسان فى العالم نعتز به كثيرا، ويكتب فى السجلات الرسمية، ونوضحه للكثيرين فى مواقف متعددة. ولكن هناك ميلاد آخر يفوق الميلاد الأول فى أهميته وصداه. الميلاد بالجسد نحتفل به فى كل عام وسط مظاهر البهجة ومشاعر الإستبشار، أما الميلاد الثانى – وإن لم تكن له ساعة أو شهر معينة كالميلاد الأول – إلا أنه جدير باعتبار وتذكار بلا حدود بقدر ما له من أهمية ونتائج تفوق الحدود، لأنه يتعلق بخلود

الإنسان ومصيره الأبدى.

وفى كل سنة حينما يحتفل كل إنسان بعيد ميلاده ويضيف سنة جديدة إلى رصيد عمره، ليت السؤال التالى يتبادر إلى ذهنه وقلبه أيضا : هل ولدت الولادة الروحية؟ وهل حصلت من النمو الروحى بقدر ما تقدمت فى سنوات العمر الجسدى؟

مثال نيقوديموس :

الولادة الجديدة من أسمى تعاليم المسيحية، ومن أعظم مبادئها، وفى حوالى عشرة مواضع من الكتاب المقدس يعبر عنها أيضا بالخليقة الجديدة والقيامة من الأموات. هنا يقفز إلى الذهن مباشرة الحوار المشهور الذى دار بين المسيح له المجد، ونيقوديموس الذى كان رئيسا لليهود من مجلس السبعين، واسمه اليونانى معناه منتصر، ومجيئه ليلا إلى المسيح يوحى بظلمة عدم المعرفة التى كان فيها. جاء منبهراً من معجزات المسيح وآياته، ولكن مقياس الآيات ليس كافيا لمعرفة الله، لذا أجابه المسيح فى عبارتين شرطيتين : «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يو ٣ : ٣)، و « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣ : ٥) وفى عبارة ثالثة مطولة أوضح له المسيح له المجد الطريق إلى ذلك، وذكر له مثال الحية النحاسية التى رفعها موسى أمام كل الشعب لكى ينظر إليها كل من آذته لدغة الحية (عد ٢١ : ٨)، والتى كانت رمزا للمسيح المصلوب أمام كل أجيال البشر، والتى توحى بضرورة العلاقة الشخصية المباشرة مع الله بالنظر إليه والاتحاد به، حيث لا يكفى فقط أنه مرفوع عن خلاص كل العالم، بل لابد من النظر إليه. ثم أورد هذه الآية الذهبية التى تعتبر القلب النابض للإنجيل : «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣ : ١٦).

* إن قصة نيقوديموس تعتبر صورة نموذجية لتوضيح أهمية الولادة الجديدة وكيفية

---

* نلاحظ وضع هذه العلامة عند بدء كل نقاط المشابهة بين الولادة الجسدية والولادة الروحية ويبلغ عددها ٢٥ .

حدوثها، وكيف ارتقى المسيح له المجد بأفكار نيقوديموس وتصوراته المادية المحسوسة عن موضوع الولادة (إذ كان متحيرا كيف يدخل بطن أمه ثانية ويولد وهو شيخ) إلى آفاق المعانى الروحية غير المحدودة، وأن الإنسان يمكن أن يولد إلى حياة جديدة تنبثق من العتيقة وتخرج منها باستمرار، ونعنى بالإنبثاق هنا دوام الإنبعاث، لأن عملية تقديسنا وتجديدنا مستمرة طوال العمر كله.

ونحن نستعمل تعبير الولادة ومشتقاته فى مجالات كثيرة، بمعان متعددة وهامة، فنقول إن الأرض ولدت النبات، أى أخرجته، ونقول إن الرجل ولد الولد، أى رباه، وولد الكلام أى استحدثه، وولد الشئ من الشئ، أى انشأه منه، كما أن الكلمة تولد من الشفاه أى تخرج منها، نعم يستطيع الإنسان أن يولد إلى شخصية جديدة ذات سلوك وعادات وأفكار ومبادئ جديدة تبعا لدرجة اشتياقه لتحقيق ذلك.

مثال أونسيموس :

* وفى قصة كتابية أخرى عن شخصية كبيرة معروفة هى فليمون ومعناها المحبوب، إستدعت أن يكتب له بولس الرسول رسالة خاصة باسمه من بين رسائله الأربعة عشرة، وتتكون من إصحاح واحد، ويسرد فيها باختصار كيف أن المدعو أنسيموس كان يشتغل عند سيده فليمون فى مدينة كولوسى، وحدث أنه اختلس من عنده مبلغا من المال وهرب به إلى روما، حيث دبرت العناية الإلهية أن يستمع مرة إلى عظة من أحاديث بولس الرسول النارية، والتى تطايرت كلماتها كالشرار واستقرت فى قلب أنسيموس السارق فتوبخ، وندم، وعبر لبولس الرسول العظيم عن فعلته الدنيئة، وكيف أنه لا يجرؤ على الذهاب إلى سيده مرة أخرى فكتب بولس إلى فليمون هذه الرسالة متوسلا إليه أن يقبل أنسيموس، إذ قد تاب وتجدد وأصبح نافعا لكليهما، ونجد فيها تعبير الولادة الثانية يتلألأ فى كلمة واحدة ثمينة جدا وسط الرسالة كلها، إذ يقول له : «أطلب إليك لأجل ابنى أنسيموس الذى ولدته فى قيودى، الذى كان قبلا غير نافع لك ولكنه الآن نافع لك ولى، الذى رددته فاقبله الذى هو أحشائى...» (فل ١٠ - ١٣).

لقد أصبح أنسيموس أخا محبوباً لكل من بولس وفليمون، فى الجسد والرب معا، وهكذا نجد أنه فى المسيح يخضع العبيد لسادتهم لا خضوع المذلة وإنما فى طاعة الحب للبنيان، وتعهد بولس بالوفاء بكل دين أنسيموس.

وتعالج هذه الرسالة - التى هى أقصر علاقات بولس العامة - موضوعا شخصيـاً يتعلق بفرد واحـد، ونجد فيهـا أعظم صفة يتحلى بها الرسول، إذ قد دعا نفسه «أسير يسوع المسيح» (عد ٩)، نعم لقد كان بولس فى سجنه الأخير بروما لمدة سنتين، وولد أنسيموس وهو فى قيوده، تلك التى عبر عنها القديس يوحنا ذهبى الفم بقوله إن السلاسل كانت أعظم مواهب بولس الرسول قاطبة، وقال عنها أيضا: **ليس لملك أن يتمجد بتاجه أكثر مما تمجد بولس بسلاسله**. لقد كانت توبة أنسيموس ورجعته ثمرة مفرحة لهذه القيود الثمينة.

* وقد صرح معلمنا بطرس الرسول أيضا بمثل هذه الصيحة قائلا : «مبارك الله أبو ربنـا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكـثيرة ولدنا ثانيـة لرجـاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكـم» (١ بط ١ : ٣).

فهنا نجد فضلا عن ولادة المسيح له المجد بالجسد من مريم العذراء فى ملء الزمان، وفضلا أيضا عن ولادته فى الأردن من يوحنا، وولادته من الآب قبل كل الدهور، نجد أن هذه الولادة الرابعة للمسيح وهى ولادته من القبر بالقيامة من الأموات.

مفهوم الولادة وملابساتها :

وعملية الولادة، فضلا عن المعنى المألوف جسدياً فى أبسط صورها، تعنى خروج جسم من جسم، أو خروج شئ من شئ. الحياة البشرية كلها تتلخص فى فعلين رئيسين هما الولادة والموت، أما من يولد ثانية بلغة الإنجيل فهو يولد ليعيش إلى الأبد. ونكاد نقول ان كل الملابسات والظواهر التى نلاحظها قبل وبعد الولادة لها مدلولاتها الروحية التى تعطينا دروسا ثمينه لو نحسن ترجمة أحداثها، فمثلا :

* منذ بدء خطبة كل عروسين... هذه يقابلها خطبة النفس البشرية إلى الله بكل المشاعر المصاحبة لها، فبعد مرحلة الإعجاب بالجنس الآخر عموما تأتى مرحلة الاختيار والتخصيص لواحدة فقط : «أنا لحبيبى وحبيبى لى» (نش ٦ : ٣).

* ومنذ اقتران كل زوجين وبدء كل حالة حمل، هنا بدايات تمهيدية توحى بضرورة الاقتران بالله والاتحاد الحبى معه : «حبيبى مد يده من الكوّة فأنّت عليه أحشائى» (نش ٥ : ٤) ومهما طال انتظار كل خطيبين فإنهما لا يتم فرحهما إلا ليلة الزفاف حينما يأخذ العريس عروسه إليه ويتم امتلاكه لها.

ما تتوحم عليه ستكونه :

هنا نورد قصة يعقوب وزوجته راحيل وليئة وجاريتيهما بلهة وزلفة، لأنها فى الواقع تعتبر قصة تحول وتغيير رائعين من يعقوب المخادع المخاتل سابقاً إلى إسرائيل القديس الذى جاهد مع الله وغلب [1].

---

(١) هنا نستطرد فى ذكر قصة يعقوب من أولها حيث أنها لا تخلو من فائدة فى موضوع تجديد إنسان كان رمزا لإسرائيل والكنيسة كلها. لنذكر أنه إن كان يعقوب قد غش أباه مرة، فقد غشه خاله مرات، وحقا ليس أقسى مما قيل عن يعقوب إنه كان فى علاقته مع أبيه شيطانا مع ملاك، وفى علاقته مع أخيه شيطانا مع إنسان، وبالأكثر فى علاقته مع خاله شيطانا مع شيطان. والقصة كلها من أولها مفعمة بالمعانى الروحية الجميلة والعميقة. فمنذ أن سرق يعقوب البكورية من أخيه عيسو، لم يعد عيسو من نصيب الرب ولا الرب من نصيب عيسو، وكان عيسو المرفوض رمزا للإبن الثانى فى مثل الإبنين الذى أورده المسيح له المجد عن الأمم واليهود، والذى قال : «هأنذا ياسيد ولم يمض» (مت ٢١ : ٢٨ – ٣٢). وسمح الله بهذا التدبير الخفى حتى يأخذ يعقوب بركة عيسو فعلا أى إن البركة كانت خارجة لعيسو فتثبتت ليعقوب دون أن يعرف المبارك إسحق ذلك. لقد كان يعقوب يتكلم بالإيمان، ورغم ضعفاته لم يتدانى بل تكلم بسلطان، وهرب يعقوب من وجه أخيه عيسو عند خاله لابان، لأنه كان حاقدا عليه، والحقد غيرة مرة تؤدى حتما إلى الفساد، إنها أمل قد فقد، ورجاء قد خاب، وإن لم نسرع لنميت تخيلات الشر فسوف تميتنا. الحقد صخرة العاجز تنكسر عليها كل فضيلة، وهو جريمة تبتدئ ولا تنتهى. كانت خطة أمه أن : إهرب حتى يرتد غضب أخيك عنك، وانس ما صنعت به، ونعمة النسيان لازمة للإنسان، وهو الذى ينسي ما صنعه له الناس. نسيان الشر فى ذاته هو خير، والنصيحة الثمينة لكل إنسان هى : إنس مافات ترى ماهو آت. ورأى يعقوب فى طريق ذهابه رؤيا السلم الذى يعبر عن أمانة الله رغم عدم أمانتنا له، وكان لسان حاله حقا إن الرب فى كل مكان ونحن لم نعلم. صوته قريب لآذاننا ولم ندرك قوته. والواقع أن يعقوب لم يصل إلى نهاية السلم لذلك لم يصل إلى بداية الله عمليا. إن السلم هو بدء قصة الرجاء، وهو لنا لأنه منا ومنحدنا، لأنه إمتد بنا إلى العلا، وبه توطدت العلاقة بين الأرض والسماء.

ونظر يعقوب وإذا فى الحقل بئر، وعلى فم البئر حجر كبير كان لابد من إزاحته لاستقاء الماء والشرب ثم إرجاعه، وكأنما كان لسان حال الحجر وهو يرمز إلى عبء ممارسة الطقوس : إحملوا ثقلى فهو سر كيانى، وجاءت راحيل وأعجب بها يعقوب، وكان النصيب فتزوجها فضلا عن ليئة التى احتقرها لضعف عينيها، وكان لسان حالها : أنا ضعيفة العينين ولكن خرج من بطنى الذى عيناه تخترقان أستار الظلام، ومن هو شمس البر ونور العالم. حقا كانت ليئة تمثل مرحلة الأعمال الجسدية التى لابد منها أولا، وراحيل تمثل التأمل الروحى التالى لها. وفتح الرب رحم ليئة لأنها كانت مكروهة، ويلفت نظرنا أنه بعد ما ولدت رأوبين وشمعون ولاوى حبلت أيضا وولدت ابنا، وقالت هذه المرة أحمد الرب لذلك دعت اسمه يهوذا ثم توقفت عن الولادة (تك ٢٩ : ٣٥)، وهذه لمحة بارعة عن ليئة ولها مدلولها العميق، فهى توقفت عن الولادة بعد يهوذا الذى جاء منه المسيح، وصار الكمال بالمسيح، ولسنا نريد شيئا بعده، وكان نصيب ليئة من البنين أوفر، وعطية السماء دائما أعظم هنا نأتى إلى بيت القصيد فى الموضوع :

فبعد ما أنجب يعقوب دان ونفتالى من بلهة، وجاد وأشير من زلفة، ولدت ليئة يساكر وزبولون، وولدت راحيل يوسف، وطلب يعقوب الانصراف من عند خاله لابان بعد أن خدمه كثيرا، فقال له لابان : ماذا أعطيك؟ فأجابه : لا تعطنى شيئا. إن صنعت هذا الأمر أعود أرعى غنمك وأحفظها، (وكانت هذه بمثابة أكله عدس جديدة) وبها أخذ كل ما كان للابان)، إجتاز بين غنمك واعزل أنت منها كل شاة رقطاء وبلقاء، وكل شاة سوداء بين الخرفان وبلقاء ورقطاء بين الماعز، فيكون ذلك أجرتى.. فقال لابان هوذا ليكن بحسب كلامك، فعزل فى ذلك اليوم (وإن هذا اليوم هو بداية قصة الرجوع إلى أرض الموعد) التيوس المخططة والبلقاء، وكل العناز الرقطاء والبلقاء، كل ما فيه بياض، وكل أسود بين الخرفان، ودفعها إلى أيدى ابنتيه.

فأخذ يعقوب لنفسه قضبانا خضرا من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطا بيضاء كاشطا عن البياض الذى على القضبان. وأوقف القضبان التى قشرها تجاه الغنم لتتوحم عند

مجيئها لتشرب، فتوحمت الغنم عند القضبان، وولدت الغنم مخططات ورقطا وبلقا، وأفرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط، وكل أسود بين غنم لابان، وجعل له قطعانا وحده ولم يجعلها مع غنم لابان. وحدث كلما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم فى الأجران لتتوحم بين القضبان، وحين استضعفت الغنم لم يضعها، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب. فاتسع الرجال كثيرا جدا، وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير (تك ٣٠ : ٣١ – ٤٣) ونحن أيضا فى نعمة العهد الجديد نقرر أن ثمرة تأملنا فى وجه المسيح ينقلنا إلى الصورة عينها. هنا نوجه النصيحة إلى كل المتوحمات أن يملأن عيونهن من صورة الحمل الوديع الهادئ – الذى هو قدام الله كثير الثمن – وافرح يا يعقوب فإن بركات أبيك تلاحقك. إن كل صدّيق خائف الرب له بركة فى الذهاب وبركة فى الإياب، لا يسعى وراء البركة ولكن البركة تسعى وراءه وتلاحقه، والثمن زهيد جدا، أكله عدس لإنسان معيى، أو شربة ماء لغنم فى الطريق. لهذا شدد الرسول بولس فى الوصية على إضافة الغرباء (عب ١٣ : ١).

* وحتى خبرة الوحم وما يصاحبها من قئ أحيانا، إنما تدلنا على ضرورة تقيؤ الإنسان العتيق بكل رداءته، لأن هناك قد ابتدأ تكوين إنسان جديد. وكلما تقدمت شهور الحمل، وحين يبدأ العد التنازلى تحسبا وانتظارا للحادث السعيد، هكذا تكون النفس أيضا فى حالة انتظار وتحسب.. فالإنسان الذى يشغل باله بموضوع الولادة الثانية يبدأ بأن يحس بثقل خطاياه، ولا يكون راضيا عن نفسه وطباعه وعادته وسلوكه بجهالة، ويسرح باله فى تصور صورة أفضل وسلوك أمثل وشخصية أقوى مما هو عليه، وهكذا ينطبق عليه القول : «مخاض الوالدة يأتى عليه» (هو ١٣ : ٣٣).

* وبديهى أن آلام المخاض التى تعانيها كل امرأة تلد إنما تدل على ما يجب معاناته أيضاً من أجل الميلاد الجديد. وهذا هو الأمر الإلهى الصادر إليها كعقاب منذ القديم : «تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك ٣ : ١٦).

* آلام المخاض يضرب بها المثل فى شدتها ونوعيتها، حتى صرخ إرميا معبراً عن حزنه بسبب المصائب الآتية على بنى جنسه من سبط يهوذا إذ قال : «سمعت صوتاً كماخضة، ضيقاً مثل ضيق بكرية، صوت ابنة صهيون تزفر» (إر ٤ : ٣١)، هكذا يجب أن يعانى كل مجاهد مع الله من أجل خلاص نفسه، ميلاده الثانى فى حياة جديدة. وليس قط بأن يحتمل معاناة معينة، بل يشجعنا واحدٌ على ذلك بقوله : «أنظروا كم من الأعباء والمشقات نحتمل من أجل جهاد لقمة العيش وسد إحتياجات حياتنا الأرضية الجسدية، هكذا يلزمنا بالأولى جداً وبدرجة مضاعفة جهاد واحتمال - وخاصة فى ميادين الصدقة والصلاة والصوم، التى هى أركان العبادة الثلاثة - من أجل تكميل خلاصنا وولادتنا الجديدة فى المسيح.

جاز مثل هذا الإختبار طبعاً معلمنا بولس رسول الأمم العظيم الذى تعب أكثر من جميع الرسل، إذ نادى أبناءه المخدومين فى كنيسة غلاطية بقوله : «يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل ٤ : ١٩)، ويقيناً أنه تألم فى ولادة أبنائه الروحيين أكثر مما تتألم أى أم على الأرض مهما كانت آلام مخاضها.

وإن كنا نتكلم عن التجديد المسيحى والآلام التى تصاحبه، فإننا نشبهه بعملية الانسلاخ التى تجوزها بعض الحيوانات الزاحفة - كمرحلة من مراحل تطورها - إذ تترك جلدها القديم، وينمو لها آخر جديد عوضاً عنه، وهكذا فجهادنا كله يتلخص فى عملية خلع ولبس، كما نخلع الرداء المتسخ لنلبس بدلاً منه النظيف، كما يطلب منا الرسول بقوله : «أن تخلعوا - من جهة التصرف السابق - الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق» (أف ٤ : ٢٢ - ٢٥). لهذا قال واحد من الحكماء : «**أنت مدعو لأن تكون إما صورة لله أو صورة ممسوخة لقرد**»، وقال آخر : «لما فسدت الصورة التى خلق الله الإنسان عليها، نزل الله ليقدم للإنسان الصورة الإلهية الأصلية».

«يمخُضُ قلبى داخلى»

وقديماً، عبرّ داود النبى عن آلامه وكل معاناته التى احتملها من مقاومة أعدائه، بما فيهم الملك شاول الذى طارده سبع سنين، حتى صار ملكاً من بعده، وذلك بقوله : «يمخُضُ قلبى داخلى، وأهوال الموت سقطت علىّ، وغشينى رعب ، فقلت ليت لى جناحاً كالحمامة فأطير وأستريح» (مز ٥٥ : ٤ - ٦).

وإشعياء النبى الإنجيلى من بعده يستعمل مثل هذا التعبير مبيناً كيف أن النفس التى تئن وتتنهد أمام الله من أجل ترك عادات رديئة، وتأصيل عادات فاضلة، يكون لسان حالها - سواء بصورة فردية أو جماعية - ترديد هذه الكلمات : «يرتاعون، تأخذهم أوجاع ومخاض كمخاض الوالدة» (إش ١٣ : ٨).

* «إمتلأت حقواى وجعا، وأخذنى مخاض كمخاض الوالدة. تلويت حتى لا أسمع، إندهشت حتى لا أنظر، تاه قلبى، بغتنى رعب، ليلة لذتى جعلها لى رعدة » (إش ٢١ : ٣ ، ٤).

«كما أن الحبلى التى تقارب الولادة تتلوى وتصرخ فى مخاضها، هكذا كنا قدامك يا رب» (إش ٢٦ : ١٧).

* أما عن النفس التى تبتدئ تعرف الله، تنضم إلى جماعته وتفرح بحياتها الجديدة المتحررة من كل شر وشبه شر، فتنبأ عنها بقوله : «ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض، لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل. قال الرب» (إش ٥٤ : ١).

حقاً يستطيع الرب - كأكبر معجزة يجريها عبر التاريخ - أن يغير الطباع والعادات والسلوك والأفكار، عن طريق التوبة وتجديد الذهن، فحينئذٍ يكون الفرح عظيماً. يستطيع الرب أن يفتح رحم النفس العاقرة العقيمة، فتثمر بعد طول سنين براً وسلاماً وتقوى، بل وأبناء روحيين كثيرين أيضاً. وهذه هى نفس النصيحة التى اقتبسها فيما بعد معلمنا بولس

الرسول وكتبها إلى كنيسة غلاطية، مؤكداً الدعوة لهذا الفرح العظيم، بالتغير الكبير الذى يحدث للنفس الجاحدة الأثيمة التى تصبح شاكرة وأمينة للرب إلهها : «لأنه مكتوب إفرحى أيتها العاقر التى لم تلد، إهتفى واصرخى أيتها التى لم تمخض فإن أولاد الموحشة أكثر من التى لها زوج» (غل ٤ : ٢٧).

تحذير : الأشرار يتمخضون شقاوة :

آلام المخاض مهما اشتدت، فهى تحتمل بسرور من أجل رجاء الفرح بالمولود الجديد : «المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الابن لا تعود تذكر الشدة لأنها ولدت إنساناً فى العالم » (يو ١٦ : ٢١). آلام المخاض قد تطول أو تقصر مدتها، ويرتفع الدعاء من أجل أن يقصّر الرب تلك الساعات، فهذه هى مبتدأ الأوجاع، وفى لحظة معينة لا يعلمها أحد إلا الله وحده يتسع الفرج ليخرج إلى النور كائن جديد يبتدئ يظهر فى عالم الوجود، الأمر الذى تعجب منه أيوب الصديق بقوله : « أتعرف وقت ولادة وعول الصخور، أو تلاحظ مخاض الأيائل، أتحسب الشهور التى تكملها، أو تعلم ميقات ولادتهن؟ يبركن ويضعن أولادهن يدفعن أوجاعهم» (أى ٣٩ : ١ - ٣). وبالأولى جداً يتعجب من أن : «الإنسان مولود للمشقة، كما أن الجوارح لارتفاع الجناح » (أى ٥ : ٧)، كما لو كانت آلام التجديد غائيّة أى كهدف فى حد ذاتها. فالألم حكم مكتوب على جميع الكائنات الحية «وكل الخليقة تئن وتتمخض إلى الآن... متوقعين التبنى فداء أجسادنا، لأننا بالرجاء خلصنا» (رو ٨ : ٢٢ - ٢٥).

ونلاحظ أن هذا الخلاص الذى بعد المخاض إسخاتولوجى أى أخروى، رغم أن الفعل قد تم وتحقق فى الماضى فعلاً، وهنا نوضح أن الخليقة المادية - ومنها جسد الإنسان المعين للمجد - ستشاركه فيه أيضاً، أى ستتمجد وتتجلى وتشاركه فى حرية الحالة المجيدة.

فالمسيحية تحرر المادة كامتداد لخلاص العالم (حتى غير الإنسانى) وخاصة عالم الملائكة فى الخليقة الجديدة، وذلك على عكس الفلسفة اليونانية الهلّينية القديمة التى كانت تعتبر المادة شريرة ورديئة. وعلى المستوى الشخصى فى جهاد كل واحد منا، نقول إنه

إذا كان الإنسان منحازاً بذهنه للجسد بسبب امتداد غير سوى لسلطان الغريزة والمادة ويرفض تبكيت الروح، يسمى ذهناً مرفوضاً، وينغلب بهجمات الشيطان الذى يظل يضغط على الإرادة حتى ينكسر حاجز المقاومة، ويبتدئ يستسلم إلى مالانهاية. أما إذا كان الروح القدس سائداً عليه، فحينما يقبل التبكيت ويستجيب له بالفعل، فإنه يصبح ذهنا روحياً. ويمتد أثر الروح القدس من العقل النشيط المتجدد إلى ملكات الإنسان العليا. نعم، الروح القدس هو الذى يرفع إرادتنا إلى مستوى فكر المسيح بالجهاد ضد الخطية.

ونقول أيضاً إن الروح القدس له قدرة فائقة على الطبيعة البشرية، فهو الذى يتولى عملية فكّ ناموس الخطية وتحطيم سلطان الموت من الطبيعة البشرية بعملية سرية وسرائرية فائقة، بإحلال المسيح الحى المقام بدلاً من حياتنا العتيقة الفاسدة.

وفى الواقع إن بولس الرسول يرتفع فى الإصحاح الثامن كله من رسالته إلى رومية إلى فصاحة ملهمة حتى يمكن أن يسمى «إنجيل الروح القدس» لهذا قيل إن الإنسان يصبح جسداً مروحناً، أو روحاً مجسدة، وكخلاصة نقرر أن وجه القديس ووجه الفاسق مختلفين.

«شاء فولدنا بكلمة الحق» :

«شاء فولدنا بكلمة الحق، لكى نكون باكورة من خلائقة» (يع ١ : ١٨). لقد اختارنا اللّه واختصنا – كجبلة بشرية دون جميع خلائقه – ليتحد بنا، ويكون لنا حق فى شركة طبيعته، فياله من اختيار واختصاص مبارك! نمجده من أجله طوال العمر.

* «لكن حين ظهر لطف مخلصنا اللّه وإحسانه، لا بأعمال فى برٍ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته، خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس» (تى ٣ : ٤ ، ٥)، المسيح فى الواقع كان ينطق ذاته فى كل كلمة وكل حركة وكل قول، وهذا واضح جداً حينما ظهر لطف مخلصنا اللّه فى التجسد الإلهى وفى ميلاده البتولى من العذراء مريم. لذا فنحن نجد فى التجسد الإلهى أيضاً إجابة عن هذا السؤال الهام : «ما هو الطريق إلى الخلود بالنسبة للإنسان؟».

نعم، مهما طالت آلام الوضع فلابد أن تأتى الولادة. وبعض النساء يلدن وقوفاً أو قعوداً أو رقاداً، مما يوحى بالفروق الفردية وتنوع ظروف الجهاد التى يجب أن نقبلها باحتمال راض وتسليم كلى.

وفى الأيام الأخيرة التى يدعوها معلمنا بطرس الرسول : «أزمنة ردّ كل شئ » (أع ٣ : ٢١)، نلاحظ بدايات ظاهرة الارتداد عن الإيمان، التى تنبئ بارتداد الأمم إلى عبادة الأوثان وعودة اليهود إلى الإيمان المسيحى ودخولهم إلى حظيرة المسيح، هنا «يتم أيضاً سّر اللّه كما بشر بعبيده الأنبياء » فى رؤيا يوحنا (رؤ ١٠ : ٧). هذه العودة الجماعية التى يدور حولها كل تاريخ البشرية، تنبأ عنها إشعياء النبى الإنجيلى بقوله : «إسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون من كلامه... قبل أن يأخذها الطلق ولدت، قبل أن يأتى عليها المخاض ولدت ذكراً. من سمع مثل هذا، من رأى مثل هذه، هل تمخض بلاد فى يوم واحد، أو هل تُولَد أمة دفعة واحدة؟ فقد مخضت صهيون بل ولدتْ بنيها، هل أنا أمخض ولا أولد يقول الرب؟ أو أنا المولد هل أغلق الرحم؟ قال إلهك، إفرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها » (إش ٦٦ : ٥ – ١٠). يحدثنا النبى هنا عن نشأة الكنيسة بطريقة فائقة، وما هذه الولادة إلا تجلى المسيح له المجد فى حياة المؤمنين. إن كل مسيحى عليه أن يحبل بكلمة اللّه فى قلبه. لقد وُلدت الكنيسة الجامعة من اليهود والأمم فى يوم واحد هو يوم الخمسين العظيم أى العنصرة، ونَمتْ بسرعة عجيبة، ولا تزال أورشليم الجديدة تفيض فرحاً وبهجة وشبعاً على الجميع.

وفى عملية الولادة – التى تعنى بتعبير العامة : «تخليص روح من روح » – لابد أن نتأكد من نزول الخلاص (وله طلقة خاصة تساعد على نزوله)، ثم يتم قطع الحبل السُرى أى المشيمة الذى كان يربط الطفل بالأم، وهذا يدلنا على ضرورة قطع كل علاقة مع الإنسان العتيق ومتعلقاته، وقديماً سُئل أحد الآباء الشيوخ : «فيمَ الخلاص»؟ فأجاب باختصار : «فى ترك ما أنت فيه»، أى أنه لابد للمرء أن يترك عنه كل اهتمامات باطلة، وكل ما لا يُرضى صلاح اللّه من قول أو فعل أو فكر، نعم لابد من الترك لأن الإنسان قد

اكتشف ما هو أفضل، كما أن الترك يكون من أجل الترك نفسه، من أجل كراهية وبغضة والتخلى عن نزعات الحقد والأنانية والإنغلاقية من أجل الانفتاح على الله والناس والكون كله.

ويأتى على البال وتحضر إلى الذهن أمثله خروج الماء من الصخرة الصوان قديماً على يد موسى بعد ضربها (خر ١٧ : ٦)، وخروج الماء من لحى الحمار على يد شمشون الجبار ليشرب (قض ١٥ : ١٩)، خروج المسيح له لمجد، الطفل الإلهى المبارك مولود بيت لحم، من رحم العذراء البتول مريم بدون زرع بشر، والذى انطبق عليه القول النبوى : «أنتَ ابنى أنا اليوم ولدتك» (مز ٢ : ٧). (وهذه العبارة ترتلها الكنيسة فى مزمور ليلة عيد الميلاد المجيد باللحن السنجارى الجميل المفرح). وهكذا يولد كل ابن جديد من رحم المعمودية إلى حرية مجد أولاد الله، ولهذا أعطى بولس الرسول تلك الصيحة الثمينة : «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢).

«كل من يحب فقد ولد من الله» :

ويلخص يوحنا رسول المحبة كل جهاد الولادة الثانية فى وصية المحبة العملية الباذلة المضحية، التى تتطلب منا حقاً الخروج عن الذات، وكسر حواجز التقوقع داخل الأنا المريرة، والانفتاح بالخدمة على الآخرين. ولمزيد من الإيضاح نسلط بعض الضوء على ظاهرة طبيعية جعلها الله أمامنا وتحت ناظرينا كلما استزرعنا بذاراً أو بزوراً فى الطبيعة كل يوم، لأننا حينما نلقيها فى التربة هكذا، يظهر أنها تموت أى تتلاشى وتفنى حسب الظاهرة فقط، ولكن نعلم أن بها جنيناً حياً، فبتوفير عوامل الهواء والشمس لها تبدأ فى الإنبات، تضرب جذورها عميقة فى الأرض، وتستقيم البادرة إلى أعلى مكوّنة الساق والفروع والأوراق، ثم الزهور والأثمار فيما بعد. فلو تصورنا حبة الفول مثلاً، نعلم أن لها قشرة صلبة وبداخلها الجنين والفلقتين وثقب صغير فى الجانب الأيمن، فحينما تدخل فيه المياه يزداد حجم الفلقتين وتضغطان على القشرة الصلبة فتمزقانها، وهكذا يبدأ نمو الجنين متغذياً على الفلقتين أولاً، ثم على التربة، ونظل نعتنى بالنبات حتى يأتى لنا بالثمرة

المرجوّة، ويحقق قانون الحياة الإلهية إنه عوضاً عن الحبة الواحدة المزروعة يأتى لنا النبات بمائة حبة وأكثر.. ولنا فى ذلك درسٌ عظيم، وهو إمكان تمزّع وزوال العتيق بكل عاداته ومهما كانت عبوديته المرة – ليولد منه الجديد بكل نضارته ووفرته. تحقق ذلك جلياً فى سِيَر كل قديسى التوبة، الذين تحولوا من عبودية الفساد إلى قديسين أمناء أنقياء منيرين.

«المولود من الله يحفظ نفسه» :

ويتحفنا يوحنا بهذه الآية الذهبية أيضاً : «نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه» (١ يو ٥ : ١٨). ولنا إيضاح آخر على ذلك من جسم الإنسان الذى هو قمة وتاج الخليقة وصورة الله على الأرض، فإن بداية تكوينه فى رحم الأم يكون من اتحاد الخلية الذكرية مع الخلية الأنثية، وتُعرف هذه الخلية الأولى الجديدة باسم الزيجوت، وتتكون من مجموعة من الجينات، أى حاملات الصفات الوراثية واسمها كروموسومات وعددها ٤٨ كروموسوم. وقديماً كان الدارسون يرسمونها على هيئة خطوط صماء، إذ لم يكونوا يعرفون عن تفاصيلها شيئاً قط، ولكن حديثاً ومع تقدم العلوم التكنولوجية واختراع المجهر الإلكترونى الذي يكبر إلى آلاف المرات أمكننا التحديد بدقة بالغة ماهو نوع هذه الصفات الوراثية التى ستظهر فى المولود الجديد فيما بعد، والتى انتقلت إليه من كلا الأب والأم، وذلك من حيث الملامح واللون الشكل وسائر المكونات الجسمية والمزاجية والانفعالية!! وهكذا تمكن العلماء اليوم من تقرير لون بشرة المولود، أو ما سيكون عليه لون العينين والشعر وسائر خصائص أعضاء جسمه نفسه. ولنا فى هذه الحقيقة العلمية تطبيق بالغ الأهمية، إذ أننا على المستوى الروحى نولد من رحم المعمودية حاملين صفات المسيح فى أجسادنا، ونمتلك مجاناً كل خصائص ودقائق الطبيعة الإلهية، إذاً لم يعد بعد عذر لمن يخدع وينغلب من شهواته العتيقة ويشكو من ضعفه، لأنه بالتوبة – التى هى معمودية ثانية، وبوسائط النعمة والأسرار المقدسة – يكون قد ولد من الله، وأعطى سلطاناً هو سلطان المسيح نفسه لغلبة الشر وكل سطوته ، هذا هو سلطان المحبة الذى يفوق كل سلطان آخر وهو الوحيد الذى يغلب كل سلطان آخر.

خبرات ما بعد الولادة :

* وقد يحدث أحياناً أن تتأخر بعض النسوة فى حدوث الحمل والولادة، كما يتعوق كثيرون أيضاً فى تحديد موقفهم من المسيح وقبوله مخلصاً شخصياً لهم. كما قالت سارای لأبرام : «قد أمسكنى الرب عن الولادة» (تك ١٦ : ٢)، وقيل عنها أيضاً بعد ما غيّر الرب اسمها : «بالإيمان سارة نفسها أيضا أخذت قدرة على إنشاء نسل، وبعد وقت السن ولدت، إذ حسبت أن الذى وعد صادق » (عب ١١ : ١١)، وهذا يعطى رجاء للكثيرين ممن : تأخروا بعد وقت السن لأن يولَدوا هم أيضاً فى الحياة مع المسيح.

* وقد يحدث أحياناً أن تتعسر بعض النسوة فى ولادتهن، هكذا نلاحظ أن البعض يتعسرون فى أمر ولادتهم الجديدة، ويتلكأون فى قدومهم للمسيح، كما قيل عن راحيل إنها قد «تعسرت ولادتها» (تك ٣٥ : ١٧).

* ونسمع عن امرأة لا تلد طبيعياً بل بفتح البطن أى بعملية قيصرية، ويقابل هذه أولئك الذين يحتاجون لمن ينتزعهم قسراً ويشدهم شداً إنقاذاً لحياتهم الجديدة.

* يبدأ كل طفل اللحظات الأولى من حياته على الأرض بالبُكاء، ويعللون ذلك بأن الهواء يبدأ فى السريان فى جهازه التنفسى، فيُصدر هذه الصرخات، ولكن من ناحية أخرى لعلها توحى بأن ضيفنا الجديد يحس بأنه جاء إلى أرض الشقاء والآهات فيبكى.

* وتبارك الخالق لأنه يُعدَ للطفل فى يوميه الأولين لبناً خاصاً اسمه السرسوب (أو لبن المسمار) ويخلو من الدسم وتكثر به البروتينات ليناسب الطفل حينئذٍ، ثم يبدأ اللبن المعتاد وهكذا يقدم الله للإنسان الغذاء المناسب له على كل مستوى يكون عليه. وحالما يلقم الطفل صدر أمه يبدأ يمتص الغذاء الثمين، ويمسك جداً بحلمة الثدى التى تشبعه وتريحه، حتى أن داود النبى قال : «جعلنى مطمئناً على ثدیی أمی» (مز ٢٢ : ٩). ومن يشبع ويتغذى حقاً على لبن علوم الكنيسة الصافى العديم الغش، والذي يأمرنا الرسول بأن نشتهيه حقاً (١ بط ٢ : ٧) لا تقدر مغريات العالم كله أن تفصله عن.ثدى أمه، كما قال

القديس مقاريوس الكبير فى إحدى عظاته، وغنى عن البيان أن الثديين هما رمز للعهدين باعتبارهما مصدراً للتعليم الروحى، وبينهما نلتقى بالمسيح أيضاً الذى قال عنه سليمان : «بين ثدىّ يبيت» (نش ١ : ١٣).

* وكما ينصح الأطباء بأن تكون رضعات الطفل منتظمة كل ثلاث ساعات، هكذا ليته يكون للإنسان الروحى وجبات منتظمة من التغذى بكلمة الله والصلاة، وخاصة بالأجبية والمزامير كل ثلاث ساعات أيضاً.

* وجدير بالأم أن تستمر فى إرضاع طفلها حتى إلى ثلاث سنوات، إذ نجد مثالاً كتابياً على ذلك فى سفر المكابيين الثانى، إذ تنادى أم ابنها قائلة : «يا ابنى ارحمنى أنا التى حملتك فى جوفى تسعة شهور، وأرضعتك ثلاث سنين...» (٢ مك ٧ : ٢٧). ونؤكد أن لبن الأم الطبيعى يتفوق كثيراً عن أى لبن صناعى آخر مأخوذ من الحيوانات، فهو يُزيد الطفل ذكاءً وقوة ونماء، فلا نكون مثل أولئك الذين تركوا ثدى أمهم ليرضعوا من لبن ماعز.

* وكما يبدأ الطفل يتغذى من العالم الخارجى بعد أن كان يعتمد على أمه فى الرحم، هكذا يبدأ المولود من الله يتغذى شخصياً من كلمة الله، ولا يعتمد بعد على إيمانه الموروث.

* وقد نسمع أحياناً عن خيانة زوجية، وابن لقيط غير شرعى نتيجة علاقة آثمة وغواية من عدو الخير، وهذه ينطبق عليها القول النبوى : «حبلوا بتعبٍ وولدوا إثماً» (إش ٥٩ :٤)، وأيضاً قول أيوب الصديق عن الشرير : «حبل شقاوة وولد إثماً» (أى ١٥ : ٣٥)، وأيضاً : «إن ولدوا أميت مشتهيات بطونهم» (هو ٩ : ١٦) لأنهم : «ولدوا أولاداً أجنبيين» (هو ٥ : ٧).

* ويتساءل أيوب الصديق: «أتعرف وقت ولادة وعول الصخور، أو تلاحظ مخاض الأيائل» (أى ٣٩ : ١) ليؤكد لنا أن لحظة الميلاد نفسها لكل كائن حى غير معروفة،

كذلك لحظة ميلاد المسيح بالجسد أى مجيئه الأول غير معروفة أيضاً، وبالتالى لحظة مجيئه الثانى على السحاب للدينونة، وهذا يدعونا بقوة إلى الاستعداد، أما الأشرار المتهانون فيخاطبهم بولس الرسول : «لأنه حينما يقولون سلام وأمان، يفاجئهم هلاك بغته كالمخاض للحبلى فلا ينجون» (٢ تس ٥ : ٣).

* ثم تأتى مرحلة الفطام، ويقابلها الفطام النفسى المطلوب بالضرورة من الأم والطفل، فالأم يجب أن تفطم نفسها عن ابنها، تربيه تربية إستقلالية، كما يجب أن الابن يفطم نفسه عن أبيه وأمه ليتهيأ للاستقلال عنهما فيما بعد، وبالمعنى الروحى نطلب من الجميع الانفطام عن الحياة حسب الجسد عن العالم الشرير.

* ونسمع عن حوامل قبل أن يكملن شهور حملهن يجهضن، مثل من يرتدون عن إيمانهم ولا يكملون خلاصهم، فويل لهم، تباً لهم ويا ويحهم لعدم حرصهم. أما عن الإجهاض المقصود بأى وسيلة كانت فعقابه شديد جداً لأنه بمثابة جريمة قتل (إلا فى حالة ما إذا كان المطلوب هو إنقاذ حياة الأم نفسها).

* ونعلم أن المرأة لا يُسمح لها بدخول الكنيسة مدة أربعين يوماً إذا ولدت ذكراً وثمانين يوماً إذا ولدت بنتاً، (وربما إن هذه المدة الأخيرة عقاب للمرأة وتذكير لها لأنها أغويت أولاً، وأدخلت الخطية إلى العالم بسببها). وهذا يعطينا درساً فى ضرورة التطهر قبل الذهاب إلى بيت الرب كالعذراء مريم التى قدّمت كشريعة التطهير فرخى يمام قبل أن تدخل مع يوسف النجار والطفل يسوع إلى الهيكل وعنده أربعين يوماً.

* ونشير أيضاً إلى أن الكنيسة رتبت أول صلاة طقسية للطفل فى اليوم الثامن لمولده، تماماً كالرب يسوع الذى اختتن فى اليوم الثامن، وأبطل شريعة الختان إذ أبدلها بالمعمودية التى هى الولادة من الماء والروح، والتى أصبحت العلامة التى تميز أولاد الله عن أولاد العالم. هذه هى حفلة السبوع أو صلاة حميم الطفل والطشت عند العامة، وفيها يسمى الطفل أيضاً باسمه، ويلفت نظرنا جداً أن الإنجيل الذى يُقرأ فيها يبدأ بالقول : «والكلمة صار جسداً... الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو

خبّر» (يو ١ : ١٤ – ١٨) ، فمولودنا الصغير صاحب الحفل إنما هو هدية من الله للإنسان، ويُعبّر عن صورته (ورسم جوهره) الأمر الذى يدعونا إلى أن ننطق : «المجد لك يارب»!

ختاماً نتوج الكلام بقول بولس الرسول الحكيم الذى كانت كل رسالته فى الحياة أن يلد أبناءً جدداً للإيمان بالمسيح، حتى استحق أن يقول بفخر : «لأنى أنا ولدتكم فى المسيح» (١ كو ٤ : ١٥)، وأيضاً : «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب ٢ : ١٣).



« تسربلوا بالتواضـــع »

إن كانت الكبرياء هى أولى الرذائل، فبلاشك يعتبر التواضع هو أكبر وأعظم جميع الفضائل.

وبديهى أنه لن يختبر أحد هذه الفضيلة السامية إلا إذا اشتهاها وطلبها بإلحاح، وجدّ فى السعى ورائها، ودفع ثمنها كاملاً أمام اللّه.

التواضع هو حالة توجد فيها النفس – من جراء شعورها بخطاياها – فى تخشع وانسحاق وانكسار وتذلل أمام خالقها، الأمر الذى تظهر نتائجه بالضرورة فى التعامل مع الناس.

التواضع هو الطريق الوحيد للحصول على نعمة اللّه الغامرة الدافقة من أجل غلبة العالم الشرير، والنمو فى النعمة ومعرفة المسيح والاتحاد به.

وفضيلة التواضع تجر وراءها عدداً من الخصال الحميدة والصفات الحسنة الطيبة، مثل الانسحاق والتخشع، والتذلل والانكسار، وطول الأناة والصبر والاحتمال. كما إنها تعتبر أخت شقيقة للطاعة والإذعان والخضوع. وكل من كان متواضعاً نجد أن نفسه سهلة القيادة أيضاً، بسيطة واضحة عذبة محبوبة خدومة، كما يمتاز أيضاً بالبذل والتضحية منكراً لذاته، يأتى باللوم على نفسه فى كل أمر، وفى كل مشاجرة يسرع بالقول : «أخطأت سامحنى»، ويحرص على العلاقات الطيبة مع الجميع. وإن كنا نعتبر العفة هى أم جميع الفضائل، فيقيناً يعتبر الاتضاع ابناً قريناً لها، لأن المتواضع أيضاً قد مات عن ذاته، وهو لا يطلب ماهو لنفسه بل ماهو للآخرين أيضاً، ويود أن يمجد اللّه أولاً وقبل كل شئ.

وفى جهاد التواضع نلجأ نحن إلى سلوك نعبرّ به عن التخلى والتخلص من كل تعال فى سلوكنا وطموحاتنا الباطلة، وأحياناً يجب علينا أن نقبل كل ما يأتى به اللّه علينا، من

أجل توضيع نفوسنا، وإرجاعها إلى حجمها الطبيعى وصغرها وبساطتها الأولى.

ونقرأ فيما يلى بعض قصص كتابية عن الاتضاع، لها دلالتها وعبراتها الكبيرة فى حياتنا اليومية، علّها تكون نبراساً لنا فى السلوك فى المواقف المختلفة :

١- فنقرأ عن الملك آخاب الشرير الذى اشتهى كرْم نابوت اليزرعيلى إلى جوار قصره فدبرت امرأته قتله، ولما نزل الملك ليرث أرض نابوت ظلماً كلّمه إيليا النبى قائلاً «فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت، تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً»... وشدد عليه العقاب بقوله : «هأنذا أجلب عليك شراً وأبيد نسلك... وتأكل الكلاب إيزابل أيضاً عند مترسة يزرعيل». ولما سمع آخاب هذا الكلام شق ثيابه، وجعل مسحا على جسده، وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت، فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلاً : «هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامى، فمن أجل إنه اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه، بل فى أيام ابنه أجلب الشر على بيته» (١ مل ٢١ : ٢٩).

٢- ولما سمع الملك الصالح يوشيا بالشر المزمع أن يجلبه الله على أورشليم وكل سكانها، بسبب أنهم تركوه وأوقدوا لآلهة أخرى، حينئذ أرسلت إليه خلدة النبيه قائلة : «من أجل أنه قد رق قلبك، وتواضعت أمام الرب حين سمت ما تكلمتُ به على هذا الموضع وعلى سكانه، أنهم يصيرون دهشاً ولعنة، مزقت ثيابك وبكيت أمامى، قد سمعت أنا أيضاً يقول الرب لذلك ها أنا أضمك إلى آبائك إلى قبرك بسلام، ولا ترى عيناك كل الشر الذى أنا جالبه على هذا الموضع. فردّوا على الملك جواباً » (٢ مل ٢٢ : ١٩ ، ٢٠).

٣- وحدث أن مرض حزقيا الملك إلى حد الموت، وصلى إلى الرب فكلمه وأعطاه علامة، ولكن لم يرد حزقيا حسبما أنعم عليه، لان قلبه ارتفع فكان غضب عليه وعلى يهوذا وأورشليم، ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان أورشليم، فلم يأت عليهم غضب الرب فى أيام حزقيا، «ولما تضايق جداً طلب وجه الرب إلهه، وتواضع جداً أمام إله آبائه» (٢ أى ٣٢ : ٢٦ ، ٣٣ : ١٢).

٤- وحينما عَبر إرميا النبى عن الشعب الشرير فى أيام نبوته بأنه أبى أن يسمع كلام الله

وسلك فى عناد قلبه وسار وراء آلهة أخرى ليعبدها، شبهه الرب بالمنطقة وأمره أن يلبس منطقة على حقويه، ثم يأخذها ويطمرها فى شق الصخر عند الفرات، حتى فسدت تماماً وأصبحت لا تصلح لشئ. وقال له الرب هكذا أفسد كبرياء يهوذا وكبرياء أورشليم العظيمة.. «وكما تلتصق المنطقة بحقوى الإنسان هكذا ألصقت بنفسى كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا، يقول الرب ليكونوا لى شعباً واسماً وفخراً ومجداً، ولكنهم لم يسمعوا». لقد فسدت المنطقة كما فسد الشعب من احتكاكه والتصاقه بأوثان بابل... ويضيف إرميا النبى قوله للشعب : «إسمعوا واصغوا، لا تتعظموا لأن الرب تكلم. أعطوا الرب إلهكم مجداً.. قل للملك والملكة اتضعا واجلسا لأنه قد هبط عن رأسيكما تاج مجدكما» (إر ١٣ : ١ - ١٨). إذاً لقد كانت شرور الشعب هى سبب مصائبهم، وكان أمر الرب لهم بضرورة الإتضاع.

وفضلاً عن هذه القصص، فالإتضاع فى الحقيقة وراء كل قصة شيقة كتابية أو غير كتابية، بل إنه محور تدور حوله كل فضائل حياتنا. ويتوج هذه الأمثلة جميعاً إتضاع الرب يسوع نفسه ملك المجد الذى انحنى ليغسل أرجل تلاميذه ليلة العشاء الربانى وقبل الفصح الأخير، وأخذ منشفة لينشفها، وأتم بذلك عمل الخدمة التى يقوم بها العبيد مع أنه رب المجد ورب الطبيعة وسيد جميع البرايا. وهكذا وضع أمامنا المثل الأعلى لهذه الفضيلة السامية جداً، والتى هى عمق يمتنع النظر إليه وسلوك حميد طاهر لا يمكن أن يسبَر غوره.

«إنحنى لأخيك» :

ونستطيع أن نؤكد أن كل انحراف فى السلوك، وكل نزاع ومشاجرة ينشأ بين طرفين إنما سببه الأساسى هو انتفاخ وتكبر الذات، وعلاج مرض الذاتية والأنانية هو التواضع وإنكار الذات. لذا نسمع عن هذه النصيحة الثمينة للأب إشعياء الإسقيطى من آباء برية شيهيت فى القرن الرابع : «إنحنى لأخيك» وهو يرى فيها حقاً الدواء الناجع والبلسم الشافى لكل احتداد ومصادمة تنشأ بين أخين. يثور الإنسان عادة للدفاع عن كرامته المجروحة من أى شتيمة أو إهانة أو افتراء وقع عليه، ولكن عليه أن يلتزم بضبط النفس

ووداعة السلوك لئلا يتجاوز حدود اللياقة، ويخالف أية وصية. فإنه من حقه أن ينفعل، ولكن ليس من حقه أن يخطئ كما هو مكتوب : «إغضبوا ولا تخطئوا..» (مز ٤ : ٨)، هذا هو الغضب المقدس من أجل الشهادة للحق.

حينما يحدث اختلاف فى وجهات النظر بين شخصين، ويبلغ بهما الأمر إلى الاحتداد والتشبث كل واحد بوجهة نظره، يلزمهما حينئذٍ كثير من المرونة والكياسة من أجل الإلتقاء فى منتصف الطريق، ويحتاجان أيضاً إلى إستعداد النية والرغبة فى المصالحة والتوافق، الأمر الذى يقتضى أيضاً الكثير من إنكار الذات والتنازلات للآخر، من أجل المسيح ولحساب بنيان جسد المسيح، ومن أجل أن تتخلى الذات عن تكبرها بتحطيم الأجزاء المتعالية منها كذباً وادعاءً، حتى تعود إلى حجمها الطبيعى وحدودها الأصيلة. هنا يسهل تحقيق وصية «إنحنى لأخيك»، بل وأيضاً : «إصطلح مع أخيك»! (مت ٥ : ٢٤).

هنا نورد الموقف المشهور بين إبراهيم وابن أخيه لوط، اللذين لما حدثت مشاجرة بينهما أظهر إبراهيم أبو الآباء أنه كان يضم فى صدره وبين ضلوعه قلبا كبيراً ونفساً عالية سامية، واتضاعاً شديداً، وعبّر عن هذا التنازل الكريم بقوله : «لا تكن مخاصمة بينى وبينك، وبين رعاتى ورعاتك، لأننا نحن أخوان، أليست كل الأرض أمامك؟ إعتزل عنى، إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً» (تك ١٣ : ٨ ، ٩).

هنا خرج إبراهيم من هذا الصراع غانماً كاسباً ورابحاً لنفس أخيه، أكثر مما لو ربح قطعة أرض أو بعض مراعى خضراء، لأنه كان يُقدر الأخوة، وكان حريصاً ومبقياً على علاقته الطيبة مع ابن أخيه فضحى باختيار الأحسن. ونرى فى تتمة القصة كيف عوضه الرب بغنى جزيل وثروة طائلة. وهكذا كان إبراهيم أب جميع المؤمنين قدوةً ونموذجاً فى ضرورة التحلى بإنكار الذات وتفضيل الغير، كما كتب فيما بعد سليمان الحكيم فى أمثاله : «ثواب التواضع ومخافة الرب هو غنى وكرامة وحياة» (أم ٢٢ : ٤).

وقيل عن دبورة الحكيمة إنه لما حصل لها من الله تلك الرفعة، حتى تدير الشعب جميعه لأنها كانت قاضية لإسرائيل، لم يرتفع قلبها بل كانت تذكر طقس النساء وتقول

أن الرجل رأسها، فلما أرادت أن تحارب سيسرا الملك أرسلت لباراق وأعطته السلطة لكى يمضى ويحارب سيسرا، ولكن القديس باراق لم تضله هذه الكرامة ولا نسى تدبير الله، بل قال لها : إن كنت تنطلقين معى فأنا أنطلق، «إن ذهبتِ معى أذهب، وإن لم تذهبى معى فلا أذهب» (قض ٤ : ٨)، لأنه كان يعلم أن الله معها. فانظروا يا أولادى كيف أن كلاهما كان يعطى الكرامة للآخر.

وقديماً عندما انتهى سليمان من الصلاة فى الهيكل الذى بناه لله، كانت النار تنزل وتأكل الذبائح والمحرقات، وامتلأ البيت من مجد الرب، وتراءى الرب لسليمان ليلاً وقال له : «قد سمعت صلاتك، واخترت هذا المكان لى بيت ذبيحة... فإذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم، وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الردية، فإنى أسمع من السماء» (٢ أى ٧ : ١٤). وحينما هدم سليمان ورجاله مذابح الأوثان كان البعض «يضحكون عليهم ويهزأون بهم، إلا أن قوماً... تواضعوا وأتوا إلى أورشليم، وكانت يد الله فى يهوذا فأعطاهم قلباً واحداً» (٢ أى ٣٠ : ١١). ونسمع عن الملك آمون الشرير الذى «لم يتواضع أمام الرب فى أورشليم كما تواضع منسى أبوه، بل ازداد آمون إثماً وفتن عليه عبيده وقتلوه فى بيته» (٢ أى ٣٣ : ٢٣).

أوامر إلهية تدعو للإتضاع :

- أيها الأحداث إخضعوا للشيوخ، وكونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع لأن «الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعون فيعطيهم نعمة. فتواضعوا تحت يد الله القوية، لكى يرفعكم فى حينه» (١ ط ٥ : ٥ ، ٦).

- «يقاوم الله المستكبرين، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يع ٤ : ٦).

- «إتضعوا قدام الرب فيرفعكم» (يع ٤ : ١٠).

- وليفتخر الأخ المتواضع بارتفاعه، أما الغنى فباتضاعه» (يع ١ : ٩ ، ١٠).

- «مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى

المتضعين » (رو ١٢ : ١٦).

- «لا يخسركم أحد الجعالة راغباً فى التواضع وعبادة الملائكة، متداخلاً فيما لم ينظره، منتفخاً من قِبَل ذهنه الجسدى» (كو ٢ : ١٨).

- وهنا يحذرنا الرسول مما يسميه : «عبادة نافلة وتواضع» كاذب طبعاً (٢ كو ٢ : ٢٣).

- ويعود فيؤكد الأمر الإيجابى بقوله : «فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة» (٢ كو ٣ : ١٢).

- « فتمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً، ولكم محبة واحدة بنفس واحدة مفتكرين شيئاً واحداً لا شيئاً بتحزب أو بعجب بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » (فى ٢ : ٢ ، ٣).

- «فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها، بكل تواضع ووداعة وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة» (أف ٤ : ١ ، ٢).

- تعلّموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » (مت ١١ : ٢٩).

- «مخافة الرب أدب وحكمة، وقبل الكرامة التواضع» (أم ١٥ : ٣٣).

- «لأنه هكذا قال العلى المرتفع، ساكن الأبد القدوس اسمه، فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيى روح المتواضعين، ولأحيى قلب المنسحق» (إش ٥٧ : ١٥).

- «قد أخبرك أيها الإنسان ماهو صالح، وماذا يطلبه منك الرب، إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك» (ميخا ٦ : ٨).

- «أطلبوا التواضع لعلكم تُسترون فى يوم سخط الرب» (صف ٣ : ٢).

أمثلة تواضع بعض الآباء :

- كان أنبا مقار يسكن فيه روح أبوى لأنه كان متسربلاً بالتواضع كمثل الثوب.

- وقال لأبنائه الرهبان بعد مقابلة الكاهن الوثنى : «الكلام الطيب المتواضع يحول الأشرار إلي أخيار.. » (والعكس صحيح).

- وقال أنبا مقار لأوغريس : «الأفضل لك أن تتمسك باتضاع العشار لكى تحيا».

- وهكذا آباؤنا جميعاً إقتنوا المسكنة وتواضع النفس.. وعبروا.

- وقال أنبا مقار فى رسالته الكبرى لأبنائه : «إنه من مشقة وصعوبة الجهاد الروحى يتولد عند الإنسان التواضع وانسحاق القلب والوداعة»، وأيضاً :

- «إن كان الإنسان لا يقتنى تواضعاً كثيراً - وهو قمة جميع الفضائل - فإنه لا يستطيع أن يحفظ وصايا الروح القدس.. ».

- ومن خطوات ارتقاء النفس فى سبيلها نحو الكمال أن تسلك فى أعمال التواضع ومراجعة النفس.

- إن إبليس عادة يَسقط أمام التواضع، بمعونة ربنا يسوع المسيح التى يسبغها علينا بنعمته المقدسة. وحقاً قيل إن التواضع يحرق الشيطان ويبطل كل ألاعيبه.

- ويأتى الإتضاع كنتيجة لأعمال النسك الخارجية الأولى، حيث تتقبل النفس من الله الاشتياق إلى الدموع والندم، وبالتالى انسحاق القلب والإتضاع، والأمثلة على ذلك كثيرة.. «وكان بامو يعشق الإتضاع»، واختير بفنوتيوس لاتضاعه رئيساً للجماعة بعد أنبا مقار.

- وكان يوحنا القصير على درجة من الإتضاع لم يبلغ إليها أحد، فقيل إنه كان يحمل برية شيهيت كلها، كما يحمل الإنسان نقطة ماء على كفه.

- وقال أنبا بيمن : «إذا سلكنا باتضاع فإننا نحيا فى سلام مع إخوتنا بلا لوم، وأيضاً الذى لا يعرف قدر نفسه لا يقع فى الإضطراب.

– وكان شيشوى متضعاً بالحق، لم يكن يساوى نفسه بمن سبقه، وقال عن المغارة التى كان يستعملها أنبا أنطونيوس قبله : «هذه المغارة كان يسكنها أسد، أما الآن فتعلب».

– أما موسى الأسود فلذيوع شهرته واتضاعه ولطفه، كثر عليه الزائرون.

– وقال ثيئودور البرامى لأحد أبنائه : «إذهب إتضع بقلبك، وإتضع بفكرك، وعش فى المجمع مع إخوتك».

– والإتضاع عند إشعياء هو حالة عملية لا يمكن ممارستها أو النمو فيها إلا بالتعامل مع الناس، وإنه بالصليب (بصلبنا مع المصلوب عليه)، قد انفتح للناس طريق الخلاص عن طريق الطاعة والإتضاع والتوبة.

– وسار سلوانس فى الطريق الضيق، وأجهد نفسه بالصوم الكثير والسهر الطويل، وبالاتضاع والمحبة.

– وحدث أن حكم أحد الشيوخ على أخ لبس الإسكيم قبل موعده بالتنزيل إلى درجة مبتدئ حتى يكمل طقس الإتضاع.

– وقيل إن تخلية الإرادة وإخضاع المشيئة هى الذبيحة التى يفضلها الرب على كل ما عداها، والتى تُعدّ القلب للخضوع لكل ما يؤمر به.

– وحينما ذهب صموئيل المعترف إلى أنبا أغاثون، علّمه الصمت والاتضاع والمحبة وكلمة : «أخطيت حاللنى».

– واقتنى أنبا أبرام الإتضاع وحسن الظن بجميع الناس.

– وكان مار اسحق السريانى يُعلّم بأن الإنسان يجب أن يكون تحت الخليقة كلها، وأن اليوم الذى يمر عليك ولا تصادفك فيه محقرة الذات فلا تحسبه من أيام عمرك.

– وأخيراً فالقديس مرقس الناسك يدعونا للإتضاع حتى نبلغ إلى أن نصير مثل طين الأزقة.

وبالجملة فإن إتضاع النفس هو المضمون الكامل للديانة المسيحية، كما علّم القديس أغسطينوس.

ونعود إلى بولس الرسول العظيم العملاق فى قامته الروحية، والملقب «لسان العطر»، والذى قيل عنه حقاً أنه رب القلم وسيد البيان، فإنه ينير عقولنا ويضئ أذهاننا بتعبيرات متعددة عن الإتضاع والإماتة والإنسحاق والإنكسار أمام اللّه الذى يقدم نفسه لعبيده كمثل أعلى وقدوة لجميع مخدوميه، إذ يقول فى رسالته إلى كنيسة أفسس : «بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح.. كى يعطيكم..» (أف ٣ : ١٤).

واستدعى بولس - فى ختام رحلته التبشيرية الثالثة عندما كان فى مدينة ميليتس - قسوس الكنيسة فى أفسس، وخاطبهم - بعد معجزة إقامة أفتيخوس من الموت - خطاباً روحياً مؤثراً كان هو الخطاب السابع منذ بدء خدمته، وأطال فيه الكلام حتى إلى منتصف الليل، وفى مطلع خطابه هذا قال لهم : «أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم كل الزمان، أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وتجارب أصابتنى بمكايد اليهود» (أع ٢٠ : ١٩).

فأين نحن ياترى من هذا المثال الرائع والتواضع العظيم الذى يجب أن يصبح لنا كطبيعة ثانية، ونلبسه لبساً كالثوب..

إننا مدعوون إلى اختبار هذا المبدأ اللاهوتى الكبير، ألا وهو : «الهبوط إلى الإمتياز»، والذى يؤكد لنا أن كل الإماتات والتنازلات التى نقدمها طواعية إنما تقودنا إلى الرفعة والمجد..

الاثنا عشر سبطاً رسولاً

وسط كل تجمات واجتماعات بنى البشر نجد جماعة خاصة مبرزة تتفوق وتسمو على سائر المجتمعات الأخرى، تلك هى الكنيسة الخالدة المنتصرة، جسد المسيح السرى، أى جماعة المؤمنين المفديين باسمه، الذين يعيشون حقاً الحياة الجديدة فى المسيح يسوع.

هذه الكنيسة المجيدة الجليلة شخصية إعتبارية حية نامية تمتد عبر الزمان كله من آدم إلى آخر الدهور، وتنتشر فى جميع بلدان المعمورة، فأعضاؤها الحقيقيون مبعثرون فى جميع الأقطار، ويجوزون مختلف الظروف والأحوال، أى أنها بالجملة فوق الزمان والمكان والكيان، وهى بصفة عامة تتكون من أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر وتقوم على كرازة رسل المسيح الاثنى عشر. وكلمة «سبط» فى أصلها العبرى «شبط»، ومنها الكلمة القبطية «إشفوت ⲱⲃⲱⲧ» أى عصا أو جماعة يقودها رئيسها بعصا، وكانت تطلق على كل واحد من أبناء يعقوب وكذلك على منسى وأفرايم ابنى يوسف (عد ٢٦ : ٢٨). وليس سبط لاوى محسوباً ضمن الأسباط، إذ لم يكن له نصيب فى الأرض، بل تعّين للخدمة فى الهيكل، وكان باقى الأسباط مسئولين عن إعالتهم. وكان لكل سبط استقلال ذاتى، ولكنه كان يرتبط بمعاهدة مع باقى الأسباط.

وحدثت حروب بين الأسباط وجيرانهم، مثل تعاون شمشون ويهوذا فى حربيهما ضد الكنعانيين (قض ١ : ٣)، وحرب شمعون مع عماليق (١ أى ٤ : ٤٢ ، ٤٣)، وحرب رأوبين مع الهاجريين (١ أى ٥ : ١٠). وكان بعض القضاة يقومون على سبط واحد أو أكثر، وقد انقسمت الأسباط بعد داود، حدثت خصومة بين يهوذا وأفرايم (٢ صم ٢ : ٤ - ٩ ، ١٩ : ٤١ - ٤٣)، وانحاز يهوذا وبنيامين إلى رحبعام فى المملكة الجنوبية، بينما انحاز الأسباط العشرة الباقين إلى يربعام فى المملكة الشمالية.

أما عن الأسباط الاثنى عشر، فهُم أبناء يعقوب الكبير أبى الآباء، وكل ذريتهم

وعشائرهم ومن تسلسل منهم، صاروا عنواناً لكل شعب اللّه طوال العهد القديم، وهم مع الرسل الإثنى عشر وكل من آمن بكرازتهم وتبشيرهم يكونون كنيسة المسيح الواحدة الخالدة. ويلفت نظرنا أن ذكر الاثنى عشر سبطاً جاء فى بركة يعقوب الأخيرة لبنيه، وكذا فى بركة موسى النبى لهم فى نهاية حياته، وفى سفر الرؤيا إصحاح ٧ ، ٢١ .. وفيما يلى النصوص التى قيلت عنهم :

م	السبط	نبوة يعقوب تك ٣٩		بركة موسى تث ٣٣
١ :	رأوبين	أنت بكرى قوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العز فائراً كالماء لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذٍ دنسته. على فراشى صعد.	٠١	ليحى رأوبين ولا يمت ولا يكن رجاله قليلون
٠٢	شمعون	أخوان، آلات ظلم سيوفهما.	٠٣	(قصد موسى ألا يبارك شمعون) وللاوى قال : تميمك وأوريمك لرجلك الصديق الذى جربته فى مسّه، وخاصمته عن ماء مريبة الذى قال عن أبيه وأمه لم أرهما، وباخوته لم يعترف وأولاده لم يعرف، بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك، يعلّمون يعقوب أحكامك واسرائيل ناموسك، يضعون بخوراً فى أنفك ومحرقات على مذبحك. بارك يارب قوته وارتضى بعمل يديه، أحطم متون مقاوميه مبغضيه حتى لا يقوموا.
٠٣	ولاوى	فى مجلسهما لا تدخل نفسى. لأنهما فى غضبهما قتلا إنساناً، وفى رضاهما عرقبا ثوراً ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس. أقسمهما فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل.		

م	السبط	نبوة يعقوب تك ٣٩		بركة موسى تث ٣٣
٠٤	يهوذا	إياك يحمد إخوتك. يدك على قفا أعدئك. يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد من فريسة صعدت يا ابنى. جثا وربض كأسد، وكلبؤة من ينهضه. لا يزول قضيب من يهوذا مشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب. رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنه ابن آتانه. غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه، مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن.	٠٢	إسمع يارب صوت **يهوذا** وإت به إلى قومه. بيديه يقاتل لنفسه، فكن عوناً على أضداده.
٠٥	زبولون	عند ساحل البحر يسكن، هو عند ساحل السفن وجانبه عند صيدون.	٠٦	إفرح **يا زبولون** بخروجك، وأنت **يا يساكر** بخيامك إلى الجبل يدعوان القبائل، هناك يذبحان ذبائح البر لأنهما يرتضعان من فيض البحار، وذخائر مطمورة فى الرمل.
٦	يساكر	حمار جسيم ربض بين الحظائر، فرأى المحل أنه حسن، والأرض أنها نزهة، فأحنى كتفه للحمل وصار للجزية عبداً		

م	السبط	نبوة يعقوب تك ٤٩		بركة موسى تث ٣٣
٧	دان	يدين شعبه كأحد أسباط إسرائيل، يكون دان حية على الطريق، أفعواناً على السبيل، يلسع عقبى الفرس فيسقط راكبه إلى الورا، لخلاصك انتظرت يارب.	٨	**دان** شبل أسد يثبُ من باشان
٨	جاد	يزحمه جيش، ولكنه يزحم مؤخره.	٧	مبارك الذى وسع جاد، كلبوة يسكن فرس الذراع مع قمة الرأس، ورأى الأول لنفسه لأنه هناك قسم من الشارع محفوظ، فأتى رأساً للشعب يعمل حق الرب وأحكامه مع إسرائيل.
٩	أشير	خبزه سمين، وهو يعطى لذات ملوك.	٠١٠	مبارك من البنين أشير، ليكن مقبولاً من إخوته ويغمس فى الزيت رجله، حديد ونحاس مزاليجك وكأيامك راحتك.
١٠	نفتالى	إيّلة مسيبَة، يعطى أقوالاً حسنة.	٠٩	**يانفتالى** إشبع رضى، وامتلئ **بركة من الرب، إملك الغرب** والجنوب.
١١	يوسف	غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين،	٠٥	**وليوسف** قال مباركة من الرب أرضه، بنفائس السماء،

م	السبط	نبوة يعقوب تك ٣٩		بركة موسى تث ٣٣
		أغصان قد ارتفعت فوق حائط فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام، ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه من يدى عزيز يعقوب، من هناك من الراعى صخر إسرائيل من إله أبيك الذى يعينك من القادر على كل شئ الذى يباركك. تأتى بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت، بركات الثديين والرحم، بركات أبيك فاقت على بركات أبوى، إلى منية الآكام الدهرية يكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير إخوته.		بالندى وباللجة الرابضة تحت، نفائس مغلات الشمس، ونفائس منبتات الأقمار، ومن مفاخر الجبال القديمة ومن نفائس الآكام الأبدية، ومن نفائس الأرض وملئها. ورضا الساكن في العليقة فلتأت علي رأس يوسف وعلي قمة نذير إخوته. بكر ثوره زينة له، وقرناه قرنا رئم بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصى الأرض، هما ربوات أفرايم وألوف منسى.
١٢	بنيامين	ذئب يفترس، فى الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهباً.	٤.	**ولبنيامين** قال حبيب الرب يسكن لديه آمناً، يستره طول النهار وبين منكبيه يسكن.
	منسى أفرايم		١١. ١٢.	**منسى** **أفرايم**

«إجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام» :

قضى يعقوب السبعة عشر عاماً الأخيرة من حياته فى مصر، فى صمت وسكون وتطلع إلى أولاده كأسباط يخرج منهم شعب الله الذى يتمتع بأرض الموعد، ومنهم يأتى المسيا المخلّص. ونطق بروح النبوة كما من وراء حجاب عن مستقبلهم ككنيسة تتمتع بخلاص المسيح وتنمو بروحه القدوس. وقوله لهم «فى آخر الأيام» أوضح أن الذى يقوله ليس للأشخاص الذين يخاطبهم، بل لزرعهم فى آخر الزمان.

لقد نطق يعقوب أبو الآباء بانطباعاته الشخصية عن كل واحد من أولاده، والتى تكون فى مجموعها صورة الشعب الخارج من أرض مصر، وتاريخ كل قبيلة عبر الجدّ الذى تفرعت منه، ولكنها تحمل فى طياتها السمات والخصائص العامة لكنيسة المسيح على ممر الدهور والأزمان. وحديث يعقوب هنا ينهى عصر البطاركة العظام، لينطلق إسرائيل لا كأفراد بل كشعب، وخميرة كان يجب أن تخمر العجين كله بالإيمان، وتُعدّ العالم لمجئ المسيح المخلّص.

لقد تعود الشراح أن يسموا هذه الأحكام : «بركات يعقوب» ولكننا نجد فيها أحياناً توبيخاً لما صدر من البعض، فضلاً عما سيكون عليه مستقبلها. والزمن الذى بين أول وآخر هذه النبوات يستغرق ثلاثمائه سنة. وفيما يلى تأملات فيما يخص كل سبط :

١ – رأوبين :

ويعنى اسمه إبن الرؤيا، ويَمتدح يعقوب ابنه فى العدد الثالث، بينما يندد بنقائصه فى العدد الرابع. ومن الطبيعى أن يبدأ يعقوب ببكره رأوبين الذى هو أول أبنائه حسب الجسد، والذى يمثل قوة الطبيعة إذ جاء مولوداً من ليئة، ليعطى تقريراً عاماً عنه يحدد نمط شخصيته. ورغم أن اسمه هو ابن الرؤيا لكنه للأسف لم يحتفظ بنقاوة عينيه ليرى الأمور السماوية، بل اتكل على ذاته فخسر بكوريته الروحية وفقد بصيرته، ليحتل يهوذا البكورية الروحية حيث ينعم بمجئ السيد المسيح منه، وهو البكر الحقيقى الذى بكرنا نحن أيضا معه وأصعد باكورتنا إلى السماء.

إضطجع رأوبين مع بلهة سرية أبيه، وبذلك دنس فراشه (تك ٣٥ : ٢٢)، ونال البكورية عوضاً عنه ابنا يوسف (١ أى ٥ : ١) أما البكورية الروحية فقد اغتصبها يهوذا الذى جاء من نسله المسيح.

وانهزم رأوبين أمام شهوته الجسدية، فصار كالماء الذى يفور ليبرد ثانية، فاقداً قيمته وكرامته وأفضليته.

وبالمثل الشعب اليهوى، أهل الختان، المعتبر بكراً فى معرفة الله، فقد فقد بكوريته بجحوده وفقد قوته الروحية ورفعته وعزه برفضه الإيمان بالمخلص، وحسب مدنساً للكنيسة. وما حدث بالنسبة لليهود، يحدث أيضاً فى أيام الإرتداد حيث ينكر الكثيرون الإيمان، وفى ذلك يقول القديس هيبوليتوس «فى الأيام الأخيرة يهاجم الناس مضجع الآب أى الكنيسة العروس – بقصد إفسادها، الأمر الذى يحدث فى هذه الأيام بالتجديف».

لقد ابتدأ يعقوب بذم بكره، مورداً له نبوة على زوال الشريعة الأولى وإبطالها فى آخر الزمان كما قد تم وكان، لأن كتاب الله هكذا لم يزل يذم الأبكار ويسقطهم من بكر آدم إلى الآن، ويمجد الثوانى ويشكرهم فى كل جيل وزمان، إشارة إلى الشريعتين وإبطال الأولى منهما وإقامة الثانية. (كما يقول القديس مار إفرام السريانى).

ولعل الدليل على أن رأوبين قد ابتدأ يفقد مركزه، أن فتنة قورح وداثان وأبيرام (عد ١٦ : ١ – ٥٠)، كانت من أحد العشائر الأربعة التى تكون منها سبطه، كما أنهم بحكم موقع أرضهم شرق الأردن، كانوا أول المسبيين إلى بابل (عد ٢٦ : ٥ – ١١ ، ١ أى ٥ : ٢٦).

لقد زال سبط رأوبين من الوجود فى زمن القضاة (قض ٥ : ١٥)، زال دون أن يعطى إسرائيل قاضياً أو ملكاً أو نبياً.

٢ ، ٣ شمعون ولاوى :

ويعنى إسم شمعون «سماع» وهو ابن يعقوب من ليئة، ولاوى معناه «مقترن» وهو ثالث

أبناء يعقوب من ليئة.

هما أخوان متشابهان فى الخصال. آلات ظلم سيوفهما لأنهما كانا المحرضين على قتل حمور وشكيم ورجال المدينة كلها دون مراعاة للعدالة (تك ٣٤ : ٢٥). وربما كانا هما أيضا المحركين الأولين على إيذاء يوسف، ولعلهما إرتكبا أعمالاً أخرى مماثلة .

فى مجلسهما لا تدخل نفسى، أى لا أشترك فى مؤامرتهما الردية، وبمجمعهما لا تتحد كرامتى، أى أن اتفاقاتهما على الشر لا تتفق مع كرامتى. وأفعال الأبناء الأشرار لا تتفق مع كرامة آبائهم، كما أن أفعال الخطاة تتنافى مع كرامة الآب السماوى.

وعندما غضبا من أجل دينة أختهما، قتلا إنساناً أى حمور وشكيم وشعبهما، والمقصود هنا الناس بصفة عامة، وفى رضاهما عرقبا ثوراً أى أنهما حتى فى هدوئهما – أى فى الحديث الهادئ مع حمور وشكيم عن الختان – كانا يضمران الشر من ورائه، فقد قتلاهما بحيلة ماكرة .

ويقول القديس هيبوليتوس عن شمعون ولاوى «جاء الكتبة والكهنة وبإرادتهم تمموا الشر بقتلهم المسيح »، فهما لم يكرموا الله بل قتلوا المخلص الذى جاء كإنسان، وعرقبوه وهو المتقدم كذبيحة (كثور) ليفديهم. لقد لعن يعقوب غيظهما وغضبهما ودعاه شديداً قاسيا لكونه أعماهما عن معرفة المسيح الحق، ودعا عليهما بالقسمة والتفريق.

أقسمهما فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل وهذه نبوة عن الخمول السياسى والمدنى للسبطين. ونلاحظ أن موسى لم ينطق بالبركة لشمعون كما نطق لباقى الأسباط (تث ٣٣)، وكان الشمعونيون يتضاءلون بصورة ملحوظة، وبعد الوباء نقصوا إلى أقل من النصف بكثير (عد ١ : ٢٦). ولم يكن لهم منطقة معينة، بل بعض أجزاء من أرض يهوذا (يش ١٩). أما سبط لاوى فلم يكن له نصيب أرض معينة وإنما مدن متفرقة من كل سبط، لتكريسه لخدمة الكهنوت، وهذا دليل على أنهم أصلحوا سيرتهم أمام الله، وأنه قبل توبتهم إذ قال له موسى : «تميمك وأوريمك لرجلك الصديق.. بارك يارب قوته ، يضعون بخوراً فى أنفك ومحرقات على مذابحك» .

٤ – يهـوذا :

اسم عبرى معناه «حمد»، وهو رابع ابن ليعقوب من ليئة، وجاء المسيح من نسل فارص ابنه من ثامار.

رأى يعقوب بعين النبوة المسيح له المجد فى صلب يهوذا، لذا دعاه بالأسد الذى خرج من موقعة الصليب غالباً أعداءه الروحيين. ونال يهوذا حقاً نصيب الأسد من بركة أبيه يعقوب، الذى رأى المسيح الملك والكاهن يأتى من نسله، رغم أنه لم ينل نصيب اثنين كيوسف أخيه الذى بارك يعقوب إبنيه منسى وأفرايم، واعتبرهما كرأوبين وشمعون منسوبين إليه (تك ٤٨ : ٥).

وقول يعقوب له : «إياك يحمد إخوتك» (تك ٤٩ : ٨)، يعبر عن مركز يهوذا الممتاز بين إخوته الذين كانوا يقدرونه ويحترمونه، وظل يهوذا كأسد وأمامه فريسة، وصار سيداً لأعدائه، يخضع له إخوته. لقد وضع المسيح المرموز له بيهوذا يده على قفا إبليس عدوه، فحطمه محرراً البشرية من سلطانه حتى يسجدوا له بالروح والحق.

وصار يهوذا هو السبط الملوكى الذى بدأ بداود الملك والنبى وتُوج بظهور ملك الملوك ورب الأرباب منه.

وقال يعقوب : «لك يسجد بنو أبيك» يعنى بهم الذين يواظبون على الاعتراف بالخطايا بعد المعمودية، إذ يصيرون بنى الآب السماوى، وهم مع ذلك يسجدون للابن الوحيد الحقيقى.

ويهوذا كرمز للمسيح «جرو أسد»، أى قوى ابن قوى جثا «وربض كأسد ولبؤة من ينهضه» (عد ٩)، لقد جثا أى ربض على الصليب، ولكن كأسدٍ لم يستطع العدو أن يقترب منه لأن موته كان بإرادته، لذا استعمل الاستفهام الاستنكارى «من ينهضه؟» أى أنه ينهض نفسه.

وهنا إمتياز جديد يقدمه يعقوب ليهوذا، إنه لا يزول قضيب ملك أو حاكم مشرع يسن

قوانين من نسله حتى يأتى المسيا واهب السلام (شيلون) المريح الذى له، فيضم الشعوب إلى مملكته الروحية.

«ربطاً بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن آتانه»، تعبيران مترادفان كناية عن الرخاء والثروة التى يتمتع بها سبط يهوذا ومعظم ملوكه الذين حكموا خلاله. إنه يعلن أن كلا من اليهود والأمم قد ارتبطا معاً فى الكرمة أو الجفنة، إذ صارا فى المسيح كنيسة واحدة مقدسه. إنه يدعو أهل الختان أهل الغرلة إلى إيمان واحد. وما هو هذا الثوب الذى يغسله فى خمره (أى فى دمه) إلا الكنيسة لأن الكرم ينتج خمراً والكلمة يقدم دماً، كلاهما يجلب الصحة للنفس والجسد، وكذا العينان السوداوان أى الأنبياء، والأسنان البيض تشير إلى الخيرات التى ينعم بها السبط كما فى جنة عدن.

٥ـ زبولون :

إسم عبرى معناه «سكن» أو إقامة، وهو الابن السادس لليئة والعاشر ليعقوب. سكن زبولون غرب نهر الأردن وغرب بحر الجليل، وقد اشتغلوا بالتجارة، ويرجح أنهم استولوا على أماكن مجاورة للبحر المتوسط، وهذا يحمل رمزاً لإلتحام إسرائيل بالبحر أى بالأمم. وفيما بعد سكن المسيح فى ناصرة الجليل وجعل الشعبين - اليهود والأمم - قطيعاً واحداً للراعى الأعظم، لذلك باركه موسى بقوله : «إفرح يا زبولون» (تث ١٨ ، ٣٣).

واشترك زبولون مع قوات إسرائيل فى تتويج داود ملكاً (١ أى ١٢ : ٣٣ - ٤٠)، وعبدوا الأوثان سريعاً (قض ١ : ٣٠) لذا أعلن الله غضبه عليهم مبكراً (٢ أى ١٥ : ٢٩).

٦ـ يساكر :

إسم عبرى معناه «يعمل بأجرة»، وهو خامس ابن لليئة وتاسع أبناء يعقوب. إشتغل هذا السبط بالفلاحة، وأظهر رجاله صبراً كبيراً على احتمال مشقاتها، لأنهم نزلوا من الجبال وسكنوا السهل الغربى وأغوتهم الأراضى الخصبة، واشتغلوا بأعمال السخرة عند الكنعانيين، لذا شبههم يعقوب بحمار ضخم وقوى يحمل أثقال الآخرين، وقد أحنى كتفى محبته

للمتعبين، واستعبد نفسه ليحرر الآخرين. كان هذا هو شعار بولس الرسول فيما بعد حينما قال «استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين» (١ كو ٩ : ١٩)، وأيضاً : «أما أنا فبكل سرور أنفق وأنفق لأجل أنفسكم» (٢كو ١٢ : ١٥). لذا امتدحت دبورة يساكر فى نشيدها : «والرؤساء فى يساكر مع دبورة » (قض ٥ : ١٥)، ماسكون بقضيب القائد.. ويرجح المفسرون أن الصورة التى رسمها يساكر على خاتمه كانت صورة حمار، وكانت أوصاف هذا الحيوان الهادئ منطبقة عليه.

٧- دان :

إسم عبرى معناه «قاض»، ولدته بلهة ليعقوب وهو خامس أبنائه. كان الدانيون يلحقون بأعدائهم أشد الخسائر والهزائم، بالشجاعة التى اتصفوا بها أو عند اللزوم بالدهاء والمكر، لذا شبههم أبوهم بالحية والثعبان أو الأفعوان وهو ذكر الأفاعى : «يكون دان حية على الطريق»، مثل الحيات السهمية التى تكمن على الطريق لتنقض على فريستها.

وتذكّر يعقوب الحية القديمة التى أغوت حواء عندما شبّه ابنه بالحية. والحية القديمة هى إبليس ، وقد وعد الله بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية لذا شعر يعقوب بالانتعاش الروحى وقال «لخلاصك انتظرت يارب».

وحُسب دان ضمن باقى الأسباط على الرغم من أنه أول ابن لليئة جارية راحيل. وعُرفت ذريته بالدهاء والمكر، ويصفه موسى فى نشيده بشبل أسد يثب من باشان (تث ٣٣ : ٢٢).

وذَكَر إيرينوس أن ضد المسيح يخرج من سبط دان، وقد قبل كثير من الآباء هذا الرأى، ولعله لذلك لم يذكر دان فى قائمة المختومين فى سفر الرؤيا ص ٧. ودلل هيبوليتوس على ذلك من قول إرميا : «من دان سمعت حمحمة خيله.. لأنى هانذا مرسل عليكم حيات أفاعى لا تُرقى، فتلدغكم يقول الرب» (إر ٨ : ١٩). وكلام إرميا هنا ينطبق على عصر الارتداد حين يخرج ضد المسيح من سبط دان بجيشه ويحارب الكنيسة فى كل الأرض ويلدغ المؤمنين بسموم تجاديفه، فإن كان المسيح قد جاء كأسد من سبط يهوذا، فإن ضد

المسيح يبذل كل طاقته لخداع البشرية، فيخرج من سبط دان كأسد أيضاً، لذا يحذرنا معلمنا بطرس الرسول بقوله : «إصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو» (١ بط ٥ : ٨).

وفى سفر القضاة نرى أن نسله عمل له مثالاً منحوتاً (قض ١٨ : ٣)، وأقيم العجل الذهبى فى بيت إيل ودان (١ مل ١٢ : ٢٩).

٨- جـاد :

إسم عبرى معناه «طالع حسن»، وهو أحد أبناء يعقوب من زلفة جارية ليئة. وفى ميلاده قالت : «بسعد»، وكانت بركة يعقوب له : «جاد يزحمة جيش، ولكنه يزحم مؤخرته»، وقد تحقق هذا إذ سكن شرقى الأردن، وتعرض لغزو الغزاة ولا سيما العمونيين الأموريين، وكان الجاديون يلحقون بهم ويقاتلونه ويستردون ما كانوا قد نهبوه منهم من أسلاب وغنائم . وقد قيل عن أبطال جاد أن «وجوههم كوجوه الأسود وهم كالظبى على الجبال فى السرعة.. صغيرهم لمائة وكبيرهم لألف» (١ أى ١٢ : ٨ - ١٥).

وبارك موسى الله لأنه وسع جاد (تث ٣٣ : ٢٠)، وكان له سبعة بنين أسسوا عشائر . واشتهر من السبط برزلاى الجلعادى (٢ صم ١٧ : ٢٧)، وإيليا التشبى من جلعاد (١ مل ١٧ : ٤).

٩- أشـــير :

إسم عبرى معناه «سعيد أو مغبوط»، وهو الثامن من أبناء يعقوب والثانى لزلفة. تنبأ يعقوب عن أشير بكثرة الخيرات، كما تنبأ عنه موسى بأنه يغمس فى الزيت قدمه (تث ٣٣ : ٣٤). وقد تحققت النبوتان إذ تمتع سبط أشير بأرض خصبة غنية بأشجار الزيتون التى يستخرج منها الزيت، وقيل أن خبزه سمين لأن غلات أرضه كانت وفيرة ، هذا فضلاً عن أنه سكن بجوار البحر الأمر الذى مكنه من استيراد البضائع وبيعها لبقية الأسباط. وهو يعطى لذات ملوك أى يعطى من هذه الخيرات طيبات الملوك. ويشير

السبط إلى فيض النعمة فى حياة المجاهدين الروحيين.

ونعلم أن حنة النبية التى ابتهجت بظهور المسيح، وشهدت للطفل يسوع المولود فى بيت لحم عند دخوله إلى الهيكل كانت من سبط أشير (لو ٢ : ٣٦ – ٣٨).

١٠ـ نفتالى :

إسم عبرى معناه «مصارعتى»، وهو الابن السادس ليعقوب والثانى لبلهة. يشبّه نفتالى بأنثى الإيل المنطلقة فى برية مفتوحة، وفى وادى بلا حواجز، تتحرك فى سرعة وفى خفة أينما أرادت لأن أرض نفتالى كانت خصبة وغنية، فعاش فيها عيشة حرية ورخاء، ولكن هذه الحرية لم تكن حسب الجسد أى فرصة للإنحلال والشر بل التزم السبط بعلاقات طيبة مع بقية الأسباط مقدماً «أقولاً حسنة»، وورد فى سفر القضاة نشيد دبورة وقولها عنه : «زبولون أهان نفسه إلى الموت مع نفتالى على روابى الحقل» (قض ٥ : ٨)، وربما هى تشير إلى مدى جهادهم فى الحرب. وقد باركهم موسى النبى قبل موته بقوله : «يا نفتالى إشبع رضى وامتلئ بركة واملك الغرب والجنوب» (تث ٣٣ : ٢٣). وهكذا صار نفتالى يمثل النفس الرقيقة التى فى تعاملها مع إخوتها تنعم ببركة الرب.

١١ـ يوسف :

إسم عبرى معناه «يزيد»، بكر يعقوب من زوجته راحيل، وهو الحادى عشر من أبناء يعقوب. ورزق يوسف بابنين هما منسى وأفرايم من بنت فوطى فارع كاهن أون قبل المجاعة ويستعمل اسم يوسف للدلالة على السبطين المندمجين المنحدرين منه (يش ١٦ : ٤ ، ١٧ : ١٧) وعلى المملكة الشمالية (١ مل ١١ : ٢٨)، وعلى شعب بنى إسرائيل بوجه عام (مز ٨٠ : ١).

إستحق يوسف بركة ممتازة لأنه عاش أميناً لله وكانت حياته نقية طاهرة، ووُصف بأنه شجرة مثمرة مرتين لأن يعقوب أباه كان مثمراً، أى كثير النسل كما وعد الله أبويه إبراهيم وإسحق من قبل.

كانت تلك الشجرة المثمرة على عين ماء أى دائمة الخضرة والنمو والثمر، وقد ارتفعت أغصانه فوق حائط، ولكن أرباب السهام - والمقصود بهم إخوته الذين اضطهدوه، وامرأة فوطيفار التى اتهمته زوراً - أمرّوه ومرروا حياته، ولكن ثبتت بمتانة قوسه، وتشددت سواعد يديه من عزيز يعقوب الراعى والصخر أى المعين والمرشد والقائد والقادر على كل شئ من هناك أى من السماء تأتى جميع البركات، بركات من فوق أى المطر والندى، وبركات من تحت أى مياه الأنهار والينابيع الموجودة على الأرض، وبركات الثديين والرحم أى اللبن الذى يقتات به الأطفال وينعمون به، وغالباً إن هذه النبوة تعمّ على الناس والمواشى أيضا.

وصرح يعقوب أن بركته هذه لابنه يوسف أكثر بكثير من البركات التى بارك بها إبراهيم ابنه إسحق، والتى بارك بها إسحق إبنه يعقوب. إلى منية الآكام الدهرية، أى إلى أقصى حدود الآكام، وأنها ستدوم إلى آخر الزمان. هذه هى البركات التى ستحل على يوسف قمة نذير إخوته، أى المفرز من بينهم والممتاز عنهم .

١١- (أ) منسى :

إسم عبرى معناه «ينسى»، وهو بكر يوسف (تك ٤٨ : ٥ - ٨) وبكر منسى إسمه ماكير، وقد ولد ماكير أولاده على ركبتى يوسف (تك ٥٠ : ٢٣).

ولم يذكر الكتاب شيئاً عن منسى غير أن نصف سبط منسى طلب أن يقيموا فى الأراضى التى شرق الأردن. وكانوا ضمن أول من سبى إلى آشور (١ أى ٥ : ٢٣ - ٢٥) والنصف الغربى حافظ بعضهم على العبادة الصحيحة (٢ أى ١ : ٣٠).

١١-(ب) أفرايم :

إسم عبرى معناه «الأثمار المضاعفة»، وهو ابن يوسف من أسنات، وولد فى مصر، وسمى كذلك لأنه كان الابن الثانى (ك ٤١ : ٥٢). وتنبأ موسى عن قوة أفرايم (تث ٣٣ : ١٧) ويستخدم اسم أفرايم للدلالة على المملكة الشمالية كلها (إش ٧ : ٢ ، إر ٣١ : ١٨ ، هو ٤ : ٧). واشترك فى السبى على يد

الآشوريين سنة ٧٢١ ق م.

١٢ـ بنيامين :

إسم عبرى معناه «ابن يدى اليمين» (تك ٣٥ : ١٨)، وكان أصغر إخوته، تشير النبوة عن بنيامين أنه يتصف بالشجاعة والقوة فى الحروب مثل الذئب المفترس الذى يأكل فى الصباح غنيمة وفى المساء يقسم نهباً. وقد قيل عن أبطاله أنهم : «يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة ولا يخطئون» (قض ٢٠ : ٢١). وتحققت هذه النبوة بانتصاره على بقية الأسباط مجتمعين، حتى نصبوا له كميناً وهزموه، تحققت أيضاً فى خطف رجال بنيامين فتيات لأنفسهم ليتزوجوا بهن، بعد أن حلف الأسباط ألا يزوجوهم بناتهن (قض ٢٠ : ٢١). ويرى القديس هيبوليتوس أن النبوة تشير إلى شاول الطرسوسى الذى انطلق فى فجر حياته يفترس الكنيسة كغنيمة، ولكنه آمن وصار خاضعاً لها، يقدم نفسه طعاماً خاضعاً للحمل.

ويورد العلامة أوريجانوس تعليقا على الإصحاح الثانى من سفر العدد فى العظة الأولى من شرحه له، مستخرجاً معانى روحية عميقة من توزيع الأسباط الاثنى عشر حول المحله ومتأملا فى تمييز الرتب حولها فيقول إن هذه المواضع وهذا المجد الخاص سيعطى حسب استحقاقات وأعمال كل واحد، كل واحد سيكون فى الرتبة التى وضعته فيها استحقاقات أعماله، ومن ثم سيسجل كل واحد حسب المقاييس الروحية فمثلا سيسجل واحد فى سبط رأوبين لأنه شابه رأوبين فى العادات والطباع والأعمال أو الحياة، ويسجل آخر فى سبط شمعون بسبب طاعته، وآخر فى سبط لاوى لأنه أكمل وظائفه الكهنوتية حسناً أو حصل فيها على درجة الكمال، ويسجل آخرين فى سبط يهوذا لأنه يملك فى ذاته مشاعر ملوكية وقد قاد الشعب قيادة حسنة بأفكار عقلانية وعواطف قلبية. وبذلك فكل واحد سيكون شريكاً ومنتسبا للسبط الذى تميزه به أعماله وطبائعه. ونستطيع أن نميز فى العهد الجديد مثل هذه الأنماط من الشخصيات والتى تعمل جميعها فى تناغم وانسجام من أجل مجد ذات الرب الواحد.

صورة حية للكنيسة المجاهدة فى المسيح

الأسباط	الرسل
رأوبين : الابتعاد عن البر الذاتى	بطرس : جسارة الإيمان
شمعون : الابتعاد عن المؤامرات	إندراوس : يعمل فى صمت وهدوء
لاوى : بركة قوة التوبة	يعقوب : روح القيادة والشهادة
يهوذا : الالتصاق بالمسيح	يوحنا : قمة فى الحب الإلهى
زبولون : الانطلاق للكرازة	فيلبس : عدم جدوى المنطق البشرى
يساكر : إحتمال متاعب الآخرين	برثلماوس : إسرائيلى حقاً لا غش فيه (نثنائيل)
دان : مقاومة إبليس	توما : الانحناء ولمس جراحات البشرية
جاد : الجهاد الروحى	متي : التحرر من حب المال
أشير : ثمار الجهاد الروحى	يعقوب : كرامة أخوة الرب
نفتالى : رقة الحديث	تداوس ، لباوس ، يهوذا) : (شخصه المحبوب العزيز
يوسف : النمو المستمر	سمعان : الغيور الملتهب
بنيامين : التمتع بيمين الرب	يهوذا : وصمة العار ورمز الخيانة

هذه الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها * :

هذه هى كنيسة الاثنى عشر سبطاً ورسولاً، «المبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢ : ٢٠)، الذى هو صخر الدهور وملك المجد، وقال عنها

* ترد هذه العبارة فى صلوات الكنيسة مرتين، فى أوشية السلامة الصغيرة فى رفع بخورى عشية وباكر، ومرة ثالثة فى أوشية السلامة الكبيرة قبل صلاة الصلح بالقداس الإلهى.

المرتل : «مجارى الأنهار تُفرح مدينة اللّه» (مز ٤٦ : ٤)، وقال عنها صاحب النشيد إنها «مرهبة كجيش بألوية» (نش ٦ : ١٠). هذه هى الكنيسة التى:

(لازالت تتحرك بالكرازة والتبشير نحو استعلانها الأخير فى ملكوت اللّه. وقد طرح المسيح له المجد رؤية الملكوت القادم فى صورة كنيسة صغيرة نصفها عذارى جاهلات، ونصفها الآخر عذارى حكيمات، حيث العذراوية هنا على مستوى النفوس التى أخذت ختم الخليقة الجديدة، فنصفها نفوس حفظته على مخزون زيت النسك والعبادة، ونصفها الآخر بددته ولم تختزن زيتاً) *

وفى الرقم إثنا عشر ألف مختوم من كل سبط الذى ورد فى الآية : «وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعين ألفا..» (رؤ ٧) نجد أن الرقم ١٢ يرمز إلى العبادة المنظمة، عبادة الثالوث القدوس فى أربعة أقطار المسكونة، والرقم ١٠٠٠ يرمز إلى الكثرة أى أنه رقم رمزى يشير إلى كل المفديين، كالمختومين على جباههم المتمتعين بعمل الروح القدس. ونلاحظ أنه اختار الأسباط التالية :

يهوذا – رأوبين – جاد – أشير – نفتالى – منسى

شمعون – لاوى – يساكر – زبولون – يوسف – بنيامين.

ونلاحظ فى هذا الاختيار * :

١ – أنه قد أورد يهوذا قبل رأوبين لأن منه جاء المسيح حسب الجسد.

٢ – أنه حذف اسم دان لأنهم عبدوا الأوثان (قض ١٨ : ٣٠)

٣ – ولكى يكمل الرقم ١٢ رمز العبادة المنظمة يورد اسم منسى رغم أنه متضمن فى يوسف، ولكن كلمة يوسف معناها «يزيد» أى أنه يستحق أن يكون أكثر من سبط واحد.

---

* عن كتاب القديس بولس الرسول للأب متى المسكين.

* أنظر كتاب تفسير سفر الرؤيا للأنبا موسى.

هذه هى كنيسة العهد القديم (رؤ ٧ : ١ – ٨) التى أمر الملائكة بأن يختموا عبيد الله على جباههم فيها قبل أن يفسدوا الأرض، ونعلم أن الختم رمزاً للملكية، والجبهة رمز الفكر والإرادة، وسمع يوحنا أن عدد المختومين ١٤٤٠٠٠، ويذكر يوحنا فيما بعد أنهم بتوليون لم يتنجسوا مع النساء، وطبعاً المقصود هنا هو بتولية القلب (لأن الزواج، طاهر، وهو سر كنسى، وفيه مشاركة مع الخالق فى عملية الخلق) وعدم التدنس بالعالم والفساد المستشرى فيه مثل العطب فى الفاكهة.

ويرى كاتب السنكسار أن هذا الرقم أيضاً يشير إلى أطفال بيت لحم، وهذا اجتهاد فى التفسير غير مقبول، لأنه من غير المعقول أن تحوى قرية صغيرة كبيت لحم هذا العدد الضخم من الأطفال دون السنتين، إذ أن هذا لا يحدث إلا فى عاصمة تعدادها يتعدى المليون نسمة.

أما عن كنيسة العهد الجديد (رؤ ٧ : ٩ – ١٧) فيعبر عنها أيضاً بنفس الرقم، إذ رأى يوحنا جمعاً كثيراً لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب الألسنة. إنها كنيسة العهد الجديد التى تتميز بفيض النعمة وعطية البر من أجل خلاص كل العالم، وهى ليست كعطية العهد القديم المحددة بجنس معين، وطبعاً لم يستطع يوحنا ولا غيره أن يحصى عددها. ولكن اللّه حتماً يعرفه بالتحديد لأنه مكتوب : «لا تخف لأنى فديتك، دعوتك باسمك أنت لى» (إش ٤٣ : ١). وهؤلاء الذين رآهم يوحنا كانوا :

أ) واقفين رمز النصرة والثبات.

ب) وأمام العرش رمز المجد والتواجد فى حضرة اللّه.

جـ) ومتسربلين بثياب بيض رمز النقاوة والوقار.

د) وفى أيديهم سعف النخل رمز النصرة والسلم والفرح.

هـ) ويصرخون بصوت عظيم رمز الترنيم والبهجة وتسبيح الله.

«الخلاص لإلهنا الجالس على العرش والخروف»

وهنا استجاب سكان السماء لترنيم البشر الظافرين، فسبّحوا معهم للجالس على العرش فى سجود خاشع قائلين : «البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين آمين» .

ثم سأل واحد من القسوس (الشيوخ الأربعة والعشرون) يوحنا الرائى ليستثير انتباهه ويعمق معرفته، وقال : «هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض مَن هم، ومن أين أتوا؟» فأجابه يوحنا فى اتضاع ولهفة «ياسيد أنت تعلم» ، فقال له: «هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة (أى من الأرض وما فيها من لعنة وتعب واضطهاد وضنك) وقد غسلوا ثيابهم وبيضوها (باستمرار واهتمام فى دم المسيح الفادى) وهم لذلك أمام عرش الله يخدمونه نهاراً وليلاً – أى على الدوام – حيث لا ليل هنا ، والرب يحلّ فوقهم (أى يظلل عليهم بحنانه ومجده ويشبعهم ويحميهم ويمسح دموعهم فى تعزية سماوية تنسيهم كل أوجاع الأرض) (رؤ ٢١ : ٤).

فيا له من منظر مبهج ومفرح للغاية، رأى يوحنا خروفاً واقفاً على جبل صهيون ومع الخروف ١٤٤ ألفا صفاتهم كالآتى :

أ – لهم اسم أبيه مكتوباً على جباههم (فى مقابل من لهم سمة الوحش).

ب– واستطاعوا أن يتعلموا الترنيمة الجديدة .

جـ– واشتُروا من الأرض.

د– ولم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار (أى رفضوا عبادة الأوثان التى تشمل الزنا) .

هـ– ويتبعون الخروف حيثما ذهب.

ز– وفى أفواههم لم يوجد غش.

ولكى تكمُل الصورة نورد أيضاً ما رآه يوحنا عن العروس امرأة الخروف، المدينة العظيمة أورشليم المقدسة، والتى كان لها سور عظيم وعال (رؤ ٢١ : ٩ – ٢١):

أ- وكان لها اثنا عشر باباً ، وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً.

ب- وأسماء مكتوبة هى أسماء أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر .

جـ- وسور المدينة كان له اثنى عشر أساساً ، وعليها أسماء رسل الخروف الاثنى عشر

د- والمدينة كانت موضوعة مربعة ، فقاس المدينة بالقصبة مسافة اثنى عشر غلوة .

هـ- وقاس سورها مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ذراع إنسان أى الملاك.

و- والاثنا عشر باباً إثنتا عشر لؤلؤة، كل واحد من الأبواب كان من لؤلؤة واحدة .

ز- وتمشى شعوب المخلّصين بنورها، وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها.

«هذه التى اقتنيتها لك بالدم الكريم الذى لمسيحك» *

هذه هى الكنيسة المفدية بالدم الكريم، نقرأ عنها أيضاً ما يلى * :

أ - إن الكنيسة هى المدينة التى تغترب على الأرض، والتى تتأسس فى السموات (كقول اغسطينوس).

ب- وإن اختيار الاثنى شر سبطاً كان رمزاً للاثنى عشر رسولاً، أى رمز الشمولية والكلية فى إسرائيل المدعو للخلاص. فلكل شئ فى حياة المسيح صبغة جامعة لا تختص ببعض الناس فقط. ويعتبر الرسل الاثنا عشر رمز إسخاتولوجى لأسباط إسرائيل الاثنى عشر المتضمنين فيهم ، وفيمن حضر العنصرة من الأمم.

جـ- وكلمة كنيسة إستخدمها الرسل أكثر من المسيح نفسه (حيث لم ترد فى الأناجيل إلا ثلاث مرات)، كما إن أمثال المسيح تنصب على الملكوت أكثر منها على الكنيسة.

د- وفى علاقة الكنيسة بالملكوت نلحظ اتجاهاً انحدارياً يمثله لوقا، وهو حضور الملكوت

---

* تصلى الكنيسة بهذه العبارة فى بدء الأواشى السبع، وأول أوشية السلامة بالقداس الإلهى.
من كتاب «من أنت أيتها الكنيسة» للأب فاضل سيداروس .

وتحقيقه فى الكنيسة، وكذا يقابله إتجاه إرتقائى، وهو وجود الكنيسة فى السماء ويمثله بولس.

هـ- واللّه وحده هو موضوع الإيمان، أما الكنيسة فهى موضع الإيمان.

ز- وكما حدث فى أيام الخليقة الأولى أن انحسار مياه البحر أظهر الأرض الصلبة، هكذا أدى ذهاب يسوع المسيح إلى الآب إلى إظهار كيان الكنيسة التى أسسها على الأرض.

ح- وقد حلل القديس أغسطينوس علاقة الرأس بالجسد فقال :

«كما أن الرأس مصدر الحركة، كذلك فالمسيح يحرك الكنيسة، وهو مصدر القيادة وهو يقودها والحكم وهو يحكمها، والحياة فهو يحييها، والوحدة فهو يوحد أعضاءها، والقداسة فهو يقدسها، **وبالجملة فإن ما عليه المسيح هو ما سنصيره.**

ط- وقد تحدث أغسطينوس عن الكنيسة على غرار مدينة اللّه، وهى مبنية على أساس ملكوت اللّه وعدالة المسيح، وعلى شريعة المحبة والتعبد الروحى.

ويالعجب ملؤه السر أن هناك عذراء واحدة يطيب لى - وهى أم - أن أدعوها كنيسة.

ونحن نعرف أين وجدت الكنيسة، ولكنه لم يعطَ لنا أن نلقى حكمنا فنقول أين هى لا توجد.

إنه أكثر صواباً أن نعتبر الكنيسة كحقيقة تمتلكنا أكثر من أن نمتلكها نحن.

ونحن نصلى أن يحقق اللّه ما يعجز الإنسان عن تحقيقه بمفرده، ومن ناحية أخرى ليضع الروح القدس التوبة فى قلوب الكنائس.

رجاؤك هو الكنيسة، خلاصك هو الكنيسة، ملجأك هو الكنيسة، هى أعلى من السماء وأوسع من الأرض، إنها لا تشيخ أبداً، فحيويتها أبدية.

والكنيسة واحدة وجامعة إنطولوجياً (أى كيانياً) وثيئولوجياً (أى لاهوتياً)، وإسكاتولوجياً

(أى أخروياً).

وعندما نتحد بعضنا ببعض فى المسيح يسوع، فنحن ككنيسة نكون أقرب بعضنا إلى بعض من اتحاد جسدنا بنفسنا.

وبالجملة يمكننا القول أن القرن العشرين الحالى إنما هو قرن الكنيسة.

ونعود فنؤكد أهمية الرقم ١٢ الذى يرمز إلى العبادة الكاملة من مثال جميل من الطقس الكنسى، حيث يرد ذكر الرقم ١٢ عدة مرات فى الإبصالية الآدام التى ترتل بنغمة عذبة قبل الثيئوطوكيات طوال فترة صوم الرسل الأطهار. وهذا الرقم المتكرر فى مظاهر الطبيعة حولنا نستوحيه من عدد آبائنا الرسل القديسين الأماجد، رسل العهد الجديد الذين فتنوا المسكونة كلها بالكرازة والتبشير بالاسم الحسن المملوء مجداً الذى لربنا يسوع المسيح. فنرى أن هذا الرقم يتكرر، وتتردد أصداؤه عشر مرات فى جزء من هذه الإبصالية إبتداء من الربع التاسع كالآتى :

٩- أولئك الاثنى عشر الأحجار الجوهرية
والاثنان والسبعون تلميذاً المختارين
١٠- ساروا فى كل حين يصنعون آيات
فى كل كورة ومدينة وقرية
١١- وبالحقيقة ردوا المسكونة إلى
معرفة الحق من أجل كثرة العجائب
١٢- لأن موسى أخرج من صخرة حجرية
إثنتا عشرة عيناً تنبع وتفيض
١٣- لأنه كان فى إيليم إثنتا عشرة عيناً
وأعشاب كثيرة وسبعين نخلة
١٤- قال النبى إن شجرة الزيتون
أينعت وأنبتت إثنى عشر غصناً

١٥- حقاً بالحقيقة إن هذه الأمثال
على الرسل الذين وضعوا الوصايا
١٦- هؤلاء الاثنى عشر إختارهم مخلصنا
وأرسلهم مثل كواكب
١٧- أسماء الأسباط إثنى عشر
واثنى عشر باباً لتلك المدينة
١٨- أنظروا أنتم الآن إن فى اليوم اثنتا عشر
ساعة تمر كل يوم
١٩- وأيضاً إثنى عشر شهراً فى السنة
وأمور حياتنا إثنا عشر فى عددها
٢٠- هوذا هذه الأمثلة تدلنا على
الرسل الذين بشرونا

وجدير بالذكر أن هذه الأرباع موضوعة أصلاً باللغة القبطية، فى عبارات موزونة ومقفاة، ولكنها ترتل هكذا بالعربية لسهولة فهمها واستيعاب معانيها.



الإدمان على الصلاة

[الدافع لكتابة هذا المقال هو حالة شاب جامعى وقع فريسة للإدمان حتى أودى بحياته]

ياله من داء عضال..

ياله من خطر داهم..

وياله من مرض خبيث فتاك، متى نشب أظافره لا ينجو أحد من براثنه..

يالها من ظاهرة وبيلة أطلت برأسها المخيف طوال تاريخ العالم. وإزدادت أخيراً وباتت تهدد كل جنس البشر، ونزحت من أوساط غربية وشرقية إلى مجتمعنا الخاص فى وطننا الحبيب مصر.

ويالها من كارثة شنيعة رهيبة أعنى الإدمان المرير! الذى إذا أصاب فرداً أو جماعة أفسد عليه عمره وأتعس حياته وأشقي أيامه إذ يسلبه لبه ويفقده عقله فتختل بل تتوقف كل الوظائف الحيوية للجسم والعقل وتمسى حياته جحيما لا يطاق له وبالأكثر لمن هم حوله.

ونحن مدعوون إلى الحرية كقول المسيح له المجد : «إن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨ : ٣٦) وكذا سليمان الحكيم : «مالك روحه خير من حاكم مدينة» (أم ١٦ : ٣٢) .

+ وماذا نقول عن الإدمان إلا أنه عبودية! عبودية ذليلة، إنه نوع من الإعتياد على تناول شئ ما، وحياة الإنسان مجموعة عادات، ولابد لكل إنسان أن يجنى أو يعانى من ثمرة نوع العادات التى يكونها ويؤصلها فى نفسه عبر كل سنوات عمره، ولا ننكر أن كل واحد يقع تحت تأثير سلطان العادة سواء كانت صالحة أم طالحة، وهنيئا له من كون عادات صالحة

فى نفسه، وتبآ له من كون عادات طالحة فى جميع ممارساته العامة.

✠ ويعتبر الإدمان خدعة كبرى، أو هو بمثابة ورطة شديدة يتردى فيها المرء ولا يستطيع الخروج أو الإفلات منها. إنه فخ أو شرك ينصب أمام من أسميهم جهلة أو سيئ الحظ الذين تنطلى عليهم هذه الخدعة لأول وهلة ويفطنون إليها مؤخرا ويطلبون التحرر منها ولكن هيهات! ويندمون ولكن فاتت الفرصة ولات مندم.

✠ يبدأ الإدمان ببساطة بشم مادة مخدرة يشعر معها المرء بلذة أو نشوة تدعوه إلى تكرراها، وقد يكون بتناول قرص من مادة أقوى، وقد يتعاطاها بالمضغ أو مع مشروب أو بصورة حقنة، وبنوع من الإحراج من الأصدقاء والشلة أحيانا يكرر الجرعة ويبلغ إلى أن يستمرئ لذتها ودون أن يدرى يخضع لمبدأ إجبار التكرار، وهكذا يكون كالفأر الذى وقع فى المصيدة، ويظل يدور فى حلقة مفرغة ويحكم سلطان العادة قبضته عليه وتضيق حلقاتها حتى تخنقه وتلقيه إلى الردى إن عاجلاً أو آجلاً. قصة محزنة..! ونهاية مؤلمة ومؤسفة..! وتتكرر كل يوم.. ولا تسعفنى الكلمات للتعبير عن مدى هذا الأسف والألم الذى لا يحد ومدى الخسارة فى النفوس والأرواح الثمينة بلا حدود، ناهيك عن الخسارة المادية فى البيوت والعائلات وعلى مستوى أعم وأشمل فى الدخل القومى للدول والحكومات.

✠ وينجم عن الإدمان سلسلة من الخطايا والرذائل لا يعلم مداها إلا الله، بل إنه لابد يتفتق عن كثير من الجرائم والشرور التى ترتكب بضراوة وشراسة وبصورة تكاد تكون جنونية تفوق العقل والتصور وتتعدى حدود التوقع والاحتمال. فنسمع عمن يسلب ويحتال وينهب أمتعة بيته وحقوق إخوته من أجل الحصول على جرعة من هذه السموم البيضاء القاتلة، ونسمع عمن يقتل أباه وأمه ليمول تعاطيه لهذه الآفات المهلكة المخربة والمدمرة لصحته وكيانه والتى تزيده إقترابا من حتفه، كما لو كان يحفر قبره بظلفه.

✠ ولا نعجب إذن إن كانت تجارة المخدرات بجميع أنواعها تنتشر وتتسع ويمتد مداها فى أنحاء كثيرة من العالم، وإن كان فى الخفاء والكتمان أو بتستر وتحفظ شديدين، فتخصص

لزراعتها مساحات وتنقل منها محصولات ويتكرس لتوزيعها أناس هم بحق زبانية جهنم باعوا ضمائرهم من أجل ربح خسيس ومكسب ممقوت، وأغوتهم الآلاف والملايين من الجنيهات عن رؤية الصالح العام وخير الناس والآنام. لقد طمس الذهب الأصفر عيونهم عن تقدير تلك الدرة الثمينة التى تتوج جبين الإنسان ألا وهى حرية إرادته وقدرته على إختيار الخير ورفض الشر، وانحط كل من وقع فى حبائلهم إلى مرتبة أدنى من الحيوان.

✠ والتيار جارف والخطر داهم وجسيم فالمخدرات المؤدية إلى الإدمان تباع فى الصيدليات تحت اسم أدوية مهدئة ومسكنه. وإن كان الله قد خلق هذه المواد لأغراض صالحة إلا أن الإنسان يسئ استعمالها ويسخرها لأغراضه السيئة الطالحة، فنسمع عن إنتشارها حتى إلى أبواب مدارس التلاميذ والطلبة [1] لإصطيادهم فى براثنها. ويدسها التجار أحيانا للشم فى أنواع الزهور والعطور. وأود أن أستعفى من ذكر تلك القائمة البغيضة السوداء ولكن من أجل الحيطة والحذر فهناك المخدرات المسكنة المهبطة مثل الأفيون ومشتقاته الهيروين والمورفين، وهناك المخدرات المنبهة والمنشطة مثل الكوكايين والداتورة والقات والنيكوتين، وهناك المواد التى تؤدى إلى الهلوسة والخرمان مثل الحشيش والخشخاش (أبو النوم) ويسمى فى أمريكا وأوربا الماريجونا وفى السودان البانجو.

✠ وإذ نعلم أن درهم وقاية خير من قنطار علاج [2] ، لذا نرى أن الحكومة تكثف جهود ست وزارات مختلفة لتتعاون على مقاومة إنتشار هذه الآفة الإجتماعية التى تسرى كوباء [3] ، ويظل العب الأكبر فى المقاومة ملقى على العائلة وهى النواة الأولى للمجتمع الكبير [4] وحيث يمكن فيها متابعة الرقابة على عضو إن كان يعانى من ظواهر غريبة مثل

---

(١) يقدر عدد المتعاطين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ – ٢٥ سنة بنحو مليونى شخص. (مجلة المنار أبريل ٨٦ ص٨٠).

(٢) عقد مجلس الكنائس العالمى حلقة دراسية عن موضوع الإدمان فى مارس ١٩٨٨ بسويسرا وأعطى توصياته للكنائس.

(٣) ومع ذلك تضبط بعض كيلو جرامات من أسبوع لآخر مصدرة من ملوك الكوكايين فى أمريكا الجنوبية إلى أسواق الشرق الأوسط المختلفة.

(٤) نشير مثلا إلى دولة الصين وغيرها التى نجحت في مقاومة الأفيون وإبادته من كل البلاد.

من يكون مغطا فى نوم ثقيل حتى يصعب إيقاظه أو من يستغرق فى نوم طويل مع إحمرار العينين أو من يتغيب كثيرا عن البيت أو يكون مسرفاً بزيادة فى إنفاقه. فاكتشاف هذه الحالات مبكراً يساعد كثيرا فى علاجها أما الحالات المتقدمة التى تبلغ إلى الرعونة والهلوسة فيستحيل علاجها حيث تكون المخدرات قد دمرت مراكز المخ والخلايا العصبية التى متى فسدت لا يمكن تجديدها أبداً.

✠ وبنظرة شاملة وأفق متسع نقرر أن الإدمان كظاهرة ومرض وبيل إنما يشمل مجالات أخرى عدا المخدرات. فكل ما من شأنه أن يذهب عقل الإنسان ويفقده وعيه ويسلبه رشده فهو مخدر، وكل نوع من المكيفات يسئ المرء إستعماله أو يفرط فى تعاطيه بلا حساب حتى يخضع نفسه لسلطته، ويستعبد لطلبه وسطوته يجعله أيضا مدمنا. أعنى هنا المكيفات بأنواعها والمشروبات الروحية بدرجاتها المختلفة. والنفس الأمارة بالسوء تستخرج وتخمر عصيراً حتى من البلح والتين وتجعلها مسكرا لإيذائها، بل وحتى الطعام العادى إذا استعبد الإنسان لشهوة الحنجرة أو البطن حتى تؤذى صحته فقد يهلكه. ويكون الإدمان هنا لأمور مشروعة ولكنها تستخدم بطريقة غير مشروعة.

وهذا، وبالجملة والاختصار فالإدمان هو حالة عدم القدرة على التوقف عن تعاطى أمر ما.

ولكن الإدمان على أنواع فنحن مطالبون بالصلاة كل حين حتى نبلغ إلى درجة الإدمان على الصلاة وهذا هو بيت القصيد فى الموضوع. وإن كان المدمن يشبه بمن يتدحرج من على جرف عال ولكن التشبيه مع الفارق إذ نثق فى اليد العالية الحانية التى تلتقطه حتى من الهوة وترفعه فوق كل ظروف الزمان والمكان والكيان.

✠ والأمر البديهى جداً كعلاج هو أن نحل عادة صالحة محل عادة سيئة، كنصيحة الأطباء النفسيين ونكون كمن يجب أن يُبدل عشقا بعشق كوصية القديس ماراسحق السريانى، أى أن نحل محبة الله محل وبدلاً من بل وفوق التعلق بأى شئ آخر سواه، وتكوين العادات المقدسة كوقاية وحماية من أى إدمان ردئ يجب أن يبدأ منذ الصغر.

ولتعبير عن محبة الله يكون باحترام نظام كنيسته والاشتياق إلى وسائط النعمة التى فيها وخاصة بالتركيز على حب كلمة الله والصلاة. والمفروض أن تتعاون جميع الأوساط التربوية بلا ملل أو يأس على تأصيل هذه العادات المقدسة الكفيلة بأن تطرد أية عادات سيئة قد تتكون فى الإنسان وذلك حينما تقوم على أساس التدين السليم والوعى الروحى لضرورة إرضاء الله فى حياتنا والتسلح بقوته الإلهية لتقويم السلوك والانحراف فطالما أن لإنسان له الوعى والإرادة للتخلص من عاداته الرديئة فأمامه طريق التوبة وإستمرار الجهاد مفتوحاً دائماً.

✠ نعلم أن كل من يتعاطى مخدراً يخفى أمره عمن حوله بسبب الخجل، وكلما طال زمان تعاطيه يزداد علاجه صعوبة، وهذا يبين أهمية دور المنزل في إكتشاف حالة الإدمان مبكراً لمساعدة المدمن على التخلص منه وتحقيق شفائه. ولنحذر من شعور الفشل واليأس وقطع الرجاء فى مقاومة الإدمان، لأنه كلما أحيط المدمن بعناية أصدقاء روحيين وقطعت عنه مصادر إمداده بالمخدر ونال من العناية الطبية اللازمة لتجديد دمائه وإنقاذ وتقوية أعصابه مع رغبته هو شخصياً فى الشفاء كلما أسرعنا بتحقيق المعجزة **وسلاحنا الوحيد هو الصلاة والصلاة كل حين وبحرارة وبتسليم كلى وحب شديد ورجاء عظيم حتى نبلغ إلى درجة لا نستطيع معها أن نكشف عن الصلاة**، ويحدثنا الآباء الروحانيون عن إختبار فى متناول أيدينا وهو أن نعتاد تغليب الإهتمامات الروحية على الجسدية والانحياز لمطالب الروح عوضاً عن الجسد وهو **أن يبلغ المرء إلى أن يكون أسيراً فى السمو. فالصلاة بحق غذاء وشبع ودواء وشفاء لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا**، وفيما يلى بعض النصوص الكتابية التى تؤازر جهادنا وتقوى ضعفنا :

✠ «لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل إمتلئوا بالروح» (أف ٥ : ١٨).

✠ «لا تكن بين شريبى الخمر المتلفين لأجسادهم» (أم ٢٣ : ٢٠).

✠ «.. أن تكون العجائز فى سيرة تليق بالقداسة... غير مستعبدات للخمر» (تى ٣ : ٣).

✠ «خمراً ومسكراً لا تشرب» (لا ١٠ : ٩ ، قض ١٣ : ٤).

✠ «لا سكيرون يرثون ملكوت السموات» (١ كو ٦ : ١٠).

وفضلا عن هذه الأوامر والنواهى السلبية نرى من ناحية إيجابية الرسول بولس العظيم لسان العطر يدعو نفسه فى أول آية من أول إصحاح من أول رسالة له بأنه : «بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرز لإنجيل الله....» (رو ١ : ١) وهكذا يقرر لنا أن استعباد إرادتنا لله وعبوديتنا الكاملة للمسيح إلهنا هى منتهى الحرية الحقيقية. كما أنه فى مواضع أخرى يسمى نفسه أسير يسوع المسيح» (غل ٩).

✠ وقديما قال صموئيل النبى لشعبه «أما أنا فحاشا لى أن أخطئ إلى الله وأكف عن الصلاة لأجلكم» (١ صم ١٢ : ٣٣). المصلى بالحقيقة لا يمكن أن يقع فى حبائل الإدمان، بل يعطيه الرب يقظة فى النفس وتصميما أكيداً ويقيناً شديداً على أنه لابد أن يتحرر ويتخلص من أى رباط يقيده، وعليه ألا ينظر إلى ضعفه مهما سقط بل إلى قوة الله الذى هو بالحقيقة مخلص العالم كله.. بالندم والتواجد المستمر فى حضرة الله يعطى الإنسان راحة لضميره المثقل بأوزار الماضى مع التشدد بقوته العالية فى كل ما يطلبه. إن لدينا وصية الرسول : «صلوا بلا إنقطاع» (١ تس ٥ : ١٧)، وقديماً قال داود النبى : «أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩ : ٤). لقد أضعنا فرصاً كثيرة للصلاة، وخسرنا كثيراً من جراء عدم الصلاة. والمشكلة الأهم من ذلك أن قلوبنا منغلقة وكثيراً ما ترفض دعوة الصلاة إذ قد طغت عليها روح محبة العالم الحاضر ولأنها منحازة إلى الأرض والجسديات فيسهل ربطها وإستبعادها بعيداً عن الله. أما الإنسان الروحى فبدافع من الحب الشديد يرفع قلبه دوماً إلى فوق ويصلى حسب الطقس وفوق الطقس ويجد فى إسم يسوع قوة لنجاته وشفائه فيردده بلا شبع مثل السائح الروسى الذى بلغ إلى ترديد صلاة يسوع إثنتى عشرة ألف مرة فى اليوم بقوله «يارب يسوع المسيح ابن الله إرحمنى أنا الخاطئ» وكذلك ترديد المزامير بغزارة كما فى الأجبية حسب الطقس الكنسى يومياً..

✠ الإدمان على الصلاة حالة شركة مع الله وحديث حلو معه حينما نكتشفه ونقدره ونطلبه

باشتياق إنما يربط النفس بعمل سرى إلهى بالله خالقها ومخلصها كقول الكتاب «كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم» (هو ١١ : ٤). وتزداد هذه الإرتباطات العصبية كلما دعمناها بالصلاة حتى أنه لا يمكن فصمها إلا بالموت كقول عروس النشيد : «المحبة قوية كالموت.. لهيبها لهيب نار لظى الرب» (نش ٨ : ٦)، وختاماً نذكر وصية الرب المملوءة نوراً أمام عيوننا وهى:

«ينبغى أن يصلى كل حين ولا يملّ» (لو ١٨ : ١).

«صلوا بلا انقطاع» (١ تس ٥:١٧).



٩٦/٤٩٠٤

عبارات مختارة من هذا الكتاب

- أعكف على الصلاة الدائمة . أطلب أن تنمو في "فهم.
- لا يجب أن نقل غيرتنا للإحتفاظ بإستقامتنا عن غيرتنا لاقتنائهم.
- يوحنا فم الذهب عن المسيح له المجد : أنا أحبه ملكا لأنه يليق بملك أن يموت عن رعاياه .
- الخضوع لله هو "الغرب الكامل" من الشر.. إقتداءً بالمسيح الباكر ..
- أن تمتلك اللـــه لا يعني سوى شيئا واحـــدا أن تتحـــد به. فالوحـــدة إذا شئت أن تصير جسداً واحداً معه .
- إن اسم والدة الإله يتضمن كل تاريخ التدبير الإلهي لهذا العالم .
- أنا عندما أتكون إما صـــورة للـــه ابو المجـــد وإما صـــورة ممسوخة لفرد .
- حتى القرن الحالي إنما هو قرن الكنيسة